

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة جيلالي ليابس / سيدي بلعباس



كلية الآداب واللغات والفنون

قسم: اللغة العربية وآدابها

# التعلييل الصوتي عند ابن جني قراءة في كتابي "الخصائص" و" سر صناعة الإعراب"

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في اللغة والأدب العربي  
تخصص: الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية

إشراف الأستاذ

- أ.د الأحمـر الحاج

إعداد الطالب

- بونيف أحمد

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د فرعون بخالد
مشرفا ومقررا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ التعليم العالي	أ.د الأحمـر الحاج
عضوا مناقشا	جامعة سيدي بلعباس	أستاذ محاضر -أ-	د مرزوق محمد
عضوا مناقشا	جامعة مستغانم	أستاذة محاضرة -أ-	د صادق فاطمة الزهراء
عضوا مناقشا	جامعة جلفة	أستاذ محاضر -أ-	د بودنة بلقاسم
عضوا مناقشا	م/ج عين تموشنت	أستاذ محاضر -أ-	د خشير عيسى

السنة الجامعية: 2018 - 2019

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## شكر وتقدير

✓ إن الأحق بالحمد والشكر الدائمين، هو الله تعالى، فلولا رضاه عنا وإعانتته لنا بكل خير لما وصلنا إلى جني هذه الثمرة.

✓ أتقدم بأسمى آيات الشكر والامتنان إلى الأستاذ الدكتور "الأحمر الحاج" الذي لم يبخل عليّ بتوجيهاته القيمة ونصائحه المتميزة.

✓ ولا يفوتني أن أشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة الأطروحة.

✓ كما أشكر كل من ساعدني على إتمام هذا العمل.

الباحث: ب. أحمد

## إهداء

✓ إلى التي ربّنتي ومنحتني أسمى معاني العطف والحنان وكان قلبها خفّاقاً لأن تراني  
أعانت الأمل في عنفوان وكبرياء لكنها فارقت الحياة قبل أن أحكي لها عن أشواق  
وعن أمنية في أعماقي؟؟؟؟؟؟؟؟ إليك يا روح أمي الغالية في برزخها .

✓ إلى الذي منحني لقبه وسأظل أدين له به طول الحياة، إلى والدي الكريم في ثوب  
البساطة والتواضع .

✓ إلى التي شاركتني لحظات الحياة مرّها و حلوها زوجتي الغالية .

✓ إلى فلذات الكبد الماشية على الأرض إلى العيون المشرّبة لساعة الملتقى أولادي  
الأعزاء .

✓ إلى جميع أصدقاء الدفعة .

✓ إلى كل الناطقين بالعربية في زمن عجمة أبنائها .

الباحث: ب.أحمد

مقدمة

## مقدمة

الحمد لله الذي علّم بالقلم وصلّى الله على سيدنا محمد هادي الأمم.

إنّ الرحلة مع ابن جنّي في بحر اللغة والفكر الصوتي معركة تشعر صاحبها بالفخر والإعتزاز لأنها معركة مع عبقرية قوي يحسن التسلسل في الطرق الشائكة الوعرة لافتكاك السّحر من أسرار العربية، ولمسات البيان .

ووجدت نفسي أبحث عن دلائل أضعها في الطريق كأنها شيء من خافت نور تجنّب السائر العثرات في الليل البهيم خصوصا وأنني لم أتوسد الكتاب ولم أركب البحر.

لم يكن سفري مع كتابي "سر صناعة الإعراب" و"الخصائص" سوى نظرة متأنية مع الصنعة وحسن التأويل لكلام العرب غايتها الوقوف على أوجه التناغم الصوتي والأدائي، وكذا التكامل الصرفي والنحوي في النصّين الشعري والنثري، وحسبي أنني أغامر مع عبقرية يلفّ نصوصه التعليلية وقواعده الصوتية بغموض لذيذ يطال الفكر فينا فنعشقه.

إنني من خلال هذا البحث أردت أن أقف عند أسوار هذه القواعد الصوتية متقيلا الحكم عبر أهم ركائز الاحتجاج اللغوي ألا وهي العلة.

لقد فُزّع مني الفكر إلى طلب البحث في موضوع التعليل الصوتي، فلما كان الأمر الباعث عليه والسبب المقتاد إليه هو معرفة الآلية، والإجراء الصوتي الذي يعتمد اللغوي للوصول إلى الحكم، وبموجب أن العلة ركن من أركان القياس فضلا عن كونها مصدرا لتمام المعنى وكماله يغرس الإقناع والقبول في نفس المتلقي، ويحفظ للغة انسجامها، ولولا البياض لكانت الكتابة بالسواد خفية.

فهذه حال من أحوال استواء الرغبة لديّ والقناعة بأن أتوجه بالبحث في التعليل الصوتي عند ابن جنّي قراءة في كتابي "الخصائص" و"سر صناعة الإعراب"، ويدفعني إلى ذلك الإمام بمعطيات

الدرس الصوتي، والوقوف على إسهامات ابن جني، وفضله على الدرس اللغوي عموماً والصوتي خصوصاً مسهماً في ذلك بدوري في بسط فكر ابن جني الصوتي، ومنهجه التعليلي لتوضيح الأسس المعرفية عند العرب خاصة النحاة منهم في وضع التوجهات الصوتية الصرفية، النحوية، وحتى الدلالية، ومدى ثباتها أو ضعفها أمام معطيات الدراسة الصوتية القديمة والحديثة، خاصة إذا علمنا أن النتائج الصوتية أشبه بمعطيات العلوم التجريبية إذ يمكن إخضاعها للاختبار والتحقق، لعلّي من وراء هذا كله أن أقبض على شيء من العربية في زمن عجمة أبنائها.

إنّ جهود ابن جني من خلال جلّ آثاره تظل نقطة تحوّل هامة، حيث يعدّ قديماً مجدداً في ظل ما توفر لديه من إرث لغوي، وفكري من سابقه، خاصة سيويه في سفره العظيم "الكتاب"، والتحليل في مادته الصوتية الخام التي بسطها على معجمه "العين"، بالإضافة إلى شيوخه وأوصلهم به أبو علي الفارسي.

إنّ النصّ القرآني الكريم والحديث الشريف، وكذا كلام العرب، والأمثال والأشعار، والمسموعات، والمرويات عن شيوخ العربية، ولهجات العرب ولدت لدى ابن جني فكراً صوتياً أسس به لتوجه نحوي أجاز من خلاله بعض القراءات الشاذة، وهذه النقطة كانت ذات أهمية في طرح إشكالية البحث الحاضرة للتساؤلات التالية:

ما العلة؟ وما أنواعها؟ وهل يصحّ أن تتعدى العلة؟ وما الفرق بين علة النحويين والكلاميين والفقهاء؟ وهل علل العربية كلامية هي أم فقهية؟ ثم ما إضافات منهج ابن جني التعليلي للحقل اللغوي على العموم والصوتي على الخصوص؟ وهل علل ابن جني التي رصدها تصمد أمام الخرق القرآني للقواعد والقوانين الصوتية والنحوية اللاحقة بكلام البشر؟ وهل العلة سابقة للحكم أو مرافقة له أو لاحقة به؟ فقد رأينا كيف أنّ ابن جني يحوّل الجواب إلى سؤال حتى يستقر عند الحكم، ويجد لكل استثناء تبريراً صوتياً، أو نحوياً، أو حتى معنوياً، وبذلك يؤسس لنظرية صوتية تجاوزت حدود الزمان والمكان، خاض

غمارها بد (التدبر والتمعن)، فخرج بنتاج غير مسبوق في المنهج والمصطلح والمفهوم، وأسلوب التعامل مع المادة اللغوية، والتعديد لها بالقياس، والتنظير مع تنويع مذهب التعليل.

لقد مهّدنا لهذه الدراسة بمدخل تطرّقنا فيه للعلّة لغة، واصطلاحاً، وعرّجنا فيه على السياق الزمني لنشأة التعليل الصوتي حتى استقر عند القرن الرابع الهجري كمرحلة شاهدة لفكر ابن جنيّ الصوتي، وقد انقسمت الدراسة إلى أربعة فصول هذا بيانها:

**الفصل الأوّل:** جاء في مبحثين، خصصنا الأول منهما للتعليل الصوتي للمخارج، وكان لزاماً أن نتبعها وفق ما أوردها صاحبها، حيث اعتمد في ترتيبها مبدأ سيوييه مخالفاً بذلك منهج الخليل. **المبحث الثاني:** جاء في تعليل الصفات والكيفيات العارضة للصوت أثناء حدوثه، والذي اعتمد فيه الملاحظة الشخصية، والتي من خلالها اكتشف نظرية خصائص الصوت النطقية والصرفية والفونولوجية.

**الفصل الثاني:** جاء أيضاً في مبحثين:

**المبحث الأوّل:** التعليل الصوتي للإبدال اللغوي من غير الإدغام، وتحاشينا حديث الإدغام لأنه بات مكروراً في أغلب الكتب الصوتية، وأردنا بذلك تنويع منهجية البحث والخروج عن الرتابة، وأكثر من ذلك يبدو أن بين الإبدال والاشتقاق تلازماً وارتباطاً.

**المبحث الثاني:** خصصناه للاشتقاق، فقد رأينا أنه شقّ مكمل للإبدال كما أشرنا، لأنهما يلتقيان عند أهمية توليد المادة اللغوية وتنويعها، وكذا الوقوف على أصلها وفرعها.

**الفصل الثالث:** قسّمناه إلى مبحثين:

المبحث الأول: تابعنا فيه مظاهر التعليل الصوتي للإمالة، وتوجهنا بها صوب الحقل القرائي باعتبارها وجها من أوجه الاختلاف اللهجي العربي، خاصة بين بني تميم والحجازيين، ورجحنا المفارقة الواردة في هذا المبحث بين النحويين والقراء.

المبحث الثاني: خصصناه للإعلال ومظاهره، حيث الإعلال والإمالة وجهان لعملة واحدة، ذلك أن مدارهما حول حروف العلة، والتصريف فيها، أو التلعب بها كما أسماه ابن جني في مؤلفه "التصريف الملوكي".

الفصل الرابع: عاينا فيه التعليل الصوتي للقراءتين المتواترة والشاذة، وقسمناه إلى مبحثين بغية تبيين المفارقات بين الوجهين المتواتر والشاذ:

المبحث الأول: يجري في القراءة المتواترة وما يلحق بها كالنسق القرآني والانسجام الصوتي، لأن البيان القرآني نص مقدس وضع وضعا دقيقا، ونسج نسجا محكما فريدا لا يرقى إليه حديث، ولن يبلغ شأوه نثر مسجوع ولا شعر مقفى موزون.

المبحث الثاني: وقفنا من خلاله على تعليقات ابن جني الصوتية واللغوية للقراءات الشاذة، فهو يرى أنه إذا كانت المقاييس القرآنية قد سلبت هذه القراءات قرآنتها، فإن النحو فيها باق، وهي جديرة بالدراسة والكشف عن وجوهها، وإفراد المصنفات لها، وكان لابد من المغامرة بحذر مع مؤلفه "المحتسب".

وحرصا على بسط جوانب هذا البحث في صورة تكاملية تربط بين حسن الجمع وحسن الوضع استعنت بالوصف والمقارنة كمنهج، وذلك من خلال إعادة تذوق التجارب السابقة للسلف، وكذا اجتهادات وإضافات المحدثين والتحليل كإجراء وتقنية.

خاتمة: ذكرنا فيها نتائج البحث، وما وقفنا عليه من خلال قراءة الكتابين، وكذا البحوث المخطوطة في مجال الفكر الصوتي عند ابن جنيّ باعتباره إضافة مهمّة وحلقة من حلقات الدرس اللغوي، والصوتي يفخر ناطق الضاد بها ما تعاقب الزمان عليها.

ولست أزعم أنني أتيت بالجديد بقدر ما أعترف أنني كنت أحياناً لا أستطيع فهم عبارة أو نصّ تعليلي إلا من خلال الاستعانة بشارح أو دارس متمرس حتى لا أفسد الصنعة التي كان ابن جنيّ لها أقصد، فأوغلت بيسر لأنّ في تقدير الكلام انتقال من صورة إلى أخرى، أو أنّ الأوّل وصله علم لم يصل إلى الآخر.

وكان من مصادر البحث التي أفدنا منها المدونتين المقصودتين بالدراسة بالإضافة إلى "المحتسب" لابن جني و"الكتاب" لسيبويه وما دار حول هذه المصادر من دراسة كـ" التعليل الصوتي عند العرب" لنذير بيري الحساني، و" القراءات الشاذّة وتوجيهها النحوي من كلام العرب " لصاحبه عبد الفتاح القاضي، ومحمد حامد عبد الغفار هلال في "ابن جنيّ عبقرى اللغويين"، وتراث ابن جنيّ اللغوي والدرس اللساني الحديث" لابن عمر بلملياني، و" أصول النحو عند ابن جنيّ" لرشيد حليم، وكذا عبد الفتاح إسماعيل شلي في باب الإمالة، بالإضافة إلى مصادر علم اللغة الحديث.

إن كان من ثمرات تظهر لهذا البحث بعد فضل الله تعالى، فهي للأستاذ المشرف "لحمر الحاج"، فلم يزل بي يحثني على الحرص والاهتمام، والتدوين، فكانت نصائحه وحضوره الروحي عوناً لي، فله مني كل الاحترام والتقدير، وإلى أعضاء اللجنة الموقرة الذين أولوا اهتمامهم بقراءة هذه الرسالة أرفع خالص التشكرات، وأنى لي أن أبلغ المرام، وأنا المنقطع، وأن أعطي وأنا المحروم، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم وصحبه وآل بيته والتابعين.

أحمد بونيف

البيضا في: 03 صفر 1439 هـ الموافق لـ 17 فبراير 2018 م.

مدخل تمهيدي

إنّ في كتاب سيوييه سحرا من السّحر الحلال، وفي سرّ صناعة الإعراب سرّاً لابن جيّ بسطه بالتعليل والتحليل غايته في ذلك الوقوف على التناغم الصوتي والدلالي، والأدائي من أجل رسم ركيزة يحتكم إليها اللغوي ألا وهي العلة.

فما المقصود بها؟

العلة لغة: الضّرة...، والعلة بالكسر المرض من علّ، يعلّ واعتلّ وأعلّه الله تعالى فهو معلّّ وعليل، ولا تعلّ معلول، والمتكلّمون يقولونها<sup>1</sup>، ويضيف صاحب القاموس معاني أخرى للعلة، فيقول: "وقد اعتلّ وهذه علّته سببه...، والمعلّل كمحدث دافع جابي الخراج بالعلل، ومن يسقي مرّة بعد مرّة، ومن يجني الثمرة مرة بعد مرّة"<sup>2</sup>.

فالعلة مما سبق ترادف السبب والبحث عنه، فيقال: "هذه علة لهذا، أي سبب له"<sup>3</sup>، وهي أيضا تقتزن بالسبب والسبب هو الحبل الذي يتوصّل به إلى غيره، والتعليل من العلة.

وخلاصة ذلك أن العلة في الدرس الصوتي لا الفلسفي، ولا الأصولي تصبّ في هيكل الاستقراء الذي من خلاله يستنبط اللغوي الحثيات باعتماد مبدأي الحسّ المرهف، والمشاهدة، بعيدا عن الإشكال الديني الذي يطرحه الفقه، إذ الفرق واضح بين معاني العلة من خلال إسقاطات كل مجال.

<sup>1</sup> ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص 1328.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 1329.

<sup>3</sup> ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محي الدين أبو الفيض، و محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط 1/1306هـ، ج 8/32 - 33.

تجدر الإشارة إلى أننا لم نشأ التفصيل في التأصيل لمصطلح التعليل لأن مراده المطلق هو الجواب عن السؤال: لماذا؟ أو لما؟<sup>1</sup>، خاصة إذا علمنا أن مصاديق الدرس الصوتي أكثر علمية ودقة وخضوعاً للمختبر .

### التعليل الصوتي عند اللغويين:

إذا كان توجه الفلاسفة والأصوليين يختلف عن مظان اللغويين، فإنه حري بنا أن نتبع أثر التعليل النحوي أو الصوتي عند مختصيه من لغويين ونحاة، لأن العلة عند الفقهاء ليست موجبة للحكم إنما هي دليل عليه<sup>2</sup>، أما النحاة فيستنبطون عللهم بالاستقراء من كلام العرب وقياس بعضه على بعض متحشمين في ذلك عناء البحث والجمع والتحرّي والتدقيق وفق معطيات الحسّ والمشاهدة<sup>3</sup>. بدليل "شاء للدرس العربي أن يتأسس كغيره على مبادئ النظر وأسس التبرير، وتميّز علماؤه بأنهم معلّون"<sup>4</sup> لأنّ اللغة مرتبطة بالفكر، والفكر متّصل بالواقع، والواقع يقوم على التقنيين والتعديد، لأنّ أساسه الانتظام، وفي هذه المتواليات يتأكد أنّ العلوم لا تقبل إلا البراهين والحجج، "ولن تستقيم النتائج دون استقامة الدليل"<sup>5</sup>، أي أنّ الأسلوب الذهني أصبح ملجأ النحاة ومقصدهم حتى يتمكنوا من تفسير الظواهر الخفية، والتدليل على ما يتحكم في ضروب المعطيات اللغوية من تناسق وانسجام.

<sup>1</sup> طالع: منلا خرسو، مرآة الأصول في شرح مرآة الوصول، المطبعة العثمانية، 1317هـ، ص 537.

<sup>2</sup> طالع: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط5/1996م، ص 153.

<sup>3</sup> طالع: المرجع نفسه، ص 166 - 167.

<sup>4</sup> رشيد حليم، المنهج اللغوي والبحث اللساني، دار قرطبة للنشر والتوزيع، ط1/2011م، ص 49.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 50.

### أصول التعليل عند الخليل بن أحمد الفراهيدي:

تعليل الخليل بن أحمد (ت: 175هـ) مرجعية أساسية في النحو، وحين نقول النحو نقصد بذلك محاولة البحث عن قوانين لغوية (صوتية، صرفية، نحوية، ودلالية) تؤسس للمتأمل ما يسوغ له قبولها، ثم ينبري للدفاع عما اقتنع به منها، فيقرر فناعاته بما اختزنه في عقله من أسس ومرجعيات. لقد أخذ النحاة منذ عصر الخليل بالعلية، وكلّ حكم يعلّل<sup>1</sup>، أي أنّ كلّ ظاهرة لغوية كلية كانت أو جزئية لا بدّ لها من علّة أوجدتها، وأحياناً نافسوا في ذلك من أجل التحجج، واستنباط علل جديدة لم يعلّل بها السابقون، وهذا ما ظهر من خلال المناظرات .

### الخليل والمدونة العلمية:

البحث في التراث يُحيل إلى وجود أوّل مدونة هامة في تاريخ الدرس اللغوي، حيث ورد في هذه المدونة حديث مستفيض عن المعرفة المتعلقة بالتعليل اللغوي، إنّه "الكتاب" لسيبويه الذي كان له فضل الجمع والاستيعاب والترتيب<sup>2</sup>، وقد ضمت المدونة أبواباً قيّمة في الصّرف والصّوت إلا أنّها جاءت متفرقة، وإذا كان الخليل مفتاح الخلق والابتكار<sup>3</sup>، فإنّ سيبويه لاحظ صيغاً صرفية كثيرة لا يمكن تفسيرها إلا في ضوء المعايير الصوتية<sup>4</sup>، وذلك وفق تصوّر يحيل إلى بناء كامل وصرح شامل

<sup>1</sup> نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1/2009م، ص26.

<sup>2</sup> ينظر: رشيد حلّيم، المنهج اللغوي العربي والبحث اللساني، ص50.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع السابق، ص26

متماسك العناصر مؤتلف الأجزاء محكم الصياغة يضمن جسر التواصل بين أعلام اللغة كشرط من شروط تطوّر الدّرس الصوتي، فكان لابدّ من الوقوف على مرحلة أعلام القرن الرّابع الهجري ومنهم :

ابن جنّي:

عندما نقف عند حقبة ابن جني نكون قد تبوّأنا دورة القياس وفلسفته<sup>1</sup>، هذا يعني أنّ ابن جنيّ، وهو متأثر بمن سبقوه كالخليل وسيبويه وأستاذه أبي عليّ الفارسيّ يعدّ قديماً مجدّداً لأنّه أفرد للمجال الصوتي أبواباً خاصّة .

يقال: إنّ كتابه "الخصائص" إنّما هو مجموعة كبيرة من الأقيسة الشديدة<sup>2</sup>، يضاف إليها ما يربو أو يفوق خمسين مؤلفاً تبحث العلل والقياس، وتغوص في أسرار العربيّة، وها هو يحكي عن نفسه في مقدّمة "الخصائص"، و"ذلك أنّا لم نر أحداً من علماء البلدين ( البصرة والكوفة ) تعرّض لعمل أصول النّحو على مذهب أصول الكلام والفقّه"<sup>3</sup>، ومتحدّثاً عن كتاب "المقاييس في النّحو" للأخفش الأوسط فيقول: "إذا أنت قرنته بكتابتنا هذا علمت بذاك أنّنا نبنا عنه فيه، وكفيناها كلفة التعب به، وكافأناه على لطيف ما أولناه من علومه المسوقة إلينا"<sup>4</sup>، ونحن إذ اخترنا هؤلاء الأعلام الثلاثة: الخليل، سيبويه، ثمّ ابن جنيّ فإنّما يعدّ كل واحد منهم معلماً لحقبة زمنيّة تمثل مرحلة هامّة من مراحل الدّرس الصّوتي في نشأته وتطوّره، فقد حكى ابن نوفل قال: "سمعت أبي يقول لأبي عمر

<sup>1</sup> ينظر: بكرى عبد الكريم، أصول النحو العربي، دار الكتاب الحديث، ط1/1999م، ص 108.

<sup>2</sup> ينظر: شوقي ضيف، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط2/1972م، ص 276.

<sup>3</sup> ابن جنّي، الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، ج1/18.

<sup>4</sup> المرجع نفسه.

بن العلاء أخبرني عمّا وضعته ممّ أسميته عربيّة أيدخل في كلام العرب كله ؟ قال: لا، فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب، وهم حجّة ؟ قال: أعمل على الأكثر واسمّي ما خالفتني فيه لغات<sup>1</sup>، فهذا الاطراد في العمل بالقواعد والحرص الشّديد على القياس يدلّك أنّ الذي جمع اللغة لم يجمعها كلّها، ولم يسمعها كلّها عن العرب غير أنّه اعتمد القياس والتعليل في تصويب ما سمعه من خلال الذي سمعه.

جاء الخليل في مرحلة اعتبر فيها الغاية في التخريج، وبعده تلميذه سيبويه، وظهرت المدرستان البصريّة والكوفيّة، ثمّ توالى أعلام آخرون من أمثال الأخفش الأوسط الذي اعتمد كتاب سيبويه عندما ألف كتابه "المقاييس"، وبعده المازني صاحب كتاب "التصريف"، ثمّ المبرد الذي عدّه ابن جني جيلا في العلم، ثمّ أبو عليّ الفارسيّ شيخ ابن جنيّ الذي يقال: إنّه انتزع ثلثي علل النّحو<sup>2</sup>، وكان توقفنا عند حلقة ابن جنيّ لأنّه نظّر عقليا لمسار الدّرس اللغويّ عموما والتعليل الصوتي خصوصا، وذلك دون إغفال أعلام القراءات المجيدون خاصّة من جاؤوا بعد وفاة أبي الأسود الدّؤلي (69 هـ)، وهم طبقات من أمثال عنبسة الفيل، نصر بن عاصم (89هـ)، يحيى بن يعمر (129هـ)، عبد الرحمن بن هرمز، خاصّة، وأنّ مؤرّخيّ الأدب لم يقيموا الفواصل الزّمنيّة بين الرّجال والأعمال<sup>3</sup>، ويتبوّأ ابن جني مكانة القديم المجدّد<sup>4</sup>، خاصّة في مؤلفه "سرّ صناعة الإعراب" الذي لا يمكن لعالم ولا متعلم

<sup>1</sup> عبد العال سالم مكرم، المفصل في تاريخ النحو العربي، بيروت، د ط، 1979م ج 1/145.

<sup>2</sup> ينظر: بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي، ص 108.

<sup>3</sup> ينظر: مكّي درار المحمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانبا، الجزائر، ص 64.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

سواء أكان مبتدئاً أو متمرساً أن يستغني عنه، ومن حديث النشأة والتأصيل ننتقل إلى أصناف العلل وتقسيماتها .

أورد ابن جني في مؤلفه "الخصائص" باباً أسماه باب "تخصيص العلل" فيقول: "فقد علم بهذا أنّ زينة الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني وحياطتها، فالمعنى إذا هو المكرّم المخدوم، واللفظ هو المبتذل الخادم"<sup>1</sup>، وبعد أن يستقرّ اللفظ على هذه الحال، يقول في موضع آخر: "فإذا جرت العلة في معلولها واستتبت على منهجها وأمها قوي حكمها واحتمى جانبها، ولم يسع أحداً أن يعرض لها إلا بإخراجه شيئاً إن قدر على إخراجه منها"<sup>2</sup>، فابن جنيّ من خلال هذين القولين كأنيّ به يحدّد أو يصف نوع العلة التي يجب أن يُحتكم إليها، حتى أنّه يرى أن فصلها بعضها عن بعض مردود ومرذول بحسب زعمه عند أهل النظر<sup>3</sup>.

يستمرّ ابن جني في عرض العلل وتبسيطها، وهي في صورها الوارد في كتابيه "الخصائص"، أو "سرّ صناعة الإعراب"، حيث تخريجها غير لاحق بتلك التي أوضحتها كتب النحو، فهو تجاوز النحو القواعدي إلى حلقة النحو التركيبي الذي اعتمد فيه التنظير العقلي.

إنّه إذا كان من فائدة علم أصول النحو تقرير الحكم وإثباته بالدليل الصحيح والحجّة الدامغة، باعتماد منهج تعليلي سليم يبعده عن التقليد، تدعّمه أنواع مختلفة ومترابطة من العلل منها:

<sup>1</sup> ابن جنيّ، الخصائص، ج1/143.

<sup>2</sup> المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

1- العلة التعليمية: وهي ما يتوصّل بها إلى تعليم كلام العرب، فإذا سمع بعضها قيس على نظيره

كرفع الفاعل، ونصب المفعول به، وجرّ المضاف إليه<sup>1</sup>، أي أنّ هذه العلة مستنبطة أحكاما ومقاييسا من المادّة اللغويّة التي جمعها اللغويّون والنحاة، أي أنّها تفسير لها وتابعة لها.

2- العلة القياسيّة ( العلة الثواني ): وهي ما اصطلح عليه ابن جنيّ "علة العلة"، وملخصها

أنّ الفاعل ارتفع مثلا بفعله، فإن قيل: ولم صار الفاعل مرفوعا؟، فهذا سؤال عن علة العلة، وشرح وتفسير، وتميم للعلة<sup>2</sup>، لأنّ هذه العلة تحاول أن تربط بين الظواهر المختلفة بملاحظة ما بينها من صلوات، والأخذ بما طلبا لا طراد الأحكام، ومثالها السؤال عن العلة التي ارتفع لها الفاعل، أيّ بإسناد الفعل إليه، ولم صار المسند إليه الفعل مرفوعا؟، فجواب ذلك أنّ صاحب الحديث أقوى الأسماء والضمة أقوى الحركات فجعل الأقوى للأقوى<sup>3</sup>، وفي هذا تعليل مفصّل لابن جنيّ نُوجله إلى حينه، ومن علة العلة نصير الحديث إلى الصنف الثالث من العلة :

3- العلة الجدليّة : وهي تعليل للعلة المتقدّمة (العلة الأوائل والثواني)، ويؤيّد ذلك تسويغها عن

طريق المنطق<sup>4</sup>، ويوردها ابن جنيّ في باب "تعارض العلة" ويحدد لهذا موضعين أو حالتين، الأوّل الحكم الواحد تتجاذب كونه العلتان، والآخر الحكمان في الشيء الواحد المختلفان دعت إليهما علتان مختلفتان<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص29.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جنيّ، الخصائص، ج1/160.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع السابق، ص31.

<sup>5</sup> ينظر: ابن جنيّ، الخصائص، ج1/155.

يبدو أنّ الاختلاف حول العلتان تتنازعان حول الشيء الواحد مردّه إلى ظهور الخلاف بين المدرستين البصريّة والكوفيّة، وندلل لذلك بمثال، حيث من المسائل المختلف فيها" القول في أصل الاشتقاق، الفعل هو أو المصدر"<sup>1</sup>، فالبصريون يرون أن أصل الاشتقاق هو المصدر والكوفيون يرون عكس ذلك، وراح كلّ فريق يتحدّج ببراهين ليس هذا مقام التفصيل فيها.

يبقى أن نشير إلى أنّ التعليل سواء أكان صرفياً أو صوتياً أو نحويّاً يصبّ في باب الاعتلالات التي تطرد أحياناً على كلام العرب، وتنساق إلى قانون لغتهم، وأحياناً أخرى تُظهر حكمتهم، وتكشف عن صحّة أغراضهم، ومقاصدهم في موضوعاتهم، والأولى أكثر شيوعاً واستعمالاً، وهي واسعة الشعب منها على المشهور أربعة وعشرين نوعاً، وهي: "علة سماع، وهلة تشبيه، وعلة استغناء، وعلة استئصال، وعلة توكيد، وعلة تعويض، وعلة نظير، وعلة وجوب، وعلة جواز، وعلة تغليب، وعلة اختصار، وعلة تخفيف، وعلة دلالة حال، وعلة أصل، وعلة تحليل، وعلة إشعار، وعلة تضاد، وعلة أولى"<sup>2</sup>، حيث يظهر من هذا صلة العلل بعضها ببعض نقصد النحويّة بالفقهية والكلامية .

ومن أشهر القائلين في العلل في آثار الدرس اللغوي أبو القاسم الزجاجي في كتابه "الإيضاح في علل النحو"، ثمّ ابن مضاء القرطبي في كتابه "الردّ على النحاة"<sup>3</sup>، وكان هذا بعد أن برز الفكر التعليلي مع الخليل بن أحمد الفراهيدي، وقد وسم ابن جني كتاباً بـ"علل الثنية" فيه مادة لغوية،

<sup>1</sup> ينظر: كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد الانباري النحوي، الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009م، ص 206.

<sup>2</sup> الفيروز آبادي، البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح: محمد المصري، دمشق، سوريا د ط 1974م، ص 69. 70.

<sup>3</sup> ينظر: سميرة رفاص، نظري الأصول والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2008/2007، ص

ونحوية مشفوعة بالتعليل بشكل مميز "قلّما نجد كتابا آخر احتواها بالشكل الذي عرضه ابن جني"<sup>1</sup>،  
وسنعرض لهذه الأوجه التعليلية عبر محطات هذا البحث.

### مقاربة ابن جني اللغويّة:

إنّ فكر ابن جني اللغوي عموما والصوتي خصوصا يمثل مقاربة حقيقية للتأسيس لنظرية أمّدت  
بسهام بحثها إلى معانقة الآفاق الحديثة، ذاك أن ابن جني على غير العادة تميز باشرقات فكرية وفنية  
وأسلوب متميز، وعلى غرار ما صنعه الفقهاء من الأصول والمتكلمون لعلم الكلام والفلاسفة لعلم  
المنطق رأى بضرورة ملء فراغ علم النحو بأصول علم النحو، لأن المكان الذي يتموقع فيه هذا العلم  
"علم أصول النحو"، هو المحل المستحق انطلاقا من الفاعلية التعليلية والتحليلية التي يحدثها في  
التحكم في الأداة اللغوية في حدود الغاية التي أرادها"<sup>2</sup>، وأهم ما يكشف عنه البحث مع هذه  
الموهبة الفكرية، هو العوامل التي كان يقوّي بها سلطة التعليل، والتحليل، والوصف أثناء التعامل مع  
الظاهرة اللغوية.

إنّ الذي يظهر بوضوح في عمل أبي الفتح وتفكيره المنهجي اللغوي، هو اهتمامه بالتعليل  
النحوي، حيث اوجد لكلّ حكم علّة صوتية، أو صرفية، أو دلالية، أو حتى عروضية، كما اوجد لكل  
سياق لغوي أو جزئية منه علّة عقلية سواء اتّصلت هذه العلّة بالأصول والفروض، أو كانت ظنيّة  
جدلية الأمر الذي يوحي بان العرب وإن كانت تنطق على سجيتها كانت تعرف مواقع كلامها

<sup>1</sup> ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، علل الثنية، تح: صبيح التميمي ورمضان عبد التّوّاب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2/1991م، ص 05.

<sup>2</sup> عمر بلملياني، تراث ابن جني اللغوي والدرس الصوتي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص 44.

بحسب منهج ابن جني، وربما هذا التساؤل تصعب الإجابة عنه، لأننا من خلال هذا العرض نبحث في تراث ابن جني عن المفاهيم النحوية القديمة، ونتقصى جوانب الإبداع والتجديد فيها. إنني أؤمن أن ابن جني سيظل بهذه المقاربة مرجعية قويّة تحيل إلى واقعية الأثر الذي أدخره للدرسين اللغويين، وكذا القراءة اللغوية واللسانية بفضل آرائه، وفطنته، ووعيه.

# الفصل الأول

التعليق الصوتي للمخارج

والصفات

تصدير:

إنّ الوقت يزداد بنواديه ضيقاً، ولا ينهج لي إلاّ الابتداء طريقاً .

لقد خصّ ابن جني كتابه "الخصائص" بأشرف ما صنف في علم العرب عن طريق القياس والنظر، حيث جمع فيه الأدلة وأودع في كتابه "سر صناعة الإعراب" أسرار هذه اللغة الشريفة من خصائص الحكمة ووشائج الإتقان والصنعة وجمع ما تفرد به الفريقان البصري والكوفي وخاض في أدنى أوشاله وخلجه متحججا معللا، لعلنا بهذه الدراسة وفي هذا الزمان بالتحديد نمسك شيئاً من العربية نعتقده من وجوب ذلك علينا في زمن عجمة الناطقين بأشرف لغة ألا وهي العربية .

أولاً- التعليق الصوتي :

### 1-1 على مستوى المخارج أو الموقفيات :

يتحدّث ابن جني، وهو يذكر عن نفسه الرواية عن حدّاق العربية وعلى مقاييسهم، فيقول: "وأتبع كلّ حرف منها مما رويته عن حدّاق أصحابنا وجلّتهم...، وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها"<sup>1</sup>، ويذكر ابن جني بقية أحكام الصفات والأحوال، وهو بذلك يحاكي سيبويه فيما أورده في الكتاب<sup>2</sup>، وهو باب الإدغام، وفيه يتحدث عن عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها، وأحوال مجهورها ومهموسها

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط 2، 2008 م، ج 1 / 16-

. 17

<sup>2</sup> ينظر، عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2009 م، ج 4 / 572 .

واختلافها<sup>1</sup>، ويفرد ابن جنّي لكل حرف بابا يفصّل فيه ذكر أحواله، وتصرفه في الكلام<sup>2</sup>، لأنّ ذكر الحروف مؤلفة كما يشير يعود إلى استيعاب جميع اللغة، وهذا مما يصعب أو يستحيل في حقّ العربية. **المخارج أو الموقعيات** : الصوت اللغوي ظاهرة يتقاسمها عنصران فيزيولوجي عضوي سمّاه اللغويون المخرج أو موقعيه الصوت، والآخر نفسي فيزيائي يعرف بالصفة<sup>3</sup>، حيث لا يدرك الثاني (الصفة) إلا من خلال تحقق الأول (المخرج) .

إنّ حديث المخرج يجزّنا إلى الخوض في ثنائية هامة أورد لها ابن جنّي هي الأخرى تعليقات، ألا وهي ثنائية الصوت والحرف .

**الصوت والحرف** : يقول ابن جنّي " اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والقم والشففتين مقاطع تننيه عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا " <sup>4</sup>، نستخرج من هذا التعريف أو الوصف أربع معطيات صوت، نفس، مقطع وحرف، حيث الصوت لا يجري دون نفس، و"لأن النفس الخارج من الصدر وهو مركب الصوت يحتبس إذا امتد اعتماد الناطق على مخرج الحرف، إذ أن الاعتماد على موضع من الحلق والقم يجبس النفس وإن لم يكن هناك صوت " <sup>5</sup>، والرضي في هذا لم يشر إلى الشفتين كإشارة ابن جنّي حين أوضح أن الاعتماد يكون في الحلق والقم والشففتين، ألا يبدو من هذا علو همّة الذوق والحسّ المرهف لدى ابن جنّي؟،

<sup>1</sup> ينظر: عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، ج 4 / 572 .

<sup>2</sup> ينظر: ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 17 .

<sup>3</sup> ينظر: مكّي درار، المحمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 49 .

<sup>4</sup> المرجع السابق، ج 1 / 19 .

<sup>5</sup> ينظر: رضّي الدين الأستربادي، شرح شافية ابن الحاجب، تح محمد نور الحسن وآخرين، منشورات المكتبة المرتضوية، طهران، د ط 1975، م،

ج 3ض / 209 .

وربما يكون الرضي قد أشار إلى الشفتين ضمنا حين ذكر الفم، فقد سبق وأن ذكرنا أن مصاديق هذا العلم دقيقة، أما حيث يكون جرس الصوت فذاك المقطع، بمعنى أن نقطة التعارض (الانسداد أو الانفتاح) هي التي تحدد مخرج الحرف المطلوب، إذ تتخذ أعضاء الجهاز النطقي أوضاعا عضلية معينة، وتحدث مخارج الحروف على وفق هذا الوصف<sup>1</sup>.

وما دام الحديث يدور حول المخرج والموقعية فلا بأس أن نعرض لمفهوم المخرج ونحدد مصطلحاته.

**المخرج ومصطلحاته:** مخرج الحرف هو الموضع الذي يتولد فيه الحرف ويخرج، ذاك أن الصوت اللغوي الذي هو الحرف يتولد عندما يصادف هواء الزفير الزامر أو غير الزامر سدًا أو مضيقًا في أي نقطة من مجراه الممتد من الحنجرة إلى الشفتين<sup>2</sup>، وهذا الذي أشار إليه ابن جني، وهو يفسر الصوت بالعرض، والعرض هو الذي يظهر ويبرز<sup>3</sup>.

لقد كان الخليل من الأوائل الذين ذاقوا الحروف للتعرف على مخارجها فأورد مصطلحات عدة منها:

**المبدأ:** مبدأ الحرف وهو مخرجه، **الحيز:** وهو مخرج لعدة أحرف متجانسة<sup>4</sup>.

**المدرج أو المجري:** وهو مسار هواء الحرف بعد خروجه، وقد يستعملان بمعنى المخرج، وإن نحن

أسقطنا بعض المعاني على كلمة (مخرج) وجدنا أن مخرج بفتح الميم تعني الموضع المعتمد أو الطبيعي

<sup>1</sup> ينظر: علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 1986 م، ص 64.

<sup>2</sup> ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب على حسن، القاهرة، مصر، ط 7، 2012 م، ص 52.

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 1، 2008، ج 3 / 377.

<sup>4</sup> ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هندواوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 1،

2003 م، ج 1 / 41.

## الفصل الأول.....التحليل الصوتي للمخارج والصفات

الذي يخرج منه الحرف، أما بالضّمّ فيعني الموضع الذي يمكن أن يخرج الناطق منه الحرف اختياراً وعمداً، وإن لم يكن هو المخرج المعتمد الطبيعي ففتح الميم أدق، وهو الذي ذهب إليه بعض المحدثين<sup>1</sup>.

لقد شبه ابن جنّي الجهاز النطقي بالناي في اختلاف أجراس حروف المعجم باختلاف مقاطعها، وناظر بينه وبين وتر العود، وأراد بهذا التمثيل الإصابة والتقريب لما في صنعة الصوت من النغم، ومن التعليقات التي أوردها ابن جنّي مثلاً: قال أبو عبيدة في قوله عزّ اسمه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ

مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ<sup>2</sup>﴾، أي لا يدوم، وعلل لذلك بأن الذي يعبد الله على حرف فهو قلق

في دينه، وهذا القلق يتمثل في عدم الثبات وعدم الطمأنينة، وعدم استحكام البصيرة، والقلق هذا يقابله قلق موضعي يتمثل في اعتماده على حرف دينه، غير واسط فيه، كالذي هو على حرف الجبل ونحوه<sup>3</sup>، أي على حافته، وقد يكون الحرف حد ما بين القراءتين وجهته وناحيته، ومن الأوجه التي علل

لها في القراءة: ﴿وَالْمَلِكُ عَلَى أَرْجَائِهَا<sup>4</sup>﴾، أي والملائكة، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُؤُكَ وَالْمَلِكُ

صَفًّا صَفًّا<sup>5</sup>﴾، أي والملائكة، فقد جاء الحرف واقعا موقع الحروف وهي جماعة، ومن كلام العامة "

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 52 (ينظر الهامش).

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية 11.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 28.

<sup>4</sup> سورة الحاقة، الآية 17.

<sup>5</sup> سورة الفجر، الآية 22.

## الفصل الأول.....التعليق الصوتي للمخارج والصفات

أهلك الناس الدينار والدرهم "، أي الدراهم والدنانير، وتعليقات ابن جني لهذه الأحرف نوردها في

الجدول الآتي مشفوعا بقراءة تحليلية للمعطيات :

### الحرف وحالاته وتعليقاته<sup>1</sup>:

الحرف	حالاته	أمثله	تعليقاته
01	حدّ الشيء وحدّته	طعام حرّيف يراد حدته	ازدياد حدته وحرارته
02	انحرف	انحرف فلان عني	جعل بيني وبينه حدّا بالنعل والانعزال
03	حرف على دينه	إمّا أنت حرف	غير ثابت، غير مطمئن، غير مستحكم للبصيرة، كالذي هو على حرف الجبل، أي على شك .
04	حروف الكلم ونواحيه	حروف الشيء وجهاته المحدقة به	الحرف حد بين القراءتين وجهته وناحيته، نقول حرف فلان في القراءة وحروفه
05	أدوات المعاني	أدوات المعاني حروفا نحو من، في، قد، هل، بل .	لأنها تأتي في أوائل الكلام وأواخره في غالب الأمر فصارت كالحروف والحدود
06	الحدّة	بآلة حادة الحرف، ناقة حرف	لحدته وفيه حرارة ولذع أي ضامر فتحدت أعطافها بالضمر والهزال .
07	الانتقال من حال إلى حال	انتقلت من سمن إلى هزال كأنه حرف جبل .	أي أنها انحرفت من حال إلى حال في شدتها وصلابتها .
08	الانحراف والميل	سبر الجرح التحريف في الكلام	أي نظر بغوره أو أبعاده تغيير معناه .
09	مسيل الماء	انحرف فسال الماء عنه	لم يستقم فيثبت عليه .

<sup>1</sup> ينظر ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 28/1 وما بعدها.

قراءة في الجدول: هذه المفاهيم والاصطلاحات جاءت متفرقة، وأحيانا مطوّلة الأمر الذي يفرض

علينا ألا نتصرف فيها كثيرا، لأن ذلك من شأنه الإخلال بالمفهوم الذي كان ابن جني يقصده.

لقد أشرت في مدخل هذه العرض أن ابن جني نفى أن يكون أحدا من أصحابه قد ألف كتابا

تعرض فيه لعمل أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقهاء<sup>1</sup>، وإشارة كهذه تجرنا إلى استعراض

علاقة التعليل الصوتي بأصول الكلام والفقهاء .

العلّة عند الأصوليين غير موجبة للحكم ولا مؤثرة فيه ولا باعثة عليه بالمعنى الذي يعطيه

المعتزلة لهذه الكلمات، بل العلة عندهم مجرد أمانة نصبها الله علامة على الحكم<sup>2</sup>، بمعنى أن

الأصوليين تنصلوا من فكرة التلازم بين العلة والمعلول، وأن ما يتوصل إليه يظل من قبيل الإدراك

والاجتهاد والحقيقة فيه نسبية<sup>3</sup>، لأن من شروطها حسب منهج الفكر الإسلامي، ألا تكون مخالفة

للنص أو الإجماع لأنهما مقدمان على القياس<sup>4</sup>.

فمن الذي سبق يتبين أن الفرق الجوهرية بين قياس الفقهاء والنحاة وقياس المتكلمين أن العلة

في العقلية حيث علم الكلام يفيد العلم، في حين لا تفيد العلة في الفقه والنحو سوى الظن<sup>5</sup>، ولا

يعني هذا بأي حال من الأحوال أن هناك تنافرا بين الثلاثة (الأصوليين، الفقهاء، الكلاميين)، بل

إننا نجد أعلام هذه التوجهات سواء قصدنا سيبويه، الفراء، أبا علي الفارسي، الرماني، ابن جني أو

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 1 / 17 .

<sup>2</sup> ينظر: محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ص 161 .

<sup>3</sup> ينظر: علي أبو المكارم، تقوم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، د ط، د ت، ص 121 - 122 .

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 121 - 122 .

<sup>5</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 153 .

الزنجشري، وأضربهم كانوا علماء نحو أو علماء كلام أو رجال دين<sup>1</sup>، وما يؤيد هذه الصلة التي تجمع القياس النحوي بالفقهي، ما رواه ابن خلكان من أن محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة سأل الفراء " ما تقول في رجل صَلَّى، فسها فسجد سجدتين للسهو، فسها فيهما؟ فكَرَّ الفراء ساعة، ثم قال له: لا شيء عليه، فقال محمد ولم؟ قال: لأن التصغير عندنا لا تصغير له، وإنما السجدتان تمام الصلاة، فليس للتمام تمام<sup>2</sup>، وبهذا تكون قد امتزجت أبحاث الفقهاء والمتكلمين بأبحاث النحو والنحويين، وأخذ كل فريق بسبب من ثقافة الآخر، ونذكر هذا لأننا إن عدنا إلى الجدول لمسنا أنّ بن جني أخذ من تعليلات الفريقين، وربما هذا الذي أشبع تعليله وضوحاً ومنطقية بغض النظر عن انتمائه المذهبي أو توجهه الطائفي، وهذا الذي يجب أن يكون لأن ما يهمنا من الموضوع آليات التعليل الصوتي ومنهجه، خاصة وأن العربية تتيح للمتكلم إمكانية الاختيار بين عدة صيغ تقديرية، وإن كان الاختيار أصلاً قاعدة لأي ممارسة لغوية، نعود من حيث كان يجب أن نبدأ ونستأنف حديث الموقعيات .

كان القدمان يحصّلون معلوماًهم الصوتية عن المخارج والصفات وغيرها انطلاقاً من منهج الذوق، في حين استعان المحدثون أكثر بأجهزة حاسوبية متنوعة<sup>3</sup>، ويجدر أن نعرض هذه المخارج مستوضحين تعليل ابن جني لها مطمئنين إلى ما قرره القدماء والمحدثون على حدّ سواء .

<sup>1</sup> ينظر: بكري عبد الكريم، أصول النحو العربي، ص 101 .

<sup>2</sup> ابن خلكان، وفيات الأعيان، القاهرة، 1948 م، ج 5 / 227 .

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 52 .

### الحروف على مراتبها في الاطراد :

يجاري ابن جني توجهات سيويه كثيرا، ومذهبه هو الصواب عنده، ويخالف في الوقت نفسه مذهب الخليل، وبالعنوان أعلاه ذكرها ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب"<sup>1</sup>، وهي: الهمزة والألف والهاء والعين، والحاء والغين، والحاء، والقاف، والكاف والجيم، والشين، والياء، والضاد، واللام، والراء، والنون، والطاء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والذال، والثاء، والفاء، والباء، والميم، والواو<sup>2</sup>.

من خلال قراءتنا المتواضعة لكتابي "الخصائص" و"سر صناعة الإعراب" بدى لنا أن الخصائص يرتكز حول أصل الأصول في قضية العلل، وتسميته أبين دليل على خصوصية العربية، وشرفها وشجاعتها.

لقد حاول ابن جني من خلال الخوض في تفسير أسرار الشغف الكامن في إحساس العرب بلطف صناعتهم هذه اللغة<sup>3</sup>.

وأما "سر صناعة الإعراب"، فهو مؤلف كامل في دراسة أصوات العربية، وهذا لا يعني بالمرّة خصوصية كل مؤلف، بل نجد آراءه مبثوثة في كليهما، وفي باقي تراثه الذي يفوق الخمسين مؤلف<sup>4</sup>، وكان من أرحح الآراء عنده قول سيويه، ثمّ شيخه أبي علي الفارسي<sup>5</sup>، وقد وقف أكثر أصحاب التراجم

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 59 .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: محمد مشبال، البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق 2007، ص 47.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، علل الشنية، تح: صبحي التميمي ومراجعة رمضان عبد التواب، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر ط2 / 1991 م، ص 23 .

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 35 .

من القدماء عند كتبه الكبيرة (الخصائص، والمحتسب، وسر صناعة الإعراب)، وسكتوا عن سواها " 1، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على قيمة المحتوى لهذه المؤلفات، وهذا التزام يحيلنا إلى أهمية الاستشهاد من هذه الآثار .

### الحروف العربية ونظرية الشيوخ:

الذي ذكره ابن جني من الحروف نقابله بما ذكره إبراهيم أنيس وأسماء نظرية الشيوخ، والتي مفادها أن الأصوات اللغوية التي يشيع تداولها في الاستعمال تكون أكثر عرضة للتطور من غيرها، وقد يصل حدّ الشيوخ للسقوط من الكلام<sup>2</sup>، فكان من نتائج هذه النظرية أن اللام والميم والنون والتي تعدّ من الناحية الصوتية أشباه أصوات اللين، وأن الواو والياء أنصاف لها، فيحدث أن ينتقل النطق بالواو أو الياء لا للسهولة بل للشيوخ أيضا، وقد تم إحصاء الظاهرة من القرآن الكريم، وقياسا إلى ألف من الأصوات الساكنة، وكان من النتائج ما نبينه بالجدول الآتي :

<sup>1</sup> ابن جني، رسالتان في الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، تح، مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر دمشق، سورية، ط1 / 1988 م، ص 05 .

<sup>2</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط 2008 م، ص 219 – 225 .

جدول شيوخ الأصوات العربية :

الرقم	الصوت	الشيوع	الرقم	الصوت	الشيوع	الرقم	الصوت	الشيوع
01	ل	127	10	ك	41	19	خ	10
02	م	124	11	ر	38	20	ص	08
03	ن	112	12	ف	38	21	ش	06
04	ء	72	13	ق	23	22	ض	05
05	هـ	56	14	س	20	23	غ	05
06	و	52	15	د	20	24	ث	05
07	ت	50	16	ذ	18	25	ز	04
08	ي	45	17	ج	16	26	ط	04
09	ب	43	18	ح	15	27	ظ	03

مع مكونات الجدول :

لقد أشار ابن جني إلى ترتيب الحروف على مراتبها في الاطراد، أي في تتابع مواقعها من الحلق إلى الشفتين بدليل قوله : "هذا ترتيب الحروف على مذاقها وتصعدها، وهو الصحيح، فأما ترتيبها في كتاب العين ففيه خلل واضطراب، ومخالفة لما قدمناه آنفا مما رتبته سييويه، وتلاه أصحابه عليه، وهو الصواب الذي يشهد المتأمل بصحته<sup>1</sup> .

ويقول في موضع سابق لهذا: " فإذا كنا قد جمعنا إيراد حروف المعجم على ما في أيدي الناس من التأليف المشهور أعنى على غير ترتيب المخارج وذكرها حرفا حرفا "<sup>2</sup>، فأمر جمعها على حال المخارج يقول: إنه أوضح في البيان، ثم نعود فيما بعد على استقرائها على تأليف، أ، ب، ت، ث .

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 59 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج 1/58.

يتبين من القولين أن تعليقه لجمع وترتيب الخليل فيه حطل، واضطراب إشارة إلى موضع الخلاف الذي دار حول حرف العين، فلماذا لم يبدأ الخليل بالهمزة؟ وهي أدخل الحروف إلى الحلق بحسب ترتيب وزعم تلميذه سيويوه، بل بحسب زعمه هو نفسه حين قال: "والهمزة في الهاء لم يكن لها حيز تنسب إليه"<sup>1</sup>، " وهذا الترتيب كما ترى لا يكاد يعرفه أحد من عامة المشتغلين باللغة، أما خاصتهم فليسوا على كلمة سواء إزاء ذلك الترتيب "<sup>2</sup>.

بمعنى أنهم خالفوه إن تقديمها وإن تأخيرها، وأود أن أشير هاهنا إلى أن الخليل قد أحصى مفردات العربية وبذلك هيأ مادة مصنفة معروفة لمن جاء بعده من اللغويين الذين صنفوا المعجمات، ولقد توصل إلى ذلك من خلال الاهتداء إلى طريقة التقلب التي استطاع بها أن يعرف المستعمل من الممهل<sup>3</sup>، ونحن إذ نتحدث عن التقلب الذي كشف الخليل عن نقابه الأول لا ننسى ابن حنّي الذي عقد بابا كبيرا للاشتقاق في كتابه "الخصائص"، حتى أنه بدأ بباب " القول على الفصل بين الكلام والقول "<sup>4</sup>، فذكر أحوال تصاريف مادة " ق، و، ل " واشتقاقها، فالرجلان يلتقيان عند باب كبير من اللغة ألا وهو الاشتقاق، و"التصريف الملوكي" لابن جني خير دليل على ما نقول، أما الخلاف في الترتيب فوارد حول الهمزة .

<sup>1</sup> الخليل، العين، ج 03/1.

<sup>2</sup> ينظر: ابن حنّي، سرّ صناعة الإعراب ، ج 19/1.

<sup>3</sup> الخليل، العين، ج 04/1

<sup>4</sup> ينظر: المرجع السابق، ج 19/1

الهمزة في مفهوم النظرية الصوتية القديمة :

نقل ابن كيسان مما حكاه السيوطي، قال " سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال لم أبدأ بالهمزة، لأنها يلحقها النقص، والتغيير، والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة اسم أو فعل إلا كانت زائدة أو مبدلة"<sup>1</sup>، فما لا يستقر على حال كالذي يعبد الله على حرف، قال أبو حيان: "المهتوت صوت الهمزة، سميت بذلك لخروجها من الصدر كالتهوع، فتحتاج إلى ظهور صوت قوي شديد، واهتت الصوت بقوة"، وقال ابن منظور: قال الخليل " الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق فإذا رفّه عن الهمزة كان نفساً يحوّل إلى مخرج الهاء، لذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة نحو أراق وهراق "<sup>2</sup>، وعلى ضوء هذه الأقوال نجمل الآتي :

إنّ الخليل بكل ما ملكه من حسنّ وتذوق نوعي للحروف عدّ الهمزة مع الألف والواو والياء، حيث جرت طريقته في التذوق أن يأتي بالحرف ساكناً، ويفتح فمه بهمزة، فلما جاء إلى صوت الهمزة كانت همزتين، همزة ارتكاز، وهمزة يراد تذوقها فأحسنّ بالثقل، وإن كان هذا هو الحال الحاصل، فهو بالاجتهاد، وليست الحقيقة كلها، وإلا نطرح السؤالين التاليين ونتركهما مفتوحين، أما الأول منهما كيف يغيب أمر كهذا عن الخليل وهو هو ؟ مؤسس العلم ورائده الأوّل، وثانيهما كيف تنطق الهمزة نطقاً ذوقياً تواترياً أجاده القراء والحافظون ؟ وإلا فالهمزة موجودة، ولم تغب يوماً عن الحروف العربية .

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 185.

<sup>2</sup> ينظر: عبد القادر عبد الخليل، علم الصرف الصوتي، دار صفاء للنشر والتوزيع عمان، ط 1 / 2010 م . ص 410-411.

هذا عن الخليل أما سيبويه، فقد عدّها من أقصى الحلق مع الألف والهاء، وابن جني جارى سيبويه فيما ذهب إليه وخالف الخليل، وما أظن الخليل أنّه بدأ بالعين إلا لأنها أنصع وأقوى، ولن يكون ما ذهب إليه إبراهيم أنيس<sup>1</sup>، سوى مقارنة وصفية تحتاج إلى دليل علمي حين تحدث عن حروف المد، وقال بعدم دقة رواية معجم العين القائلة بجوفيه وهوائية مخارج حروف المد .

بالعودة إلى معطيات الجدول الذي أوردناه على أساس نظرية الشيوخ يذكر ابن جني شاهدا قرآنيا : ﴿فَمَا اسْطَبَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾<sup>2</sup>، يقول أصله: "استطاعوا" فحذفت التاء لكثرة الاستعمال، ولتقرب التاء من الطاء<sup>3</sup>، وهذا الأصل مستعمل، ويقول ألا ترى أن عقيب قوله تعالى : ﴿وَمَا اسْتَطَبَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾<sup>4</sup>، وفيه لغة أخرى وهي: "استعت" بحذف الطاء كحذف التاء، ولغة ثالثة "أسطعت"، ورابعة "أستعت"، فيحصل بهذا خمس لغات، استطعت، واسطعت، واستعت، وأسطعت، وأستعت<sup>5</sup>، وبعد أن عرضنا لشواهد الشيوخ في الاستعمال، نصيّر الحديث فيما يلي الفروع المتفرعة عن الأصول إلى:

### الحروف الفروع :

وهي نفسها التي أوردتها سيبويه في الكتاب جراه فيها ابن جني في " سرّ صناعة الإعراب " .

<sup>1</sup> ينظر : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 111 .

<sup>2</sup> سورة الكهف الآية 97 .

<sup>3</sup> - ينظر: ابن جني الخصائص، ج 1 / 227 .

<sup>4</sup> سورة الكهف، الآية 97 .

<sup>5</sup> - ينظر: المرجع السابق، ج 1 / 228 .

جدول الحروف الفروع المستحسنة :<sup>1</sup>

الرقم	تسمية الحروف	التمثيل لها
01	النون الخفيفة، ويقال الخفية	وهي نون ساكنة مثل الأنفال، إن كنتم .
02	الهمزة المخففة ( بين بين )	ليست همزة محققة مثل يومن، بيس
03	ألف التفخيم بين الألف لخالصة والياء الخالصة	مثل الصلاة ( صلواة، مشكواة)
04	ألف الإمالة	مجريها، رحمة
05	الشين التي كالجيم	أشددق تنطق أشددق
06	الصاد التي كالزاي .	مصدر

جدول الحروف الفروع غير المستحسنة :<sup>2</sup>

الرقم	تسمية الحروف	التمثيل لها
01	الكاف التي بين الجيم والكاف	الكاف الصماء، مثل كمل، جمل
02	الجيم التي كالكاف	مثل رجل، ركل
03	الجيم التي كالشين	أجدر، اجتمعوا
04	الضاد الضعيفة (بين الضاد والطاء )	أضر، أتر
05	الصاد التي كالسين	أسطفي في أصطفي، صاير، ساير .
06	الطاء التي كالتاء	طالب، تالب، طال، تال
07	الطاء التي كالذال	ظالم، ذالم
08	الباء التي كالميم ( بين الفاء والياء )	إستبرق، استفره

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د ط 1428 هـ، ص 50 - 53 .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 50-53.

### قراءة في الجدولين :

إن كان من قراءة حول الحروف الفروع المستحسنة، وغير المستحسنة، فإن ابن جني قد نحا منحى سيوييه فيما ذهب إليه من تعدادها ووصفها دون ذكر أمثلة، وما استقيناه من التمثيل لها ذكره ابن عصفور في كتابه المقرب<sup>1</sup>، إن هذه الحروف البينية قد عنيت بالدراسة من لدن بعض المحدثين نذكر منهم مثلاً تمام حسان الذي اشتكى من قصور الكتابة عن التعبير الصوتي، فيقول: " لا تكفي رموز الأبجدية العربية بنفسها للقيام بدراسة أصواتية ...، ذلك لأن رموز هذه الأبجدية قاصرة قصورا عظيما من وجهة نظر العلل، وقصور أقل من وجهة نظر الصحاح"<sup>2</sup>، ولم يقف عند هذا الحد، بل راح يضع رموزا كتابية من اختراعه، غير أنه لم يكتب لها الاشتهار، ولم تلق رواجاً .

وإن كان من كلام عن هذا، فيكفينا في النص القرآني موردا ومنها لا ينضب معينه، لأن المولى

تبارك وتعالى قال: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾<sup>3</sup>.

إن نحن أمعنا النظر في الأصوات الفروع المستحسنة وجدنا كل واحد من هذه الحروف بين حرفين أصليين قويين، لأن هذه الأصوات تتمتع بصفات القوة، فمثلا الزاي التي بين الصاد والزاي(مصدر) لا هي صاد خالصة ولا هي زاي خالصة، حيث علة التأثير والتأثر تحصل بحكم الجوار .

<sup>1</sup> طالع: عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، دروس في النظام الصوتي للغة العربية، ص 54 .

<sup>2</sup> مكّي درار، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 91 .

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية 38 .

إنّ في تجاور الصاد المهموسة مع الزاي المجهورة تأثير وتأثر يتمثل في فقدان الصاد جزء من همسها، فيصيبها الإجهار<sup>1</sup>، ويتفرع عنهما صوت واحد ينحدر من المخرج نفسه، و"مخرج المتفرع واضح"<sup>2</sup>، حيث الزاي يفقد جزءا من جهره متأثرا ب همس الصاد، ولا يفقد الصاد صفته كلية نظرا لاكتسابه بعض صفات القوة كالإطباق والاستعلاء، هذا تعليل معجز للتنازع الحاصل بين الحروف الأصول لتوليد حروف فروع، فما حسنت الأصوات الستة إلا لأنها جاءت فروع لأصول قوية، وما ضعفت الثمانية إلا لأنها انحدرت من صفة القوة إلا الضعف، فمثلا الطاء التي كالتاء، فالطاء حرف مجهور، شديد، مطبق، مستعل تحول إلى تاء مهموسة مستغلة .

ومن حديث الحروف وتعدادها، نسلم المبحث إلى حديث المخارج .

### تعليل مخارج الحروف:

يقول ابن جني مجاريا سيبويه فيما ذهب إليه في هذا الباب " اعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر"<sup>3</sup>، ويقول ابن الجزري في متنه المشهور :

مخارج الحروف سبعة عشر      على الذي يختاره من اختبر<sup>4</sup> .

لقد اختلف العلماء في عدد مخارج الحروف، بين أربعة عشر، وستة عشر، وسبعة عشر، مخرجا، وعلماء التجويد على أنها سبعة عشر على الرأي المختار وهو رأي تحليل، وقال سيبويه إنها ستة عشر،

<sup>1</sup> ينظر: سمير رفاص، نظرية الأصالة التفرع الصوتية في الآثار العربية، سيدي بلعباس، الموسم 2007 – 2008، ص 167.

<sup>2</sup> ابن الحاجب، متن الشافية في شرح الشافية، رضي الدين الأسترباذي، حققهما وضبط غريهما وشرح مبهمهما، محمد أبو الحسن وآخرون بيروت، لبنان، د ط، 1975 م، ج 3 / 4 / 25 .

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>4</sup> شمس الدين محمد بن محمد الجزري، متن الجزرية في فن التجويد، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، د ط، د ت، ص 05 .

فأسقط مخرج الجوف ووزع حروفه على بقية المخارج، فجعل الألف من الحلق والياء وسط اللسان، والواو من الشفتين، وتابعه على ذلك كثير منهم الشاطبي، وذهب قطرب والجرمي والفراء ومن تبعهم إلى أنها أربعة عشر مخرجا، فأسقطوا الجوف كما فعل سيبويه، وجعلوا مخارج اللسان ثمانية لأنهم جعلوا اللام والنون والراء من مخرج واحد ( حيز ) كلي ذي مخارج جزئية<sup>1</sup>. وابن جني يعتدّ بمذهب سيبويه كثيرا.

**الصفات المخرجة وتعليقها :** نقصد بذلك نسبة الأصوات إلى مواضعها ومخارجها، وهي أشبه بالألقاب لها، وليست صفات تميزها، وإن ذكرت هذه الصفات فهي إضافية، لأنّ عناية العلماء بما قلت خاصة سيبويه<sup>2</sup>، ويعود السبب في ذلك إلى عنايتهم بالصفات الحقيقية، والصفات المخرجة هي مراقبة، أو وصف لأداء الجهاز النطقي، ونعرضها وفق الترتيب الصوتي الذي أورده ابن جني .

### 1- الحلقية : الهمزة والهاء والألف .

إن مراقبة خارطة المناطق التي تنطلق منها الأصوات وما تشتمل عليه كل منطقة من أصوات بات معروفا ومكرورا في الكتب الأصواتية، فالحلق عند ابن جني وسيبويه يتضمن معنى الحنجرة<sup>3</sup>، وابن جني قد التفت إلى تباين العلماء في ترتيب الأصوات الحلقية، فتحقق مما جاء به سيبويه ليكون ذلك دليلا على التعليق لما ذهب إليه أبو الحسن، حيث بدأ بالهمزة وجعل الألف مع الهاء لا قبلها ولا

<sup>1</sup> ينظر: زكريا بن محمد الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، ضبط و تحقيق زكريا توناني. دار الإمام مالك، ط 1، 2011 م، ص 38 .

<sup>2</sup> ينظر : عبد القادر مرعي الخليل، المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في علم اللغة الحديث، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ط 1، 1993 م، ص 195 .

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن جيل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 71 .

بعدها<sup>1</sup>، فيقول: "والذي يدل على فساد ذلك وصحة قول سيويه أنك متى حركت الألف، اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل، فقلبتا همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتا هاء وهذا واضح غير خفي"<sup>2</sup>، ويصفها المحدثون على أنها حنجرية .

### الهمزة:

إنّ الأصوات الأساسية هي التي يتم توزيعها بعامل الوترين الصوتيين في أعلى الحنجرة، فما قوي معه الاهتزاز ولم يبلغ الحد الوسطى ( 10.000هزة ) فهو مهموس، وما كانت درجة الاهتزاز معه فوق هذا الحدّ، فهو مجهور<sup>3</sup>.

تخرج الهمزة من فتحة المزمار نفسها بعصر زمير الأوتار لحظة اتجاهها للالتقاء وإغلاق تلك الفتحة، أو لحظة افتراقها بعد أن كانت مغلقة"<sup>4</sup>، أي أن الهمزة تحدث من حالتين باختيار حسب الوقوع والحدوث، إما أثناء الالتقاء والفتح أو أثناء الافتراق والغلق، فالهمزة تتمثل في عصرة الزمير لحظة صدوره لا لحظة اهتزازه، لأن الميزة المميزة لصوت الهمزة هي العصر اللازم للعصر الذي ينقطع به الزمير وهناك من يرى أن اللسان لا أثر له في حدوثها<sup>5</sup>، فيبدو لي أن اللسان في أخذه لأي وضعية أثناء النطق وإن كانت وضعية راحة، فهو تسهيل لأمر النطق كضرورة الوقود للسيارة، وقد تتوقف دون وجود الماء الذي هو رمز الحياة ونشر وجودها .

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: مكّي دار الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 54 .

<sup>4</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 74 - 75 .

<sup>5</sup> ينظر: عادل نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 176 .

### الألف :

يخرج الألف بارتعاد الوترين، فيمتد الزمير بين الوترين وهما في حالة تقارب، لكن بينها وبين الهمزة تقارب وبينهما فروق<sup>1</sup>.

### الهاء :

تخرج الهاء بانفراج الأوتار الصوتية انفراجا كبيرا أمام الهواء المندفع من الرئة، حيث يتراجع الحنك اللين إلى الأعلى والخلف تراجعاً واقفا لحظة، وذلك يساعد على إفراغ نفس الهاء بسرعة ويسر، ويؤيد ذلك قول ابن سينا " أما الهاء فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز، ( يقصد الحفز الحاصل للهواء أثناء حدوث الهمزة ) في الكم والكيف إلا أن الحبس لا يكون حبسا تاما بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة<sup>2</sup>، ويشير إلى الاندفاع بأنه مائل إلا إلى الوسط " والهاء نفس لا اعتياص فيها وبأنها خفيفة لا صوت لها " <sup>3</sup>.

إذا كان ابن جني أقر بخروجها مع الألف والهمزة من أقصى الحلق، فقد أثبت البحث أن أقصى الحلق يتفق مع موضع ( صوت الصدر )، أي موضع صدور زمير الجهر، وهو فتحة المزمار في الحنجرة<sup>4</sup>، معنى أنه يمكننا القول إن قدماء اللغويين العرب يرون بجنحيتها " وهو ما آثره ابن سينا بعد ذكر الهمزة

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 78 .

<sup>2</sup> ينظر: الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، تح محمد حسان الطيآن وبجي مير علم، تقديم ومراجعة شاكر الفحام وأحمد راتب التفاح، دار الفكر، دمشق سورية، ط 1 / 1973 م، ص 72 .

<sup>3</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1 / 39.

<sup>4</sup> ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 80 - 81 .

بأنها في أول الغضاريف الهرمية ( في الخنجره)<sup>1</sup>، والهتّ الصبّ بضغط وقوة، ذلك أن النفس يتدفق في خروج الهاء بقوة وانصباب، فلا يستطيع الاستمرار طويلا في نطقها ساكنة، والسر في ذلك هو سعة انفراج الأوتار أمام نفسها وامتداد اتساع الحلق بتراجع اللهاة.

### حروف وسط الحلق :

العين والحاء تخرجان وسط الحلق، " والعين أعمق كما لاحظنا ذلك بالذوق " <sup>2</sup>، لأن منطقة انزلاق صوتها أعمق وأدخل من منطقة احتكاك الهواء في الحلق لإخراج صوت الحاء، ولا اختلاف بين القدماء والمحدثين على ذلك إذ العين ثلاثي الأداء<sup>3</sup>، متى لوحظ معها :

- تنوء لسان المزمار إلى الخلف لتحقيق ضيق المجرى الهوائي ليتحقق الاحتكاك.
- ارتفاع الطبقة ليسد المجرى الأنفي .
- اهتزاز الوترين الصوتيين.
- والعين رطب المنفذ فيه نصوغة وصفها الخليل بالطلاقة وضخامة الجرس .

ولعل قوله : " لولا بحّة في الحاء لأشبهت العين"<sup>4</sup>، إشارة إلى تميز الحاء بالجفاف، والعين بضد ذلك (رطبة) .

<sup>1</sup> ينظر: ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 72 .

<sup>2</sup> المرجع السابق، ص84

<sup>3</sup> ينظر: عادل نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 178.

<sup>4</sup> ينظر: الخليل، العين، ج1/41.

وقول الأزهري أقوى " أما العين فأنصع الحروف جرسا وألذها سماعا " <sup>1</sup>، وعبارة ابن جني "النصاعة العين ولذاذة مستمعها " <sup>2</sup>، وبالرغم من اشتراكهما في المخرج كما رأينا إلا أنه قل الإبدال بينهما <sup>3</sup>، وربما يرجع هذا إلى قلة الشبه بين جرسيهما .

### حرفا أدنى الحلق :

" وما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء " <sup>4</sup>، ويخرجن بارتفاع أعلى جذع اللسان ( وهو أقصى اللسان ) إلى أصل اللهاة حتى يحتك به أو يعتمد عليه، حيث يقصد بأصل اللهاة الحنك اللين الذي يرتخي امتداده حتى تتدلى منه اللهاة، ويسميه المحدثون الطبق <sup>5</sup>، فيقال لهذه الحروف لهوية أو طبقية مضافا إليها حرف القاف.

يلاحظ الدارس أن تصنيفات القدامى للأصوات جاءت باعتماد مبدأي الحس المرهف، والذوق السليم للأصوات، وهي ثمرة من ثمار الملاحظة الدقيقة، والمنهجية الوصفية.

يقول صاحب النشر في القراءات العشر إن "شريح" نصّ على أن الغين قبل، وهو ظاهر كلام سيبويه أيضا، ونصّ مكّي على تقديم الخاء، وقال أبو الحسن علي بن محمد بن خروف النحوي: إن سيبويه لم يقصد ترتيبا فيما هو من مخرج واحد <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 1 / 76.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 79 .

<sup>3</sup> ينظر: عادل نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 88 .

<sup>4</sup> المرجع السابق، ج 1 / 60 .

<sup>5</sup> ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 90 .

<sup>6</sup> طالع : ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1 / 199 .

إنّ تحديد مخرج الغين والخاء مبني على تذوقهما خاصة لأنهما موضع خلاف، وبهذا قال من القدماء ابن سينا والقاضي علي بن مسعود بن الفرخان صاحب "المستوفي في النحو" وشريح الرعيني والخفاجي، وقد أغفلوا عدا الخفاجي دور أقصى اللسان في نطقهن<sup>1</sup>، وربما التحديد المذكور يفهم من كلام ابن جني "ومما فوق ذلك مع أول الفم مخرج الغين والخاء"<sup>2</sup>، أي أن أول الفم من الداخل الذي جانبا أصل اللهاة من أعلى وأقصى اللسان من أسفل، ولقرب الخاء من الغين مخرجا وحدثهما نتيجة احتكاك دون منطقة اللهاة وقع بينهما الإبدال بصورة قليلة، من ذلك مثلا أغبن ثوبك، وأخبن ثوبك<sup>3</sup>، أي أنه في يدك حتى لا يتدلى.

**القاف** : ومما فوق ذلك مما أقصى اللسان مخرج القاف<sup>4</sup>، وهي تخرج بالتقاء أقصى اللسان بأصل اللهاة التقاء محكما يجبس النفس، أي أنها تخرج من مخرج الخاء والغين إلا أنها شديدة، وهذا التحديد ناتج عن كون اللهاة هو ملتقى أقصى اللسان بها صرح به الخليل فقال "، وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم<sup>5</sup>، ويرد ذلك بقوله "ثم القاف والكاف لهويان والكاف أرفع"<sup>6</sup>، يقصد أن مخرج الكاف بعد القاف إلى جهة خارج الفم، وابن سينا قال عنها

<sup>1</sup> طالع : محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 90.

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>3</sup> طالع: المرجع السابق، ص 91-92

<sup>4</sup> طالع: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>5</sup> ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1 / 37 \*عكدة اللسان وسطه ( عكدة).

<sup>6</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 41 .

"والقاف تحدث حيث تحدث الخاء ولكن بجس تام"<sup>1</sup>، يعني أنها شديدة، والقاف قريبة من الخاء والغين

وهو ما يؤيده قول ابن سينا " ونسبة الكاف إلى الغين هي نسبة القاف إلى الخاء"<sup>2</sup>

ولنطق هذه القاف يندفع الهواء بين الوترين زامرا لتضايق منفذه بينهما، فيذ وصل إلى أعلى

الحلق ارتفع أعلى جذع اللسان، وقابلته نهاية الحنك الأعلى ( اللين )، فالتقيا التقاء محكما يسد مجرى

الهواء ونسمع صوت القاف.

وعليه فإننا نؤيد أن تكون هذه القاف اللهوية مجهزة بالإثباتات التالية :

- لأنها تخرج من عكدة اللسان، كما صرح بذلك الخليل، وابن سينا، وشريح وابن يعيش، وهو رأي ابن

جني وشيخه أبي علي الفارسي<sup>3</sup>، حين وافقه فيما ذهب إليه من الإتياع .

- عبارة سيويه توافق هذا الرأي، وذلك من خلال قوله : "ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك

الأعلى مخرج القاف "<sup>4</sup>، بمعنى أن هذه القاف مجهزة لتذبذب الوترين وحدوث الزمير، وشديدة لالتقاء

لالتقاء المحكم بين جذع اللسان واللهة التقاء محكما، وتكتسب من صفات القوة: الجهر والشدة

والاستعلاء والتفخيم .

<sup>1</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 74 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 74 .

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 95.

<sup>4</sup> سيويه، الكتاب، ج 4 / 573 .

\*القاف المفقودة : القاف الريفية ( التي تخرج من قرب وسط اللسان ) الجيم القاهرية، الكاف الصماء والكاف الفارسية التي ذكرها سيويه في الحروف غير المستحسنة .

صحيح هناك بعض القافات التي تفقد هذه الصفات كالقاف الريفية التي تخرج من نقطة تالية لأقصى اللسان<sup>1</sup>، والقاف السودانية التي كالغين، فهي قاف رخوة فقدت الشدة، ونسمع مثلا اليوم نطق الغزاويين للقاف وذلك بإلحاقها بالكاف فتغلظ جدا، فيقولون للقدس الكدس، يقول ابن الجزري " والقاف فليتحرز على توفيتها حقها كاملا وليتحفظ مما يأتي به بعض الأعراب وبعض المغاربة في إذهاب صفة الاستعلاء منها حتى تصير كالكاف الصماء " <sup>2</sup>، وأكثر متعلق الاستعلاء بالمخرج .

**الكاف : أدناه غين خاؤها والقاف** أقصى اللسان فوق ثم الكاف<sup>3</sup>  
**أسفل والوسط فجم الشين يا** والضاد من حافته إذ وليا

يقول ابن جني: " ومن أسفل من ذلك ( أي مخرج القاف ) وأدنى إلى مقدم الفم مخرج الكاف"<sup>4</sup>، عبارة ابن جني " إلى مقدم الفم " <sup>5</sup>، عبارة دقيقة، أما الآخرون فعباراتهم فيها اتساع قلل من دقتها، والخليل في ذلك على ما قال بعبارته " والكاف أرفع "<sup>6</sup>، أخرج، أي أقرب إلى الخارج، وسيبويه بعبارته " من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف "<sup>7</sup>، فالأسفل من مخرج القاف في اللسان هو ما يقدر بنهاية الثلث الداخلي والجمهور على إتباع عبارة

<sup>1</sup> ينظر محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 95.

<sup>2</sup> طالع: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1 / 220 .

<sup>3</sup> شمس الدين محمد بن محمد الجزري، متن الجزرية، ص 05 .

<sup>4</sup> طالع: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>5</sup> طالع: المرجع نفسه .

<sup>6</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1 / 41 .

<sup>7</sup> سيبويه، الكتاب، ج 4 / 573 .

سيبويه حتى ابن جني نفسه اللهم إلا في بعض العبارات، أما ابن سينا، فالكاف عنده تحدث حيث تحدث الغين<sup>1</sup>.

غير أنها أخرج يسيرا من مخرج الخاء والقاف اللهويتان<sup>2</sup>، حيث أن مخرج الكاف عنده من موضع الغين، ويبدو أن هذا أمر لا نسلم له به أي أن يكون مخرج الكاف من موضع الغين لأن حدوث الكاف يكون بالتقاء متن اللسان لا بكل عرضه، وعلى أول الحنك الصلب لأعلى الحنك الرخو، وهي مستعلية بارتفاع واحد، والغين أدخل.

### أحرف وسط مقدم اللسان :

وهذه الأحرف هي: الجيم، والشين، والياء.

ذهب ابن جني مع هذه الأحرف أيضا مذهب سيبويه، وهي تخرج من وسط اللسان دون طرفه، والخليل قبلهما حدد لها شجر الفم، وشجر الفم<sup>3</sup> منفتحته من الشدق إلى الشدق، أما عن ترتيب هذه هذه الأحرف في المخرج فهي الجيم والشين ثم الياء، "ومخرج الشين والجيم متقدم قليلا عن مخرج الياء، فهما من مقدمة الحنك، بينما الياء من وسط الحنك<sup>4</sup>، ودليل ذلك أنه يحدث أحيانا تبادل حين تدغم الشين في السين، أو تميل إلى الجيم إذ تبعها حرف مجهور، وهو ما نلاحظه، أو نسمعه من حديث العامة (سجرة، شجرة، شمس، سمش)، وتفقد الجيم جهرها في اجتماع اشتمع<sup>5</sup>، والياء التي نتحدث عنها مع

<sup>1</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 74.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 74.

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 100.

<sup>4</sup> مصطفى حركات، الصوتيات و الفونولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1998 م، ص 119.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 119.

هذه المجموعة، هي الياء غير المدية، وسيبويه يجعلها من مخرج الساكنة، أي أنه أسقط الجوف الذي قال به الخليل .

لقد ألحق الخليل بهذا المخرج مخرج الضاد، وهناك من يرى أن هذا من أوهام ما زيد في معجم العين، ويبدو أن الخليل حين ألحقها بالشجرية كان يقصد سردها ترتيباً لأنه قال " ثم الجيم والشين والضاد في حيز واحد " <sup>1</sup>.

وأشرنا من ذي قبل أن المصطلحات عند الخليل دقيقة، وإن تعددت فهو هنا يذكر أنها من حيز واحد، ولم يشر إلى المخرج بعينه لأن الضاد وكما نعلم تعتاص إلا على القلّة المجرّدة المجيدة، ويتم النطق بهذه الأحرف الثلاثة وفق الآتي :

**الجيم** : ثلاثي الأداء <sup>2</sup>.

- ارتفاع مقدم اللسان في اتجاه الغار حتى يتصل به محتجزا الهواء .

- انفصال اللسان ببطء لخلق الاحتكاك الهوائي بالإضافة إلى تذبذب الوترين الصوتين هي تنطق بعدة

طرق لأن منها الجيم الكافية التي هي كالكاف الفارسية، وهناك الجيم الشامية التي تنطق مثل (J) في

JOIN، وتنطق باقتراب مقدم اللسان دون طرفه وما فوقه من الحنك الأعلى واللثة اقترابا شديدا بحيث لا

يمرّ الهواء بينهما إلا باحتكاك مسموع <sup>3</sup>، والجيم الشامية نسبة إلى الشام، وهي رخوة مجهورة، ولعلها التي

<sup>1</sup> ينظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1 / 41 .

<sup>2</sup> ينظر :عادل نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 174 .

<sup>3</sup> طالع: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 101 .

عناها سيبيويه حين تحدث عن الفروع المستحسنة<sup>1</sup>، أي الجيم التي كالشين، وهناك الجيم المعطشة الشديدة والتي تسمع من القراء، وهي التي تخرج بجبس النفس حبسا تاما، ويحتك الهواء بانفجاره مساحة واسعة من اللسان والحنك، وذلك لعرض مساحة الالتقاء والحبس<sup>2</sup>، فيسمع الاحتكاك شبيها بجرس الشين، وهذه "المشابهة هي التعطيش"<sup>3</sup>، لكن ما أورده إبراهيم أنيس<sup>4</sup> أن الجيم انفجارية احتكاكية معا، وتبدأ وكأنها دال وتنتهي بجيم معطشة يقودنا إلى التساؤل الآتي : أي الجيمات السابقة أفصح؟ وكيف تنطق الفصيحة من هذه الجيمات؟

ونعرض للإجابة بما يلي :

أرجح أن تكون الجيم المعطشة الشديدة هي الأفصح للأسباب والعلل الآتية :

- للنطق بهذه الجيم يندفع الهواء ويمر بين الغشاءين الصوتيين محدثا زميرا، وهو زمير الجهر حتى تصل إلى تجويف الفم فيرتفع وسط مقدم اللسان ليلتقي بمقدم الحنك التقاء محكما، ثم يفارقه في شيء من البطء فنسمع صوت الجيم<sup>5</sup>.

- تصنيف سيبيويه للجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين وهي الشامية (الرخوة) ضمن الحروف الفروع غير المستحسنة .

<sup>1</sup> ينظر: سيبيويه، الكتاب، ج 4 / 572 .

<sup>2</sup> طالع : محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية ص 102 .

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

<sup>4</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 75 - 76 .

<sup>5</sup> المرجع السابق، ص 102 وما بعدها

- الأمر الآخر الذي يبعد الشامية(الرخوة)، هو أن الجيم الفصيحة مقلقلة، والققللة خاصة بالحروف الشديدة المجهورة .

- إذ أسقطنا الأمر على الإدغام، أي إدغام لام التعريف فإنها لا تدعم إلا في الحروف التي يشترك في إخراجها طرف اللسان، وهي لا تدغم في الجيم في حين تدغم في الشين والزاي لتلك العلة<sup>1</sup>، فدل ذلك على أنها ليست كالشين، ولا كالزاي اللتين تشبهان الجيم الشامية .

يضيف إبراهيم أنيس، معتمدا على وصف آلية خروج الجيم، "فانفصال العضوين هنا أبطأ قليلا منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى، ولهذا يمكن أن نسمى الجيم العربية الفصيحة صوتا قليل الشدة"<sup>2</sup>، ويبدو لي أنه لا يمكن إدخال وصف قليل الشدة إلى المجال الصوتي خاصة إذا تعلق الأمر بالصفات، فقلّة الشدة تحيل إلى الرخاوة وهذا الوصف ربما يوافق الجيم الشامية (الرخوة) ويستوضح على تطورها<sup>3</sup>، بتأرجحها بين التدحرج إلى الإمام إلى مخرج الدال، وبالتالي زيادة شدتها وانقطاع التعطيش، أو بتأرجحها إلى الوراة قليلا إلى أقصى الحنك لعله ورود الجيم مع الحروف المرققة دون الحروف المفخمة في الكلمات العربية .

لقد أحصى إبراهيم أنيس من خلال المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم أن الجيم محركة بالفتحة ترد 1107 مرّة، ومحركة بالكسر 157 مرة، ومحركة بالضم 102 مرة، وذلك بوصفها فاء للكلمة، فإن نحن جمعنا الفتحة مع الكسر صار 1264 مرّة، أي أن الجيم في أغلب حالاتها مشكلة بحركة أمامية

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب ج 4 / 590، 591 .

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 76 .

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

مرفقة، وهذه الحركة تجتذبها إلى جهة الأمام، ويصبح مخرجها أقرب إلى وسط الحنك بعد أن كان أقصى الفم<sup>1</sup>، ولو أن موقعية الوسط أصل في مخرج الجيم.

يقول ابن جني في "سر صناعة الإعراب": "ويتلو حروف الحلق، حروف أقصى اللسان، وهي: القاف والكاف والجيم، وهذه لا تتجاوز أبداً"<sup>2</sup>، لا دلالة فيها على وثوق الصلة بين الجيم والكاف على حد قول إبراهيم أنيس<sup>3</sup>، بل فيها من وضوح الدلالة على أن حسن التأليف يكون فيما تباعد من الحروف، وكان تضعيف الحرف عليهم أسهل من تأليفه مع ما يجاوره.

### الشين:

يقول ابن جني "ألا ترى أن الشين لا تؤلف مع الضاد لما بينهما من التجاور والاستطالة"<sup>4</sup>، إلا أنهم جمعوا بينها وبين حروف وسط الفم في مثل شزب، شصب، شزر\*، وإن تأملت هذه الأمثلة وجدتها مبدوءة بالشين "لأنهم بدؤوا بالشين التي هي أقوى"<sup>5</sup>، وربما لهذا السبب كانت أخرج من أختيها الجيم والياء، أي أقرب إلى خارج الفم، فهي مستطيلة يتصل مخرجها بطرف اللسان، ويدعم ذلك قول سيبويه "إن الشين تستطيل فتتصل بمخرج الطاء"<sup>6</sup>، وطرف اللسان يشترك في مخرج الطاء. وتحدث الشين باقتراب مقدم اللسان مع أول طرفه إلى مقدم الحنك حتى يضيق ما بين مقدم اللسان بإطار طرفه ومقدم الحنك بلثة الأسنان الأمامية التي تعترض أمام الهواء المار، وينفذ الهواء غير

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 79 - 80.

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 2 / 429.

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 81\* شزب: شزب الحيوان غير ضمير، شصب بمعنى الشدة والجدب، شزر بمعنى نظر إليه بمؤخر عينه.

<sup>4</sup> المرجع السابق، ج 2 / 432.

<sup>5</sup> المرجع السابق نفسه، ج 2 / 433.

<sup>6</sup> سيبويه، الكتاب، ج 4 / 609.

زامر، ويخرج منتشرا ليس متحيزا في خط طولي مستقيم كالسين، فإنه يحدث ما يشبه نشيش المقلبي، وشهو جرسها المميز لها<sup>1</sup>، وهذا الذي يسمى التفشي .

**الياء الصامتة :** هي الياء غير المدية، وهي التي في مثل : بيت، زيت، سعي، هدي، وتخرج بارتفاع وسط مقدم اللسان إلى ما فوقه من الحنك حتى تقترب منه جدا<sup>2</sup>، فلا يبقى إلا مضيق بينهما ينفذ معه زمير الجهر، وهي أقرب إلى مخرج اللام والراء لأن من يلثغ فيهما يجعلهما ياء<sup>3</sup>، وإنما حصل ذلك من خفتها فيما زعم الخليل لأن الياء شبيهة بالهاء في خفتها وخفائها، والدليل على ذلك قولهم في دهدت دهدت<sup>4</sup>، ومعلوم أن طرف اللسان يشترك في إخراج الراء واللام والنون، فما قبل الطرف هو وسط مقدمه، وكذا قول ابن سينا: إن الياء الصامتة تحدث حيث تحدث السين والزاي، وقد ذكر ارتباط مخرجيهما بطرف اللسان أيضا<sup>5</sup>، وهي حرف رباعي الحدوث ينتج عن أثر سمعي يشارك فيه اللسان، والطبق، والوتران الصوتيان، والشفتان، فهو رباعي الأداء .

### الحروف الأسنانية اللثوية :

" ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلا أنك إذا شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر " <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 1041، 105 .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 101.

<sup>3</sup> طالع، سيبويه، الكتاب، ج 4 / 452 .

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج 4 / 457 .

<sup>5</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 124 .

<sup>6</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

والضاد صوت أسناني لثوي شديد مجهور مفخم كما ينطق به قراء القرآن<sup>1</sup>، ويمكن القول إنّ الضاد قد خرج من الألسن العربية المعاصرة فصار دالا مفخما عند البعض وتحول إلى ظاء عند آخرين، ويؤكد إبراهيم أنيس أنّ أثر الفرس والأترک كان جليا في التأثير على نطق هذا الصوت خاصة في مصر، وبدأ هذا مع القرن الرابع الهجري، وذلك من خلال كتيب لابن عبّاد سمّاه " الفرق بين الضاد، والظاء"، وجمع فيه حوالي ثمانين من مواد اللغة كانت تخلط بين الضاد والظاء<sup>2</sup>، ولا مناص في التسليم بوصف القدامى لمخرج الضاد، وأقرب ما يكون ذلك من خلال نطق القراء وهي كالاتي<sup>3</sup>:

- وضع طرف اللسان بحيث يلتصق بالأسنان العليا، ومقدمه يتصل بأصول الثنايا .

- إصاق الطبق بالجدار الخلفي للحلق بالإضافة إلى تذبذب الوترين .

وتبقى الضاد من أصعب الحروف نطقا ومن الحروف التي انفردت بها العربية دون غيرها، كونه يتميز بنشاط كبير لجهاز النطق<sup>4</sup>، حيث أن الأعضاء المسؤولة عنه هي اللسان (طرفا ومقدمة ومؤخرا)، وذلك للإطباق، والأسنان العليا (الأضراس)، واللثة والطبق وكذا الجدار الخلفي للحلق والوتران الصوتيان، فهذا الأداء الطولي نتج عنه استطالته حتى خالط مخرج غيره :

والضاد باستطالة ومخرج مميّز من الظاء وكلها تجي<sup>5</sup>

<sup>1</sup> تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأجلو المصرية، د ط، 1955، ص 120 .

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 58 - 61 .

<sup>3</sup> تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 120 .

<sup>4</sup> ينظر: عادل نذير يري الحساني، التعليق الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 186 .

<sup>5</sup> شمس الدين محمد بن محمد الجزري، متن الجزرية، ص 09 .

ولصعوبتها، فقد أورد لها صاحب " المختصر في أصوات اللغة العربية " <sup>1</sup> تسع صور، وخُص أن أفصحها هي التي وصفها القدماء من أمثال سيبويه، وابن جني، وهي التي يشبه صوتها صوت الظاء لكن صدى صوتها أغلظ وأفخم، وليس معها إخراج لسان <sup>2</sup>.  
ويظل نطق الضاد العربية يلتف به غموض جميل، ولذيذ جعل منه عنوانا للعربية كلها .

### حروف طرف اللسان :

"ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان، ومن بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فويق الضاحك والنباب والرباعية والثنية مخرج اللام " <sup>3</sup>، هذه المواصفات المخرجية للام، وعبارة ( ما فويق الضاحك والنباب والرباعية والثنية )، إشارة إلى جانبية اللام، وهي من الصفات النطقية حيث يرتفع طرف اللسان حتى يتصل بالثة، ويرتفع الطبق حتى يتصل بالجدار الخلفي للحلق، فيسد المجرى الأنفي بإحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية <sup>4</sup>.

وعليه فالأعضاء المسؤولة عن حدوثه حسب ابن جني هي، اللسان، الثة، الحنك، الأعلى (الطبق) .

**النون :** " ومن طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا مخرج النون " <sup>5</sup>، حيث للنطق بهذه النون المظهرة يندفع الهواء ويمر بين الوترين محدثا زميرا حتى إذا أشرف على تجويف الفم انفتح أمامه سبيل تجويف الأنف فاتجه الصوت إليه <sup>6</sup>، فالنون صوت أغن مجهور، رخو، مستغل، منفتح .

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 115 .

<sup>2</sup> . ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>4</sup> ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 133 .

<sup>5</sup> المرجع السابق .

<sup>6</sup> طالع: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 110 - 111 .

الراء : يخرج كما تخرج اللام بامتداد طرف اللسان إلى موضع اللام إلا أن طرف اللسان مع الراء لا يثبت كما يثبت مع اللام، إنما يفارق اللثة العليا عدة مرات فيخرج الصوت مكررا أو مرتعدا<sup>1</sup>، حيث يتطلب خروجه مرونة اللسان، ويكثر الإبدال بين الراء واللام لأنهما من موضع واحد تقريبا .

### النطعية :

" وما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والبدال والتاء " <sup>2</sup>، سماها الخليل النطعية<sup>3</sup>، وهذه المجموعة ثنائية الأداء وأبرز أعضاء الإنتاج فيها اللسان ( طرفه )، وأصول الثنايا ( اللثة )، بحسب ابن جني، ولنا أن نقول بحسب القدماء، أما الطاء فتخرج بالتقاء مقدم اللسان وطرفه بأصول لثنايا العليا ولثتها وأعلى صفحتها، وذلك مع ارتفاع أقصى اللسان وتقع وسطه لأنها مستعلية مطبقة والشعور بضغط نطقها يشمل اللسان كله<sup>4</sup> .

فهي بإسقاط عبارة ابن سينا تخرج نتيجة القلع دون القرع أو مع القرع<sup>5</sup>، وهي حرف مجهور، شديد مستعل مطبق مفخم، مصمت يقلقل إذا سكن .

البدال : ويخرج بنفس كيفية الطاء الاختلاف فقط يحصل في عدم تقعر وسط اللسان<sup>6</sup>، وإنما يمتد طرفه ليلتقي بلثة الثنايا وصحفها التقاء محكما يحبس النفس .

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 110 – 111 .

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>3</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1 / 65 .

<sup>4</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 123 .

<sup>5</sup> ينظر: ابن سينا، رسالة في أسباب حدوث الحروف، ص 79 .

<sup>6</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 79 .

التاء :

وهي كالدال إلا أنها مهموسة، و" كان الحبس بجزء أقل، ولكن مثله في الشدة سمع التاء، وإن كان بحبس مثل حبس التاء في الكم، وأضعف منه في الكيف سمع الدال<sup>1</sup>.

**الحروف الأسلية** : الصاد، والسين، والزاي وهي أسليات يخرجن مما بين الثنايا وطرف اللسان<sup>2</sup>، وإنما تفصل بينها الصفات لخروج أي منهن تمتد أسلة اللسان حتى تقترب من صفحتي الثنيتين العليين، فلا يبقى للهواء إلا منفذ دقيق بينهما فيخرج منه صافرا<sup>3</sup>، حيث:

**مع الصاد** : يخرج النفس بلا زمير ويستعلي أقصى اللسان ويتقعر وسطه فيتكون فراغ يكون الحنك كالطبق، فيغلظ الصغير ويفخم لأنها مستعلية مطبقة مفخمة .

**ومع السين** : لا ارتفاع لأقصى اللسان أو مقدمه، ولا تقعر ولا زمير<sup>4</sup>، لأنها مهموسة مستقلة مصمتة، ولا يعرض لهوائها رطوبة تتفرقع، ويجتمع في الزاي اهتزاز وصغير<sup>5</sup>، ولتجانسها في المخرج يقع بينهن الإبدال .

**الحروف الأسنانية** :

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء، والذال، والشاء، تخرج هذه الثلاثة بامتداد طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا والسفلى، وخروج الهواء متسربا من جانبي طرف اللسان ومما بين

<sup>1</sup> ينظر: ابن سينا، رسالة في أسباب حدوث الحروف، ص 79.

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 60 .

<sup>3</sup> محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 128 .

<sup>4</sup> المرجع نفسه .

<sup>5</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 120 .

الثنايا واللسان من مسارب دقيقة ويتقعر وسط اللسان مع الظاء للاستعلاء، الأمر الذي يقصر طوله فيكون امتداده أقل مما هو عليه في الذال<sup>1</sup>، بمعنى أن نقطة تلاقي الثنايا مع طرف اللسان تكون في الظاء أدخل مقارنة مع الذال والشاء، والطاء أقوى للإطباق والجهر والذال أقل قوة<sup>2</sup>، لأنها مجهورة دون إطباق والشاء مهموسة خالية من الزمير وخلوها من الزمير يبرز الشعور باحتكاك خروج النفس معها من نقط كثيرة حول طرف اللسان .

يظهر أن نطق هذه الحروف يحتاج جهدا أكثر لأنها تتطلب مد اللسان حتى يقع طرفه بين أطراف الثنايا السفلى والعليا، الأمر الذي يسوّغ الإبدال بينها فتسمع مثلا في لغة بعض الجزائريين (الشمال) الذهب، الدّهب، الثّورة، الثّورة، الظلمة، الظهر، الظن تنطق الضلمة، الضهر، الضل، وهو تخفيف يترك مدّ طرف اللسان تحت أطراف الثنايا .

### حروف الشّفة مع الأسنان :

#### الفاء :

ومن باطن الشّفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، مخرج الفاء " <sup>3</sup>، أما عن توصيف نطق الفاء فإنه يخرج بالتقاء أطراف الثنايا العليا بباطن الشّفة السفلى ويندفع الهواء مارا بالوترين حتى يصل إلى تجويف الفم خارجا فيعترض طريقه التقاء الثنايا العليا بباطن الشّفة السفلى فيخرج الهواء باحتكاك من الجوانب نسمع منه حرف الفاء، بهذا ضمت إلى حروف الذلاقة واتصفت باليسر .

<sup>1</sup> محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 131 .

<sup>2</sup> طالع: المرجع نفسه، ص 131 .

<sup>3</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 61 .

### الحروف الشفوية :

ومما بين الشفتين مخرج الياء والميم والواو<sup>1</sup>.

السمة البارزة في نطق هذه الأصوات هو انضمام الشفتين.

لقد عدّ الخليل هذه الحروف من حيز واحد، إلا أنه أبدل الواو بالفاء، فقال : ثم الفاء والياء

والميم في حيز واحد " <sup>2</sup>، أي أنها شفوية لأن مبدأها من الشفة، وعدّ كل من سيويه وابن جني الفاء من

مخرج وحدها .

**الباء** : تخرج بانطباق الشفتين في نقطة أقرب إلى باطنهما انطباقاً محكماً<sup>3</sup>، ونسبة الباء إلى الفاء

عند الشفة كنسبة الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة<sup>4</sup>.

**الميم**:"أما إذا كان الحبس تام غير قوي، وكان ليس الحبس كله عند المخرج بين الشفتين ولكن

بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم حتى يحدث الهواء عند اجتيازه بالخيشوم والفضاء الذي في

داخله دويّاً حدث الميم " <sup>5</sup>، فكأن أثناء حدوث الميم يتوزّع الصوت ما بانتظام أو مناصفة بين الخيشوم

والتجويف الفموي .

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 61 .

<sup>2</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية ص 137، وينظر أيضاً: عادل نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 195.

<sup>3</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج 1/17.

<sup>4</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 83.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 73 .

**الواو :** يحدث الواو بضم الشفتين أو بتدويرهما دون ضمّهما إلى بعضهما، حيث ينسد المجرى الأنفي بارتفاع مؤخرة اللسان<sup>1</sup>، والواو المقصودة هنا هي الواو الصائتة .

وارتفاع مؤخرة اللسان أغفله ربما ابن جني وغيره لأن الذي كان أبين للملاحظة هو حركة الشفتين، والعلة التي تقضي بوجود ارتفاع مؤخرة اللسان هي كون الضمة بعض الواو، والضمة يرتفع لها مؤخر اللسان أو مخرجها منه وهو ما أقرّه القدماء<sup>2</sup>، بدليل أن الحركات أبعاض الحروف الكوامل .

### الخيشومية :

"ومن الخياشيم مخرج النون الخفية، ويقال الخفيفة أي الساكنة فذلك ستة عشر مخرجا<sup>3</sup>، والخيشوم هو خرق الأنف المنجذب إلى الداخل فوق سقف الفم، وتخرج منه الغنة<sup>4</sup>، وهذه الغنة صوت جميل للنون والميم .

ويعطي ابن جني تمرينا يبيّن فيه أداء صوت النون الخفيفة، "ويدلُّك على أن النون الساكنة إنما هي من الأنف والخياشيم أنك لو أمسكت بأنفك ثم نطقت بها لوجدتها مختلفة " <sup>5</sup>، وبين الاختلاف بين الساكنة وبين النون المتحركة فيقول " وأما النون المتحركة فمن حروف الفم كما قدمنا، إلا أن فيها بعض الغنة من الأنف " <sup>6</sup>.

<sup>1</sup> تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص 135 .

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 33 .

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 1 / 61 .

<sup>4</sup> محمد بن موسى الشرويني الحراري، تجويد القرآن الكريم، طبعة جديدة، مزيدة ومنقحة، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2008، ص 30

<sup>5</sup> المرجع السابق، ج 1 / 61 .

<sup>6</sup> المرجع السابق نفسه .

فالنون المتحركة أحادية المخرج والنون الساكنة يتم النطق بها بجعل طرف اللسان ضد اللثة مع خفض الطبقة لفتح المجرى الأنفي، وإحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية فهو خماسي الأداء<sup>1</sup>، (اللسان، اللثة، الطبقة، والأنف، والوتران الصوتيان) .

وقد سمى العلماء الجزء اللساني من النون بالنصف المكمل، وسموا الجزء الخيشومي منها (الغنة) النصف المكمل<sup>2</sup>، وعليه فالنون نصفان مجموعهما هو صوت النون .

### المصوّتات:

يقول ابن جني واصفا لا محدا المخرج: " والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة الألف، ثم الياء، ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف"<sup>3</sup>، حيث تخرج الألف الصغرى والكبرى من إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم، وتخرج الواوات مع أدنى مزاحمة وتضييق للشفتين، واعتماد في الإخراج على ما يلي فوق اعتمادا يسيرا، وتخرج الياءات بالاعتماد على ما يلي أسفل قليلا، وهذا الذي ذهب إليه ابن سينا<sup>4</sup> .

يقول ابن جني: "والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال"<sup>5</sup>، الأشكال"<sup>5</sup>، حيث مع الألف ينفتح الحلق والفم ولا يعترضان على الصوت بضغط أو حفز، ومع الياء تكتنف الأضراس العليا والسفلى جنبتي اللسان وتضغطه، ويتفاج الحنك عن ظهر اللسان،

<sup>1</sup> ينظر: عادل نذير بيري الحساني، التعليق الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص 196 .

<sup>2</sup> عمر بن أحمد بوسعدة، الشامل في التجويد، منشورات ألفا تقدم عبد الحليم محمد الهادي قابة، مراجعة أمين رشدي سويد، منشورات ألفا، دار البيضاء الجزائر، ط 3 / 2014، ص 29 / 50.

<sup>3</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 20.

<sup>4</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 126 .

<sup>5</sup> المرجع السابق، ج 1 / 21 .

فيجري الصوت متصعدا هناك، ولهذا العلة ما استطال، أما الواو فنضمّ لها معظم الشفتين ويقي

بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس ويتصل الصوت<sup>1</sup>.

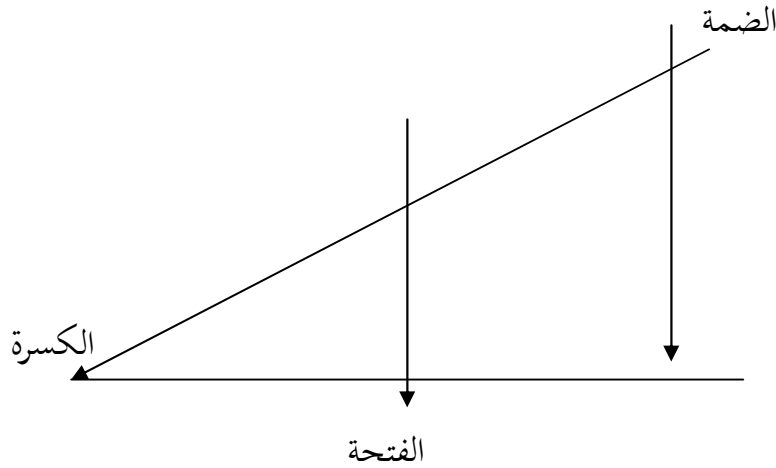
ونشير إلى ضرورة أن " الصائت العربي هو كمية صوتية ممتزجة بالصامت، فلا وجود لصامت

بدون صائت، ولا إدراك لصائت بمعزل عن الصامت<sup>2</sup>، واعلم أن الحركات أبعاض حروف المدّ

واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة فكذلك الحركات ثلاث...، فالفتحة

بعض الألف، والكسرة بعض الياء والضمّة بعض الواو<sup>3</sup>، ولا بأس أن نستوضح العلاقة التجاورية

بين الحركات بهذا الرسم<sup>4</sup>:



قراءة في المخطّط :

- الضمة خلفية مستعلية والفتحة حيادية والكسرة أمامية مستقلة .

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 20.

<sup>2</sup> ينظر : بسناسي سعاد، مكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية، مكتبة الرشا للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2009 م، ص 44 - 45 .

<sup>3</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 33 .

<sup>4</sup> ينظر: بسناسي، ومكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص 45 .

- الضمة والفتحة : متجاورتان متباعدتان.

- الفتحة والكسرة متجاورتان متقاربتان .

- الضمة والكسرة : متباعدتان غير متجاورتين .

يقول ابن جني: " فأما استكراههم الخروج من كسر إلى ضم بناء لازما، فليس ذلك شيئا راجعا إلى الحروف، وإنما هو استئصال منهم للخروج من ثقل إلى ما هو أثقل منه<sup>1</sup>، بمعنى أن يصير الانتقال من الكسر إلى الضم عسيرا لأن في الأمر تراجع، وفي التراجع انتقاض لعادة الصوت على عكس الانتقال من الضم إلى الكسر سهل ميسور.

---

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1 / 34 .

### ثانيا-تعليل الصفات:

الصفة مفردة تلحق الموصوف، والصفات فروع في أصلها يتفرع عنها غيرها<sup>1</sup>، أي أن الصفة لا يتصف بها الموصوف إلا بعد أن يوجد، فتكون لاحقة لوجوده، والصفات في أنفسها منها الأصلي ومنها الفرعي، وإذا كانت في أصلها مجرد نفس صاعد من الرئتين تحول بفعل الوترين الصوتيين إلى صوت، فالنفس أصل والصوت فرع<sup>2</sup>، والصفات أساسية، وثانوية، وتمييزية، قد جرت العادة في كثير من الدراسات أن يجري التصنيف على أساس الصفات المتقابلة، والتي لا مقابل لها، أو الأحادية خاصة الدرس الصوتي القديم، لأن السبيل المتاح آنذاك هو الجانب النطقي على عكس ما توفر من جوانب الكشف الصوتية الحديثة.

مما يظهر البحث ويقربه في كثير من المواضع ظهور التقابلات، والضدّ يظهر حسنه الضدّ، حيث جرت العادة في كثير من الدراسات على تصنيف الصفات الأصواتية في ضوء الصفات التي لها مقابل، والصفات التي ليس لها مقابل، أو المفردة، لأن الدراسات الصوتية القديمة كما أشرنا سابقا مبنية على أساس الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة الوحيدة المتاحة آنذاك، على غير الحالة التي توفرت للمتأخرين من أجهزة وبرامج حاسوبية، الأمر الذي من شأنه الكشف عن جوانب أخرى فيزيائية، كالطاقة، والدفق وغيرها، وقبل البدء بتعليل الصفات، فلا ضير أن نستأنس بالجداول التالية:

<sup>1</sup> طالع: سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص 95

<sup>2</sup> طالع: المرجع نفسه، ص 95

## الفصل الأول.....التحليل الصوتي للمخارج والصفات

جدول الصفات الأساسية<sup>1</sup>:

الرقم	الصفات	أصواتها	نسبتها	رتبتها
01	الجهر	19	65,51%	01
02	الهمس	10	34,48%	03
المجموع	02	29	99,99%	01

جدول الصفات الثانوية<sup>2</sup>:

الرقم	الصفات الصوتية	عدد أصواتها	نسبتها	ترتيبها
01	الشدّة	08	27,58%	02
02	الرخاوة	13	44,82%	01
03	التوسط	08	27,58%	02
المجموع		29	99,98%	03

<sup>1</sup> بسناسي سعاد، مكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص 77

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 78.

جدول الصفات التمييزية: <sup>1</sup>

الرقم	الصفات الصوتية	عدد أصواتها	نسبتها	ترتيبها
01	الاستفال	26	89,65%	01
02	الانفتاح	25	86,20%	02
03	الإصمات	23	79,31%	03
04	الذلاقة	06	20,86%	05
05	القلقلة	05	17,24%	06
06	الإطباق	04	12,79%	07
07	الاستعلاء	07	24,13%	04
08	الصفير	03	10,34%	08
09	اللين	02	06,89%	09

الاستطالة، التفشي، الانحراف، التكرار، الهاوي: صفات أحادية

ملحوظة: سأحاول قراءة معطيات هذه الجداول من خلال التطرق لتعلييل الصفات.

1- تعلييل الجهر والهمس:

عرّف ابن جني كلا من الجهر والهمس بقوله: "فمعنى الجهور أنه حرف أشبه الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد، ويجري الصوت، غير أن الميم والنون من جملة الجهور قد يعتمد لهما في الفمّ والخياشيم فتصير فيها غنة، فهذه صفة الجهور<sup>2</sup>"، وأما

<sup>1</sup> بسناسي سعاد، مكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص78.

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/75

المهموس، فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النَّفس وأنت تعتبر ذلك بأنه يمكنك تكرير الحرف مع جري الصوت نحو: سسس، كككك، هههه، ولو تكلفت مثل ذلك في المجهور لما أمكنك<sup>1</sup>.

مما لاشك فيه أن ابن جنّي في أغلب تعليقاته إن لم نقل كلها يجاري سيبويه، وسيبويه على هذه الحال تبعه من الأوائل غير واحد في هذا التعريف، نذكر منهم: الزجاجي<sup>2</sup>، ابن سنان الخفاجي<sup>3</sup> الزمخشري<sup>4</sup>، وابن يعيش<sup>5</sup>، والتعريف هذا وإن شاع بين أغلب الأصواتيين، ففي هذا الأمر ما يثبت حسن ظنهم بسيبويه، ذاك أنه مقبول عقلا، ومنطقا إن جاز لنا النزول بالرأي عند ذلك .

لقد صاغ الأوائل الصفات، إما على أساس سمعي حين لاحظوا أن الأثر السمعي هو الطاعني، أو على أساس نطقي حين لاحظوا أن الحركة العضوية هي البارزة، فجاءت الروايات في ذلك.

غير الرواية السابقة والوحيدة لا توجد رواية أخرى عن الجهر والهمس، والتي نقلها ابن جنّي عن سيبويه باستثناء رواية أخرى أوردها إبراهيم أنيس<sup>6</sup>، وهي منسوبة لأبي الحسن الأخفش، قال: "سألت سيبويه عن الفصل بين الجهر والمهموس فقال: المهموس إذا أخففته، ثم كررته أمكنك

<sup>1</sup> ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ص ج 1/ 75.

<sup>2</sup> ابن عصفور الأشبيلي، شرح جمل الزجاجي، الشرح الكبير، تح: صاحب أبو حنّان، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بغداد، ط، 1982، ص 448.

<sup>3</sup> ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 1982، ص 30.

<sup>4</sup> جار الله الزمخشري، المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط، 2، ص 395.

<sup>5</sup> ابن يعيش، شرح المفصل، م، س، ج 10/ 129.

<sup>6</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 114، 115 .

ذلك، وأما الجهور فلا يمكنك ذلك فيه"<sup>1</sup>، ثم يواصل الحديث واصفاً المواقف دون تحديد لآلية التكرير فيقول: "ثم كرر سيويه التاء بلسانه وأخفى فقال: ألا ترى كيف يمكن، وكرر الطاء والذال وهما من مخرج التاء، فلم يمكن، وأحسبه ذكر ذلك عن الخليل"<sup>2</sup>، وقال سيويه: "إنما فرق ما بين الجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين الجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر، فالمهجورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر، ويجري في الحلق، غير أن الميم والنون يخرج أصواتهما من الصدر، ويجري في الصدر والخيشوم غنة تحالط ما جرى في الحلق، والدليل على ذلك أنك لو أمسكت بأنفك ثم تكلمت بهما رأيت ذلك قد أحل بهما"<sup>3</sup>، ثم يشفع ذلك بالحديث عن المهموسة، ومستعملاً عبارات هي من الدقة بمكان، حيث لو حاولنا تغيير مثلاً مصطلح "يزجي"، فقد نخلّ بالمعنى المقصود، فيقول: "أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها، وذلك مما يزجي الصوت، ولم يعتمد عليه فيها كاعتمادهم في الجهور، فأخرج الصوت من الفم ضعيفاً"<sup>4</sup>، ويستوضح بالدليل على ذلك فيقول: "والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف، ولا تصل إلى ذلك في الجهور، فإذا قلت شخص فإن الذي أجزى هذه الحروف صوت الفم ولكنك تتبع صوت الصدر هذه الحروف بعدما يزجها صوت الفم ليلغ ويفهم الصوت"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 114.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 115.

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 115 وما بعدها .

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ص 115.

انتهت الرواية التي أوردها صاحبها، ونحن لن نناقش مسألة محفوظيتها أو خلوها من التصحيف، لكن نأخذها على ظاهرها كنص تضمن آراء قرئت من الرواية الأصلية الواردة في الكتاب " 1 .

الذي ذهب إليه الباحث أنه أنكر على سيبويه عدم معرفته بوجود ذبذبات مع المهموس، وأن هذه الموجات تضخمها الفراغات الرنانة في الحلق والفم<sup>2</sup>، أي أن المجهورة مصدرها الخنجر، والمهموسة مصدر ذبذباتها في الحلق والفم، والذي يبدو واضحاً أن المجهور مجهور أصلاً والمهموس مهموس أصلاً، كما يقتضيه النطق الفصيح للأصوات المحفوظة تواتراً ومن خلال النص القرآني .

إن الإخفاء الذي تحدث عنه سيبويه وجاراه فيه على ما رأى منه ابن جني، الإخفاء قياساً إلى ما ورد في أحكام النون الساكنة إنما هو التستر، أي النطق بالحرف بين صفتين<sup>3</sup>، وها هنا الإخفاء إنما هو بين الجهر والهمس لغرض هو التبيّن بين شيئين أساسيين هما النفس والصوت، والدليل على ذلك قول ابن جني " فأما حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نفس وليس من صوت الصدر، وإنما يخرج منسلاً (خفية)، وليس كنفخ الزاي والطاء والذال والضاد والراء شبيهة بالضاد<sup>4</sup>، وأمر كهذا يقودنا إلى الحديث عن الحامل والمحمول فالحامل نفس والمحمول صوت، ولا يصح صوت بدون نفس، لأنه من الحكمة بمكان أن يكون الصوت مع لفظ هواء الزفير، فتتنزل بذلك صفة الهمس بمكانة الأصلية في الصفات، والجهر بالفرعية لأن الجهر لا يتحقق في الجهاز النطقي إلا بعد تشبّع ما

<sup>1</sup> طالع: سيبويه، الكتاب، ج4/574

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 116.

<sup>3</sup> ينظر: زكريا بن محمد الأنصاري، الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، ص 89

<sup>4</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/77

قبل الوترين الصوتيين بالنفس، فيهتزان بقوة<sup>1</sup>، بمعنى أنه قبل أن يظهر الصوت كان خفياً، والنفس أخفى في السمع وأضعف من الصوت<sup>2</sup>، والذي ذهبت إليه أفهام بعض الباحثين من أمثال أحمد بن مصطفى (968هـ)، والمعروف بـ طاش كبري زاده "أن النفس الخارج الذي هو وظيفة حرف إن تكيف كله بكيفية الصوت حتى يحصل صوت قوي كان مجهوراً، وإن بقي بعضه بلا صوت يجري مع الحرف كان الصوت مهموساً"<sup>3</sup>، وهذه قراءة تستوضح بعض الجوانب من قول سيويه الذي استشف منه إبراهيم أنيس أمرين :

1- أولهما إشباع الاعتماد.

2- منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه .

فالأول قوة الوضوح السمعي، وأما الثاني فلا معنى له سوى عملية إصدار الصوت التي تلازم النفس، أما الأمر الثاني، فهو استشعار سيويه باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر مما يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين وتجعلهما يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد أي حتى تنتهي العملية العضوية<sup>4</sup> .

يبدو أن إبراهيم أنيس في تحليله لعبارة سيويه، والتي أوردها ابن جني كما هي اللهم إلا في بعض الألفاظ إن تقديماً وإن تأخيراً مجرد إسقاط لنتائج توصل إليها علم الصوت الحديث، وغير بعيد

<sup>1</sup> سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريغ الصوتية في الآثار العربية، ص 99 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

<sup>3</sup> شرح المقدمة الجزرية، مخطوطة في مكتب الدراسات العليا في كلية الأدب بجامعة بغداد، نقلاً عن المصطلح الصوتي، ص 32 نقلاً عن نذير بيري

الحساني، التعليل الصوتي عند العرب، ص 96 .

<sup>4</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 118

عن إبراهيم نجد تمام حسان يعيد نشر تعريف سيبويه بتغيير في العبارات، فيقول عن الجهر والهمس:"  
فالمجهور صوت شدّد الضغط في الحجاب الحاجز معه، ولم يسمح للهواء المهموس أن يجري معه،  
حتى ينتهي الضغط عليه، ولكن يجري الصوت أثناء النطق...، وأما المهموس فهو صوت أضعف  
الضغط في موضع الضغط أثناء نطقه حتى جرى الهواء المهموس معه، وأنت تعرف ذلك، إذا اعتبرت  
فرددت الصوت بنطقه مع جري النفس، فإنك لا تسمع له جهرا"<sup>1</sup>، والنتائج نوعان من التقابلات بين  
ثنائيات :

الإشباع = التقوية

الإضعاف = إزالة القوة

الاعتماد = الضغط

والذي يظهر جليا من كلام تمام حسان أن نعته الهواء غير المسموح له بالخروج بأنه مهموس،  
والهمس كما يظهر التعريف نعت للصوت لا للهواء المهموس<sup>2</sup>، لكن الذي يجب أن ننطلق منه في  
قراءة التعريف الذي أورده سيبويه ومن بعده ابن جني هو أن نوافق القدماء في المصطلح والمعنى لا أن  
نأخذ المصطلح ونخالفهم في المعنى، والثنائيات التي أوردناها آنفا لأدل على ذلك، ذاك أن مسأرة  
الصواب في التحليل يجب أن تبدأ من تحديد علّة الجهر والهمس، العلة الجلية ها هنا هي " الاعتماد"،  
فعلى ضوء هذا يبدو لنا أن نتبع مصطلحات أو مفردات مفتاحية وردت في التعريف وهي:

<sup>1</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها و ميناها، ص 62

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 62 .

الاعتماد، الإشباع، النفس، الصوت، المجهور، المهموس، الموضع والمخرج .

إن التأول المباشر للمصطلحات الواردة عند القدماء دونما تتبع لآثارها في التراث مسألة لا تخلو من الذاتية وعدم الدقة، خاصة إذا علمنا أنّ القدماء يتلاعبون بالألفاظ تلاعب العارف المتمرس الذواق، ذاك أنهم هم أهل الجمع والتّقييد والتّأصيل للعربية، أقول هذا لأنهم كانوا حديثي عهد بالتأصيل، وهذا أمر يوحي بحرصهم الشديد على اختيار لفظ دون الآخر، بمعنى أنّ استعمال سيويه ومن بعده ابن جني لفظاً بدل الآخر "الموضع" بدل "المخرج" "نفس" بدل "همس" أو "صوت" علّة توحى بمعية الدقة في الاختيار، وهذا باب من أشرف فصول العربية على حد زعم ابن جني وأكرمها وأعلاها وأنزهها<sup>1</sup>، حتى يقول: "فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها"<sup>2</sup>، يقصد العرب، ويضيف قائلاً عن الألفاظ: " أصلحوها ورتبوها وبالغوا في تحبيرها وتحسينها ليكون ذلك أوقع لها في السّمع، وأذهب بها في الدّلالة على القصد "<sup>3</sup>، فإذا كان ابن جني من أعلام القرن (4هـ)، ويتحدث عن حقبة سابقه حتى أنه لم يغير في التعريف شيئاً، فكيف بمن بعدت عنهم الشّقة والمسافة؟ هذه واحدة، أمّا الثانية فلا بأس أن نتبّع مصطلحات التعريف في كتب أصحابها، ونبدأ:

### الاعتماد والإشباع:

يقول سيويه: " إلاّ أنّ النون والميم قد يعتمد لهما في الفم والخيشوم"<sup>4</sup>، ولم يقل يشبع الاعتماد لهما ممّا يوحي بوجود اعتماد في حالة، ووجود إشباع في حالة أخرى، فالميم والنون لأنهما

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/190

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1/190

<sup>4</sup> سيويه، الكتاب، ج4/574

مكّملان بالغنة<sup>1</sup>، فهما نصفيان خيشومي وفموي، فرّبما لهذه العلة لم يشبع الاعتماد لهما، أي لتفرع المخرج إلى مخرجين فيصير الاعتماد لأي صوت مجهورا كان أو مهموسا إمّا في الحنجرة أي الوترين أو في موضع مخرجه، بمعنى أن الحروف المجهورة فيها إشباع اعتماد، ماعدا الميم والنون فالذي فيهما مجرد اعتماد أقوى من ضعف الاعتماد الحاصل مع المهموس، وربّما كان سببويه وهو يسوق تعريفه هذا ينطق بالهمزة بدليل قول ابن جنيّ عنهم "فلّما اعتزموا النطق بهما، أي المتقاربتين قدّما أقواهما"، حتى وهو يسرد الصفات بدأ بالمجهورة لأنّها أقوى في الاعتماد إنّما المخارج للحروف، والاعتماد حالات ثلاث: إشباع اعتماد، واعتماد، إضعاف اعتماد نستوضحها من خلال الشائبة التالية:

### التفّس والصّوت :

النفس أصل والصوت عارض أو فرع<sup>2</sup>، فإن حصل اعتماد عند الوترين الصوتيين وأشبع هذا الاعتماد كان الصوت مجهورا بدليل ما أورده إبراهيم أنيس عن رواية الأخفش "أن المجهورة كلها هكذا يخرج صوتها من الصدر ويجري في الحلق"<sup>3</sup>، وإن كان مجرد اعتماد، فهو يحصل مع الميم والنون بدليل "إلا أنّ الميم والنون قد يعتمد لهما في الفم والخيشوم"<sup>4</sup>، وهذه حالة الاعتماد، أما إذا أُضعف الاعتماد فإنّ التوكأ والتورك لا يكون على الوترين نتيجة تباعدهما، فيمرّ الهواء بكمية أكبر مع الحلق والفم، خاصة إذا نطقنا أو اعتبرنا وردّنا النطق بالهاء بدليل "إذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل إلى ذلك في المجهور"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> عمر بن أحمد بوسعدة، الشامل في التجويد، ص3534

<sup>2</sup> ينظر: سميرة رفاص، نظرية الأصالة و التفريع الصوتية في الآثار العربية، ص95

<sup>3</sup> إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص115، 114،

<sup>4</sup> سببويه، الكتاب، ج4/547، وينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج75/1

<sup>5</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 115.114

### الموضع والمخرج:

ارتبط المخرج بالعضو، والموضع أكثر ارتباطه بحد الحرف، فابن جني ومن قبله سيبويه حين تحدث عن مخارج الحروف زواج بين المصطلحين، وهو يتحدث عن الصوت المنحرف يقول " وليس يخرج الصوت من موضع اللّام"<sup>1</sup>، ويوصّف الحرف الشّدِيد: " فإمّا تخرجه من أنفك واللسان لازم لموضع الحرف "<sup>2</sup>، ولم يستعمل في سابقه عبارة مخرج اللّام، وفي القول التالي لم يقل: واللسان لازم لمخرج الحرف، لأنّ الموضع موضع العضو، والمخرج مخرج الصوت، والموضع محدود لأننا قلنا فيما سبق: إنّه حدّ الحرف ومنقطعه، فكأنّ الموضع مميّز بحدود، أمّا المخرج فبحدّ واحد، والخليل استعمل عبارة (المبدأ) " وهو الموضع الذي يبدأ فيه الصوت بالتّجمع "<sup>3</sup>، فالمخرج يوحي بالمفارقة والانتقال من موضع أصلي إلى موضع جديد<sup>4</sup>، أي أنّه الموضع الذي يتحقق فيه الصوت الواحد حالة إفراده، ثم المدرج وهي نقطة بداية ونهاية، نقطة بداية صوت ثاني بعد نهاية صوت أوّل، ثمّ الحيز وهو الموضع تتجمع فيه عائلة صوتية واحدة<sup>5</sup>.

وعليه فاستعمال ابن جني أو سيبويه لمفردة موضع بدل مخرج لم تكن اعتباطاً، لأنّ الجمهور حرف أشبع الاعتماد في موضعه أي في موضع الحرف أي بداية تشكله، أي عند نقطة بداية التجمع قبل الاكتمال والحدوث.

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/574، وابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/77

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: بسناسي سعاد، ومكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص28 و29

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه .

ولو قال المخرج لكان الصوت قد تحقق، بمعنى أن في الموضوع بداية تشكل وتجمع وتوزك  
واتكاء يليها تحقق للصوت في المخرج، وفي الأمر ما يوحي إلى دقة التعريف وحسن تحيّر المصطلح.

### الجهر والهمس:

النفس أصل للصوت بدليل قول ابن سينا "أما نفس التّموج فإنه يفعل الصوت"<sup>1</sup>، وعلة التّموج  
يتحدث ابن سينا عن القرية منها، فيقول: "فإذن العلة القريبة كما أظن هي التّموج، وللتّموج علتان  
قرع وقلع"<sup>2</sup>، وأكثر ما ارتبط الجهر والهمس بحالة الوترين الصوتيين، فقالوا: إن الوترين يتذبذبان مع  
الجمهور، ولا يحدث هذا التذبذب مع المهموس، إلا أن هناك نظرة علمية أوردتها باحثون معاصرون  
مفادها أن التحاليل العلمية المخبرية للجهاز الصوتي قد أثبتت أن الوترين الصوتيين يتحركان مع  
التفكير في كل صوت، سواء أرسله الناطق أم لم يرسله، فكمية اهتزاز الوترين مع صوت الياء مثلا  
ثابتة مع كل صوت مرسل مسموع، أو خفي مكتوم، ذلك لأن الصوت نتاج الفكر والتفكير"<sup>3</sup>.

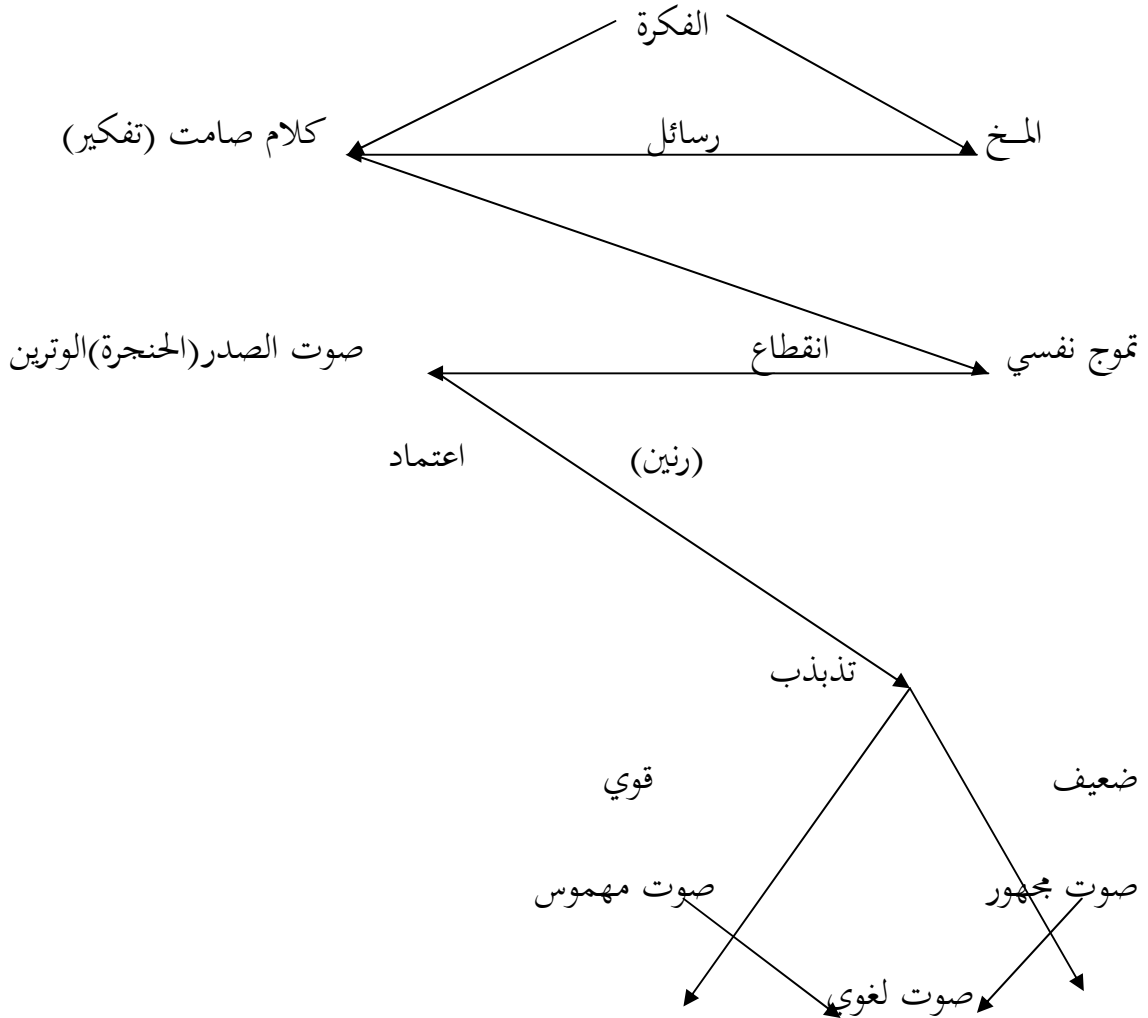
وعلى هذا فإن ابن جني ومن قبله سيبويه قد وصلا إلى مرحلة من الذوق والحس المرهف  
والخيال الخصب وافقت النظرة العلمية الحديثة بكل حيثياتها، وخرج بذلك تعريف الجهر والهمس من  
دائرته الضيقة التي حصرت بين الوترين والنفس إلى الفكر والتفكير، حتى صار التفكير بحق كلام  
صامت.

<sup>1</sup> ابن سينا، رسالة أسباب حدوث الحروف، ص 59

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ص 58

<sup>3</sup> ينظر: مكّي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، طبعة خاصة، 1433هـ، 2012م

مخطط تمثيلي للصوت ومراحله:



ومن الذي سبق يتحدد لنا أننا إذا أخذنا بنظرية الحامل المتضمنة عملية الكلام الطبيعية من وجهة النظر السمعية، وهي " إنتاج مجموعة من الموجات الصوتية، ومعنى هذا وجود موجة تسمى موجة الأساس، ومجموعة من الموجات الأخرى التي تتوافق معها"<sup>1</sup>، حيث لو أسقطنا هذه النظرية على النفس والصوت في ضوء الفهم الذي انتهى إليه ابن جني ومن قبله سيبيويه من خلال تعريفهما للجهر

<sup>1</sup> ينظر: عبد الرحمان أيوب، الكلام إنتاجه وتحليله، جامعة الكويت، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، "ط1، 1984، ص246 .

والهمس لكان النفس الحامل، والصوت المحمول، وأكثر من ذلك النتائج الصوتية الحديثة التي تشير إلى كون الصوت اللغوي ينتج من أربع عمليات منفصلة، بدءاً بتيار الهواء المرتبط بالرئتين، وعملية التصويت التي ترتبط بالحنجرة، وبخاصة الوترين الصوتيين فيها، ثم العملية الرنينية أو حركات الرنين التي ترتبط بفجوات الفم والأنف، وكذا العملية النطقية التي ترتبط خاصة باللسان والشففتين<sup>1</sup>.

وبهدي ما سبق يحقّ لنا أن نقول: إنّه لدى ابن جني وسيبويه قدرة عالية على استشعار طبيعة الأداء الصوتي مكنتهما من الإحساس بما يجري في الرئة والحنجرة، حتى وإن لم يعرفا اسماً لتلك الأعضاء، وهذه إشارة من إبراهيم أنيس<sup>2</sup> نتابعه فيها لأننا نرى في رأيه - على الرغم من أهميته - مجرد إسقاطاً لمعلومات مسبقة، خاصة فيما تعلق بصوت الصدر، فهو مرة يعترف لسيبويه بحسّه المرهف الذي مكّنه من استشعار اقتراب الوترين مع المجهور، ثم من جهة أخرى يشير إلى صوت الصدر بأنه عملية تلازم النفس منذ خروجه من الرئتين<sup>3</sup>، وبخاصة وهو يتحدث عن موضع المخرج، والدليل على أن صوت الصدر الذي لا يكون مع المجهورة لا يعني النفس الذي تكون الرئة مسؤولة عنه قول ابن جني: "فأما حروف الهمس فإنّ الصوت الذي يخرج معها نفس، وليس من صوت الصدر، وإنما يخرج منسلاً"<sup>4</sup>، وهو الكلام نفسه الذي أورده سيبويه في غير باب الإدغام<sup>5</sup>.

نتصور أنه لم يبق لصوت الصدر من معنى غير استشعار سيبويه وابن جني لذبذبة الوترين الصوتيين في الحنجرة، والذي بدوره يؤكد اشتغال مفهوم الصدر على مفهوم الحنجرة، قول سيبويه عن الهمزة "إنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد، وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم، لأنه

<sup>1</sup> ينظر: بسام بركة، علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1، 1988م، ص73

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص118 و119

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص118

<sup>4</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/77

<sup>5</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/574

كالتهوع<sup>1</sup>، ويقول عنها ابن جني "كما أن مخرج الألف المتحركة التي هي همزة من الصدر"<sup>2</sup>، وإن كان سيبويه لم يصرح بلفظة الوترين، فإننا لمخنا لهذه المفردة أثرا عند ابن جني، حيث يقول "فالوتر في هذا التمثيل كالحلق والخففة بالمضرب عليه كأول الصوت من أقصى الحلق"<sup>3</sup>، وبهذا نكون أمام حقيقتين من الذي سبق: أولاهما ارتباط النفس بمعنى الرئة .

والثانية اشتغال صوت الصدر وارتباطه بمعنى الحنجرة والوترين الصوتيين.

ومن ثم تكون حقيقة ما عناه ابن جني ومن قبله سيبويه بالاعتماد علة تمثل خط الشروع الأول للأصوات العربية، سواء أكانت مجهورة أو مهموسة، وهو يستدعي خيارين للجهد العضلي، ذروة تستوجب حبس النفس، ثم توقف الرئة عن الزفير والشهيق، أو ضعف لا نستطيع معه حبس النفس<sup>4</sup>.

ويبقى الاختلاف قائما انطلاقا من تعريف ابن جني ومن قبله سيبويه حول الهمزة أهى مهموسة أم مجهورة؟ أم أنها بين الجهر والهمس، وسواء أكانت الهمزة ذا أو ذاك تبقى محفوظة من جملة ما حفظ ب كله ألا وهو القرآن الكريم، صوتا وحرفا ومعنى وإعجازا وبلاغة، ولن يبلغ شيء شأو القرآن الكريم.

وتبقى إلى جانب هذا الاختلاف قراءتنا للجهر والهمس في حدود فهمنا بما يمكن أن يكون القدامى قد فهموه أو شعروا به منطلقين في ذلك من معطيات عصرهم، أما أن نتمنى عليهم تقديم فهم يلائم معطيات عصرنا الحديث فذاك ضرب يجانب الموضوعية والصواب .

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/574.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج4/57 .

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج1/22.

<sup>4</sup> ينظر: نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ص120

### 2-تعليق الصفات الثانوية(الشدة والرخاوة والتوسط):

وللحروف انقسام آخر إلى الشدة والرخاوة وما بينهما، فالشدة يجمعها قولك "أجدت طبقك" و"أجذك طبقت"<sup>1</sup>، والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا وهي: "لم يروّعنا"، وما سوى هذه الحروف والتي قبلها رخوة، وأشار إلى الشدة بقوله "ومعنى الشديد أنه الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه ألا ترى أنك لو قلت الحقّ والشطّ، ثم رمت مدّ صوتك في القاف والطاء لكان ذلك ممتنعا"<sup>2</sup>، ثم يعرف الرّخو فيقول: "هو الذي يجري فيه الصوت ألا ترى أنك لو قلت المسّ والرشّ والشحّ ونحو ذلك فتمدّ الصوت جاريا مع السّين والشّين والحاء"<sup>3</sup>، وتسمى الأصوات الشديدة حديثا بالانفجارية أو الوقفية أو الإنسدادية، لأن أهم مرحلة في تكوينها الغلق اللحظي لممر الهواء<sup>4</sup>، لكن السؤال المطروح ما هي المواضع التي يتم فيها الوقف أو الحبس التام؟ وطرح السؤال هذا جاء نتيجة لخلفية قد تحدث بعض الخلط حين لا نراعي الدقة في المصطلح لأن الشديد يمنع الصوت والمجهور يمنع النفس .

يجدر أن نذكر ها هنا أن مصطلح الشّدة مأخوذ من استعمال (الشّدّ)، بمعنى ربط فم الكيس أو الوعاء حتى لا يخرج منه شيء<sup>5</sup>، وليست مأخوذة من الشّدة بمعنى القوة"، والحبس يكون باعتراض

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج75/1

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج75/1

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

<sup>4</sup> ينظر: بريتل ماليرج، الصوتيات، تر: محمد حلمي هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، د ط، 1994، ص985

<sup>5</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب (مادة شدد).

اللسان مجرى النفس في نقطة المخرج اعتراضا محكما<sup>1</sup>، أما تعريفه للرخاوة فهو كذلك لا يخلو من إيمائه إلى علة الرخاوة وهي جريان الصوت، أو ما يصطلح عليه حديثا بالاحتكاك إذ علمنا أن الأصوات الرخوة الهوائية عند النطق بها لا ينحبس سواء أكان مع النفس الجاري صوت أي زمير أو لا<sup>2</sup>، ويكون مصحوبا بتضييق عند المخرج، فيحدث ما يشبه الصفير (الاحتكاك)<sup>3</sup>، وبذلك يقع التمايز بين الأصوات المتقابلة جهرا وهمسا.

لقد خصّ الجهر (بمنع النفس أن يجري معه)، والهمس (بجري النفس معه)، فميز ابن جني وسيبويه من قبله الشدة بـ (بمنع الصوت أن يجري فيه)، والرخوة هي التي (أجريت الصوت فيها)، وبذلك يقع التمايز بين منع النفس الذي لا يكون إلا في الحنجرة ومنع الصوت مكانه مخرج الحرف<sup>4</sup>. وتأنف الهمزة وتظلّ عصية على التصنيف بين الجهر والهمس والشدة والرخاوة بين المحدثين إضافة إلى الأصوات: القاف، والجيم، والضاد، والطاء.

### الهمزة:

أخرجها إبراهيم أنيس من تعداد الأصوات الشديدة عمدا، بدعوى أنها رغم شيوعها في العربية لم يرمز لها الرسم العربي القديم برمز خاص ككل الأصوات الساكنة، ولتصرف القدماء فيها بالتخفيف والإبدال والنقل والحذف والتسهيل كتبت بحسب ذلك<sup>5</sup>، وبالإضافة إلى الاختلاف حول شدتها، اختلف أيضا حول جهرها وهمسها، ونرجح أن تكون مجهورة شديدة للأسباب التالية :

<sup>1</sup> محمد حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 58

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: عادل نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب، ص 124

<sup>4</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص 127

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 72

- الشدة ضرورية لتحقيق الهمزة لأنها الأبعد مخرجاً، ولأن الشدة تعني حبس النفس .

- لأنها نبرة تخرج باجتهاد على حدّ زعم سيبويه وابن جنيّ.

- الجهر مطلوب لتحقيق الأثر السمعي للهمزة لأنها أبعد الأصوات ومفتاح الأصوات كلّها .

على أن تظل الهمزة المخففة تختلف عن المسهلة والمبدلة والتي بين بدرجة العصر (عصر

الزمير) أقل من عصر المحققة<sup>1</sup>.

ويبقى الاختلاف قائماً في الجيم والقاف والضاد والطاء، وقد أشرنا إليه في مستهل المبحث السابق، حيث أن هذه الأصوات تلي في أدائها شروط القدماء لما توفر لديهم من أدوات الذوق والحس المرهف، وللمحدثين فيما توفر إليهم من أدوات التسجيل الحاسوبي والتصوير الطيفي للأصوات، ذاك أن التنوعات اللّهجية والاجتهادات الفردية لم تكن القالب الذي صبّ فيه القدامى دراستهم- رغم درايتهم بها- بل كانت جلّ عنايتهم موجهة إلى أصل الحروف العربية .

ويظلّ حديث التوسط والوسطية أمر محبوب ومفضل مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾<sup>2</sup>، وحتى في أقوال العامّة (خير الأمور أوسطها) دليل على فضل هذه المرتبة.

والجدير بالذكر أن الوصف العلمي للصوت المتوسط هو أنه يجمع بين الشدّة والرّخاوة، فيحوز من الشدّة الموقع، ومن الرّخاوة الصوت، فهو فيزيولوجي الموقع فيزيائي الصفة<sup>3</sup>، لأنه رابط بين الشدّة والرّخاوة.

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسين جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص74 وما بعدها

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 143

<sup>3</sup> ينظر: سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص101 و1042

### تعليل الصفات التمييزية:

الإطباق والانفتاح: فالمطبقة أربعة وهي الضاد، الطاء، الصاد والظاء وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق<sup>1</sup>، فالإطباق هو انحصار الصوت الصامت بين اللسان والحنك الأعلى حتى يلتصق به مما يؤدي إلى حبسه يصاحبه إخراج الأصوات في مخرج آخر غير الطبق<sup>2</sup>، وهذه قيمة صوتية تمتاز بها هذه الأصوات، حيث يذكر سيبويه أن للأصوات المطبقة موضعين من اللسان وبين ذلك بحصر الصوت فيقول: "فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان"<sup>3</sup>، وأشار ابن جني إلى قيمة الإطباق الدلالية فقال: " ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا، ولخرجت الضاد عن الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فيزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه"<sup>4</sup>، ومن النص تظهر التقابلات الثنائية التالية:

- طاء (مفخم) ⇔ دال (مرقق)

- صاد (مفخم) ⇔ سين (مرقق)

- ظاء (مفخم) ⇔ ذال (مرقق)

ومما سبق ينتج لنا أن المقابل المرقق للطاء هو الدال وليس التاء كما في عريبتنا المعاصرة، ويرجع بعض الباحثين<sup>5</sup> السبب في ذلك إلى أنهم كانوا ينطقون الطاء مجهورا، أي كما ينطق القراء الضاد في

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/76

<sup>2</sup> عصام نور الدين، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبنانية، ط 1/1992، ص 233

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج 2/204

<sup>4</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/76

<sup>5</sup> ينظر: سمير شريف، استيتية، علم الأصوات النحوي، م س، ص 185 وما بعدها

أيامنا هذه، بمعنى أنه لم يكن لديهم مقابل مرقق للضاد، في حين أن المقابل المرقق للضاد في عربيتنا المعاصرة هو الدال، ومن هذه التقابلات<sup>1</sup> مثلاً:

ضرب ← درب	ضلال ← دلال	ضل ← دل
صار ← سار	مسير ← مصير	سلب ← صلب
طين ← تين	طل ← تل	طرف ← ترف

وعكس الإطباق الانفتاح، ويكون بانفراج ظهر اللسان عند النطق بالصوت وعدم إطباقه على الحنك الأعلى<sup>2</sup>، ويمكن القول في الأخير أن الإطباق صفة نطقية مسؤول عنها اللسان بدرجة الأولى، وبحسب أقسامه المعروفة (طرف، مقدمة، مؤخرة)، والحركة الجامعة لهذه الأصوات هي حركة مؤخرة اللسان باتجاه الحنك الأعلى (الطبق) ينتج عنه تكوين الصوت برنين خاص<sup>3</sup>.

**تعليل الاستعلاء والانخفاض:** "المستعلية سبعة، وهي الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء، وما عدا هذه الحروف فمنخفض"<sup>4</sup>، ثم يضيف أمّا الاستعلاء فأن تتصعد في الحنك الأعلى<sup>5</sup>، فالحروف المستعلية ليست على درجة واحدة من الاستعلاء"، والاستعلاء والاستفال والاستفال صفتان متعلقتان بالعضو (اللسان)، وليس بالصوت"<sup>6</sup> الأمر الذي يحيل إلى منع الإمالة، بدليل ما أورده سيبويه حين قال في باب ما يمتنع من الإمالة من الألفات: "فالْحروف التي تمنعها الإمالة

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف. استيتية، علم الأصوات النحوي، م س، ص 185

<sup>2</sup> نور الدين عصام، علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، ص 152

<sup>3</sup> ينظر: نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب، ص 152

<sup>4</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/76

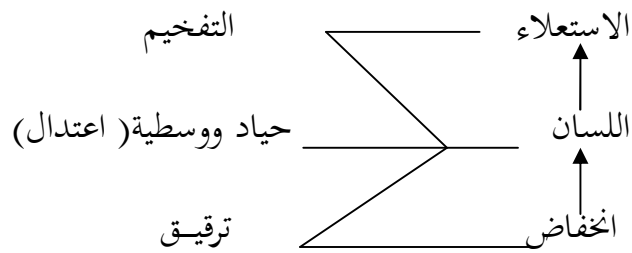
<sup>5</sup> المرجع نفسه .

<sup>6</sup> سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص 105

## الفصل الأول.....التعليق الصوتي للمخارج والصفات

هذه السبعة<sup>1</sup> معللا ذلك بـ"أن الألف إذا خرجت من موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى...، فلما كانت الحروف مستعلية وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أخفّ عليهم"<sup>2</sup>، وبهذا يكون الأداء الأخف على اللسان الانتقال من الاستعلاء إلى الاستفال، وليس العكس .

وبهذا يكون للاستعلاء درجات وللانخفاض درجات، وهو ما نوضحه بالمنخطط التالي:



### تعليق القلقة:

قلقل الشيء قلقله "أي، حركه فتحرك واضطرب"<sup>3</sup>، و"التقلقل قلة الثبوت في مكان"<sup>4</sup>، والقلقلة عند ابن جني هي "حروف مشربة تحفز في الوقف وتضغط عن مواضعها"<sup>5</sup>، وهي المجموعة في قولنا (قطب جد)، لأننا لا نستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك لشدة الحفز والضغط"<sup>6</sup>.

يضيف "ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقوف عليها نحو النفخ إلا أنها لم تضغط ضغط الأول، وهي الزاي والطاء والذال والضاد، وبعض العرب أشدّ تصويتاً"<sup>7</sup>، يظهر من خلال النصين أننا

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/244

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج4/244

<sup>3</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج11/566

<sup>4</sup> المرجع نفسه .

<sup>5</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/77

<sup>6</sup> المرجع نفسه .

<sup>7</sup> المرجع نفسه .

أمام مصطلحين قلقلة وإشراب، حيث الإشراب كمفهوم عام تنضوي تحته القلقلة، الإشراب الجزئي في (ز،ظ،ذ،ض)، ولقد لمسنا هذه النظرة لدى بعض المعاصرين<sup>1</sup> في التفريق بين الإشراب والقلقلة، حيث المشرب لا يضغط عليه ولا حفز فيه، بينما المقلقل فيه ضغط وحفز، وهي أيضا نظرة ابن جني حين عرض للإشراب، فقد أشار للفرق الحاصل في الحفز مقارنا ذلك بالحفز الحاصل في حروف القلقلة وكذا الحروف المشربة (ز،ظ،ذ،ض)، ولم يغفل الحديث عن النفس الخارج حتى مع حروف الهمس بدليل "وأما حروف الهمس فإن الصوت الذي يخرج معها نفس، وليس صوت الصدر، وإنما يخرج منسلا، وليس كنفخ الزاي، والظاء والراء شبيهة بالضاد"<sup>2</sup>، فابن جني قد تدرج في تعليل الحفز من أعلى درجة مع الحروف المقلقلة، حيث الحفز والضغط أكبر، ثم المشربة والتي يرافقها عند الوقف عليها النفخ، وليس كضغط الأولى، ثم المهموسة ومعها نفس منسل، وليس من صوت الصدر، وبهدي ما تقدم يمكن أن نعطي تحليلا صوتيا لما يجري مع أصوات القلقلة .

إذا كان للصوت اللغوي شقان، شقّ نفسي فيزيائي وآخر فيزيولوجي عضوي<sup>3</sup>، فالفيزيائي مقاييس ومقادير، وعلى هذا يكون الصوت اللغوي الإنساني ليس موضوعاً فيزيائياً صرفاً، لأنها تتحكم فيه عوامل غير فيزيائية اجتماعية ونفسية وثقافية وتجريدية وتجريبية<sup>4</sup>، فإذا أسقطنا هذا الحديث الحديث على القلقلة أمكن القول: إن الجانب المتحكم في التعديل هو الجانب العضوي الفيزيولوجي، وذلك لأن التحكم في الأعضاء (اللسان، الشفتين) متاح أما بصمة الصوت النفسية فيبدو لي أنه يغلب عليها الطابع الفطري، أو هو استعداد معين ينطلق منه المؤدي غريزيا في أدائه الصوتي، بمعنى أن

<sup>1</sup> سميرة رفا، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص 104

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج77/1

<sup>3</sup> ينظر: مكّي درار، بسناسي سعاد، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص78

<sup>4</sup> المرجع نفسه .

المؤدي وهذه الحال لا يتمتع بصرف الرصيد الهوائي كله حالة تأدية هذه الأصوات، حيث حالة الوقف المطلوبة في تأدية الصوت بأقل مما هو مرصود له في الرئتين، خاصة إذا علمنا أن المؤدي حين يمارس الوقف فهذا الوقف دلالة تجديد الرصيد الهوائي حتى يسترسل المتكلم أو القارئ، وهذا يجيل إلى القول: إنه عند الوقف يكون هناك باقي هواء في الرئتين، وهناك أيضا هواء بين الرئتين والحنجرة وبين منطقة مؤخرة اللسان التي تمارس التضييق وحبس الصوت وموضع اللسان أو الشفتين، وفي تأدية أصوات القلقله ووقفاً تبقى كمية تناسب طبقة الأداء لتلك الأصوات، ومن ثم يمكن التثبت من أن حدود الصُّويت الخارج لا يتعدى الرصيد الهوائي الذي يشغل منطقة الفم، في حين يتسلل ما بقي من الهواء مع أول لحظة استرخاء لأعضاء النطق<sup>1</sup>.

ويبدو أن هذا التلاشي للصوت الوقفي حتى أتبع بصُويت مرده إلى وجود وقفين، وقف تتطلبه أصوات القلقله، ووقف آخر يصاحبه يلائم نهاية الكلام<sup>2</sup>، وبهذا يكون المتكلم أمام وقفين متقاربين، إلى حد تسلب فيه خاصية الانفجارية من الأصوات المقلقله، وينتج عنه هذا الصويت الذي يؤشر على شدة تلك الأصوات، فرما قاربت هذه النظرة ما كان يشير إليه ابن جني متدرجا في علة الحفز والضغط حتى يقول "ومن الحروف مالا تسمع بعده شيئا مما ذكرناه، لأنه لم يضغط، ولم يجد منفذاً وهي الهمزة والعين والغين واللام والنون والميم"<sup>3</sup>، وهذا حالة الوقف، أما حالة الوصل فيزول ذلك الصويت، فيثبت أن القلقله هي النطق بالحرف دون أن يصاحبه شائبة حركة من الحركات الثلاث،

<sup>1</sup> ينظر: عادل نذير بيرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب، ص162 و163 بتصرف.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج77/1

أي دون تباعد للفتكين ولا انضمام للشفتين ولا انخفاض للفتك السفلي<sup>1</sup>، وهذه وظيفة أو فضيلة أدائية تحسب للساكن .

لقد عيّن الأوائل مخارج الحروف تعيينا يعسر علينا التعديل فيه، اللهم إلا على وجه الاختصار، وذلك بعد إنعام النظر، لأن الصواب أن نراعي مرادهم من المصطلح الذي وافقناهم معنى ولفظا .

### تعليـل الإذلاق والإصمات:

لُقبت العرب بمجموعة من الحروف بحروف الذلاقة نظراً لحققتها وسهولتها وهي ستة "اللام والراء والنون والفاء والباء والميم لأنه يُعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه"<sup>2</sup>، وما عداها فالمصمتة، وعليه فأصل ذلاقة هذه الحروف هو العضو ( اللسان والشفتين)، وليس الصوت<sup>3</sup>، وهناك من يرى من المحدثين<sup>4</sup> أن الإذلاق والإصمات صفتان من علم الصرف، ولا متعلق لهما بتجويد الحروف، بحيث يستعملها العرب لمعرفة الكلمة عربية الأصل أم معرّبة.

### تعليـل الانحراف:

يقول ابن جني في حقها: " ومن الحروف حرف منحرف، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت، ويتجافى ناحيتا مستدقّ اللسان عن اعتراضهما على الصوت"<sup>5</sup>، ويكون نتيجة لهذا

<sup>1</sup> ينظر: عمر بن أحمد بوسعدة، الشامل في التجويد، تقديم: عبد الحليم محمد الهادي قابة، مراجعة: أيمن رشدي سويد، منشورات ألفاء، الدار البيضاء، الجزائر، العاصمة، ط3، منقحة و مزيدة، 2014م، ص41.

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/78

<sup>3</sup> ينظر: سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص106

<sup>4</sup> ينظر: عمر أحمد بو سعدة، الشامل في التجويد، ص40

<sup>5</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/77

الاعتراض "خروج الصوت من تينك الناحيتين، ومما فويقهما وهو اللام"<sup>1</sup>، ومن هنا فأصل الانحراف هو اللسان وليس الصوت<sup>2</sup>، بدليل علة الاعتراض أي أن شيئاً يعترض شيئاً، فالمعترض هو اللسان والمعترض له هو الصوت، لكن هذه الصفة انتقلت وحلت في الصوت فوصف بها، ويؤيد هذا أيضاً قول سيبويه عن المنحرف بأنه "حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت"<sup>3</sup>.

ويحدد سيبويه موضع خروج الصوت فيقول: "وليس يخرج الصوت من موضع اللام، ولكن من ناحيتي مستدق اللسان فويق ذلك"<sup>4</sup>، ورغم أن ابن جني يجاري سيبويه في أغلب ما جاء به، إلا أن سيبويه ينسب هذه الصفة إلى الراء أيضاً فيقول: "ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لانحرافه إلى اللام مخرج الراء"<sup>5</sup>، غير أن انحراف الراء عكس انحراف اللام، حيث مع الراء ينحرف الصوت من جانبي طرف اللسان إلى وسطه، أما اللام فانحرافه إلى جانبي طرفي اللسان<sup>6</sup>.

### تعليل التكرار:

" ومنها المكرر وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير ولذلك احتسب في الإمالة بحرفين"<sup>7</sup>.

تخرج الراء كما تخرج اللام، إلا أن الفارق أن طرف اللسان مع الراء لا يثبت كما يثبت مع اللام،

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 77/1.

<sup>2</sup> ينظر: سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص 108

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج 574/4

<sup>4</sup> المرجع نفسه.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج 573/4

<sup>6</sup> ينظر: عمر بن أحمد بوسعدة، الشامل في التجويد، ص 43

<sup>7</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 43/1

والتنبية الحاصل حول ارتعاد اللسان مع الراء وارد بوضوح، خصوصا في الأداءات القرائية القرآنية، فهي حرف مكرر باصطلاح سيبويه وابن جني، وحرف مرتعد، أو حرف مرفرف باصطلاح المحدثين<sup>1</sup>، وإنما يوحي الارتعاد بضرورة مرونة حركة اللسان وحقته، ويقرّ سيبويه بعدم "إدغام الراء في اللام، ولا النون لأنها مكررة وهي تنفسي إذا كان معها غيرها فكرهوا أن يحفوا بها ، فتدغم مع ما ليس يتفسي في الفم مثلها ولا يتكرر"<sup>2</sup>، وهو الذي يذهب إليه ابن جني بعدم إدغامها<sup>3</sup>، لأن إدغامها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير على حدّ قوله.

### تعليل المهتموت:

يقول ابن منظور: "المهتّ شبه العصر للصوت"<sup>4</sup>، ويقول ابن جني "ومن الحروف المهتموت وهو الهاء، وذلك لما فيه من الضعف والخفاء"<sup>5</sup>، إذن فعلة المهتّ هو الخفاء والضعف وعن الهاء قال الخليل:  
الخليل:

"ولولا هتة في الهاء، وقال مرة ههة لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء"<sup>6</sup>، والمهتموت يختفي فيه النفس ويتراجع"<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 108

<sup>2</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4/285

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/205

<sup>4</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج 2/103

<sup>5</sup> المرجع السابق، ج 1/60 وما بعدها

<sup>6</sup> الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، ج 1/3

<sup>7</sup> ينظر: سميرة رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص 111

ذهب أبو الحسن أن الهاء مع الألف في الترتيب لا قبلها ولا بعدها، وهو الذي ردّه ابن جنّي بقوله: "إنّك متى حركت الألف اعتمدت بها على أقرب الحروف منها إلى أسفل فقلبتّها همزة، ولو كانت الهاء معها لقلبتّها هاء"<sup>1</sup>، وينجم عن علة الضعف والخفاء أن في تأدية صوت الهاء تمر كميّة كبيرة من الهواء تؤدي إلى انفتاح الوترين الصوتيين انفراجا تاما.

### تعليل اللين:

من الصفات السابقة ينتج لدينا تمايز المجموعات على النحو الآتي:

- الجهر والهمس باعتبار جري النفس ومنعه.

- الشدّة والرّخاوة(البينية) باعتبار جري الصوت ومنعه.

- اللين باعتبار سعة المخرج الصوتي.

- الهاوي باعتبار أشد درجات الاتساع في المخرج الصوتي.

"والحروف التي اتّسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو، وأوسعها وألينها الألف"<sup>2</sup>، ثم يضيف ويحدد العلة فيقول: "والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال"<sup>3</sup>، إذ ينفّث الحلق والفم دون اعتراض مع الألف، ثم تكتنف الأضراس العليا والسفلى جانبي اللسان وتضغطه، ثم يتفاج الحنك عن ظهر اللسان فيجري الصوت متصعّدا هناك محدثا فجوة،

<sup>1</sup> ينظر: ابن جنّي، سر صناعة الإعراب، ج1/60

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج1/21

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

ومن أجل تلك الفجوة ما استطال، وهذا مع الياء، أما الواو فنضم لها معظم الشفتين تاركا بعض الانفراج بينهما ليخرج النفس ويتصل الصوت<sup>1</sup>.

فنتج أن أوسع مخرج كان مع الألف، وهو الذي خصّه سيويه بالهاوي قائلا: "ومنها الهاوي وهو حرف لين اتسع لهواء الصوت مخرجه أشدّ من اتساع مخرج الياء والواو"<sup>2</sup>، ومن المحدثين من يخرج الألف من زمرة اللين، فيقول: "الألف حرف مدّ وليس لين"<sup>3</sup>، لأن اللين صفة تمييزية يختص بها الواو والياء، وقدم أمثلة داعمة لذلك مفرقا بين اللين الخاص بالألف كتسمية تمييزية، وليست اصطلاحية، وبين اللين كصفة تمييزية للواو والياء<sup>4</sup>، كما تسمى الياء والواو انزلاقيتين وذلك لانزلاق مخرجيهما<sup>5</sup>، والواو والياء تهوي أصواتهما إذا وجدت متسعا حتى ينقطع آخرهما في موضع الهمزة<sup>6</sup>، وزعم الخليل أنهم لذلك قالوا: "ظلموا" و"رموا" فكتبوا بعد الواو ألفاً، وأن بعضهم يقول: "رأيت رجلاً" فيهمز، و"هذه حُبُلاً"...، فهمز لقرب الألف من الهمزة، حيث علم أنه سيصير إلى موضع الهمزة<sup>7</sup>.

يكشف لنا هذا النص أن الألف والواو والياء ينتهي الوقف عليها بالمؤدي، أو الناطق إلى صوت الهمزة، ويمكن القول من لحاظ ما سبق :

- إن الهمزة أو بالأحرى الاستعداد النطقي لها هو أصل الأصوات.

<sup>1</sup> المرجع نفسه .

<sup>2</sup> ينظر: سيويه، الكتاب، ج4/575

<sup>3</sup> مكي درار، بسناسي سعاد، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص72

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص71

<sup>5</sup> ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص120

<sup>6</sup> ينظر: سيويه، الكتاب، ج4/279

<sup>7</sup> المرجع نفسه .

- الحركات جميعها تبدأ بالهمزة وتنتهي إليها.
- لا يمكن البدء بالساكن دون حركة ولا حركة بغير همزة.
- تتميز الهمزة بالتنوع ( محققة، مسهلة، مخففة، مبدلة)
- الهمزة أداة تذوق بواسطتها الخليل الحروف، واختلاف المختلفون حولها عذر لهم لاختلاف أحوالها، ويبدو أنها ستظل عصية على المدرسين الصوتيين القديم والحديث، وتظل مع هذا علّة الغموض في تباين حالها تزيد البحث لذة ما تعاقب الزمن .

# الفصل الثاني

التعليق الصوتي للإبدال

والاشتقاق

ظهر من خلال تتبع التعليلات أن الإبدال والإدغام، وكذا الاشتقاق من أكثر المظاهر دورانا لتبرير وإبراز أهمية القوانين الصوتية بهدف عام هو التخفيف والاقتصاد في الجهد المبذول، وجاء هذا الفصل في مبحثين، الأول حول الإبدال والثاني حول الاشتقاق ولرسم صورة واضحة المعالم عن التعليل والعلة ارتأينا أن نعرّف الإبدال ونحدد غايته، فما الإبدال؟ وما غايته؟ وما الفرق بين الإبدال والإعلال والقلب؟

### أولا: الإبدال

الإبدال جعل مطلق حرف مكان حرف آخر لتسهيل النطق وتحسين اللفظ<sup>1</sup>، واختلط مصطلح الإبدال بالإعلال والقلب، فكل منهما يحل محل الآخر، ليدل على إبدال حرف مكان حرف آخر سواء حصل هذا بين الحروف الصالح نفسها، أم بين الحروف الصالح وحروف العلة، أم العكس أم بين حروف العلة نفسها<sup>2</sup>، وميدان ظاهرة الإبدال هو الحروف العربية، وقد تراوحت بين الأربعة عشر صوتا، واستقرت عند تسعة أصوات مجموعة في قولنا "هدأت موطيا"<sup>3</sup>، والحروف العربية ضربان خفيف وثقيل، وتختلف أحوال الخفيف منهما، فيكون بعضه اخفّ من بعض، وتختلف أيضا أحوال الثقيل، وأخف الحروف، وأقلها كلفة حروف الزيادة<sup>4</sup>، فما سبب ذلك يا ترى؟

<sup>1</sup> ينظر: خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن الكريم، تق: أحمد نوفل، طبع بدعم من وزارة الثقافة، ط1، 2010، ص13، وينظر أيضا: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص428.

<sup>2</sup> عبد الحق أحمد محمد، الإعلال في كتاب سيبويه في هدي الدراسات الصوتية الحديثة، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، 2000م، ص265.

<sup>3</sup> ابن يعيش، شرح المفصل، ج4/331.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/427.

التفاوت الذي نجده في آثار الدارسين عائد إلى تفاوتهم في جمع الأمثلة المسموعة والمحفوطة في ذاكرة القوم<sup>1</sup>، ويقتى الذي يعيننا هوما له تحليل صوتي .

لقد ذكر ابن جني في تقسيمه للحروف العربية قسما أسماه حروف الزيادة، يجمعها في اللفظ "اليوم نساها" وإن شئت قلت "هويت السمان"، وان شئت قلت "سألتمونيها"<sup>2</sup>، وحين إخراج السين واللام من هذه الحروف وفي مقابل ذلك ضم الطاء والداد والجيم إليها تصير إحدى عشر حرفا، وسماها حروف البديل قائلا: "ولسنا نريد البديل الذي يحدث مع الإدغام، وإنما نريد البديل في غير الإدغام"<sup>3</sup>، قبل ذلك تجدر الإشارة إلى التفريق بين متلازمات ترد في هذا الباب، وهي: البديل والقلب والإعلال والتعويض .

إنما الأسماء بمسمياتها ، لهذا لا بدّ للمصطلحات الصوتية أن تأتي مضبوطة حفاظا على وظائفها .

فالإبدال إبدال مطلق حرف مكان حرف آخر إزالة لا عوضا ولا قلبا، وارتبط المطرد منه بصيغة "افتعل"، أو ما يصطلح عليه بالإبدال الصرفي كقولنا ازدهر، اصطر، أما الحاصل في قولنا "زنة" من "وزن" و"سنة" من "وسن"، فالتاء هاهنا تعويض عن الواو المحذوفة، ولا يعتبر هذا إبدالا<sup>4</sup>، أما القلب فهو تغيير صوتي يصيب بعض العناصر من الصيغة، فيحزحها عن مواضعها بالتقديم، أو التأخير

<sup>1</sup> ينظر: مكّي درار، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 108-109.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/77.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>4</sup> ينظر: خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن الكريم، ص 13 وما بعدها .

لغاية صوتية، ويسمى التقلبات الاشتقاقية ، وهذا عام ،وهو يصيب جميع عناصر الصيغة وقلب خاص بأصوات المد، وهو من صور الإعلال عند الصرفيين<sup>1</sup>، الذي مداره بين حروف العلة ، فيحصل أن كل إعلال يقال له إبدال ولا عكس إذ يجتمعان في نحو"قال ورمى" وينفرد الإبدال في نحو"اصطبر وادكر"<sup>2</sup>، وقد توزع الإبدال ارتباطا بوظائف المجموعة التي تقع ضمن دائرته على أبواب وفق الآتي :

**باب الهمزة :** اعلم أن الهمزة حرف مجهور ، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب : أصل وبدل وزائد<sup>3</sup>، فما حقيقة الأصل والبدل والزائد ؟

الأصل : أن يكون الحرف فاء الفعل أو عينه أو لامه .

الزائد : أن يكون الحرف لا فاء الفعل ولا عينه ولا لامه.

البدل : أن يقام حرف مقام حرف إما ضرورة و إما استحسانا وصنعة وليس في الكلام كلمة فاءؤها وعينها همزتان ولا عينها ولا مها أيضا همزتان ، وجاءت من ذلك أسماء محصورة هي : أءة\* ، أجا\*\*<sup>4</sup>، والعلة في ذلك ثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سئل في الحلق ، وبعد عن الحروف<sup>5</sup> ، إضافة إلى كونها أي الهمزة تحصل طرفا فكان النطق بها تكلفا ، فإذا ثقلت واحدة كانت الهمزتان المتجاورتان أثقل .

<sup>1</sup> ينظر : بسناسي سعاد ، مكى درار ، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية ، ص 98-99.

<sup>2</sup> ينظر : أحمد المخلاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، علق عليه ووضع فهارسه أحمد شتيوي. دار الغد الجديدة ، المنصورة القاهرة ، ط 1/ 2015 ، ص 166 .

<sup>3</sup> ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج 1/83.

<sup>4</sup> \* أءة : واحدة الاء وهو ثمر شجر يدبغ به الأدم \*\* أجا : جبل لطى يذكر ويؤنث

<sup>5</sup> المرجع نفسه .

إبدال الهمز : تبدل الهمزة من خمسة أحرف وهي : الألف والياء والواو والهاء والعين<sup>1</sup> ، وهذا عرض موجز لأوجه الإبدال نركز فيه على منهج ابن جني التعليلي ومرجعياته في ذلك .

الهمزة والألف : ذكر ابن جني أمثلة لذلك منها "الضالين " قرأت بهمزة الألف، وعلل لذلك باستكراه التقاء الساكنين (الضالّـين)، فحرك الألف لالتقائهما فانقلبت همزة، والعلة في ذلك أن الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يحتمل الحركة، فقلبوه إلى أقرب الحروف منه وهو الهمزة<sup>2</sup> .

جانّ ← جان

شأبة ← شأبة

دأبة ← دأبة

ابياضّ ← ابياضّ

وذكر ما نقله سيويوه عن شيخه الخليل في الوقف في قولهم : رجلاً ، وحبلاً يريد رجلاً وحبلى والهمزة هاهنا بدل من الألف التي هي عوض من التنوين في الوقف، ولا يجب أن تحمل على أنها بدل من النون، والعلة من ذلك القرب الحاصل بين الهمزة والألف، والبعد الحاصل بينها وبين النون .

<sup>1</sup> ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1/86.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ج1/87-88.

الإبدال في الصيغ الافرادية يوحي بمدى التقارب الحاصل بين الأصوات، إمّا ذاتا أوصفة، حيث غايته التقريب والفائدة من ذلك أن يكون عمل اللسان من وجه واحد لتيسير النطق واقتصاد الجهد.

لقد تحجج ابن جني لوجوه الكلام العربي بلطائف توحى لا إلى التعالق الحاصل في السياق فحسب، بل إلى أساس نطقي لا يمكن للمؤدي الحياء عنه في كل حال من الأحوال، من ذلك ما ذكره حول " لم يقدرَ أم " الواردة في هذا الشاهد:

مِن أَيُّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفْرَ      يَوْمَ لَمْ يُقَدَرَ أَم يَوْمَ قُدِرَ<sup>1</sup> .

علل ابن جني لهذا الوجه بسكون الراء (أيوم لم يقدرُ أم يوم قدر) للحزم، ثم إنها جاورت الهمزة المفتوحة وقد أجرت العرب الحرف الساكن إذا جاور الحرف المتحرك مجرى المتحرك، وقياس ذلك من العربية كثير "المرأة" و"الكمأة" يريدون "المرأة" و"الكمأة"، حيث الميم والراء ساكنتان والهمزتان بعدهما مفتوحتان، صارت الفتحتان اللتان في الهمزتين كأنهما في الراء والميم وصارت الراء والميم كأنهما ساكنتان، فصار التقدير فيهما "مرأة" و"كمأة"، ثم خففتا فأبدلت الهمزتان ألفين لسكونهما وانفتاح ما قبلهما، فقالوا : مرأة وكمأة كما قالوا في:

<sup>1</sup> أورد البيت صاحب الخزانة ( 579/4 )، حيث الشاهد فيه عند البصريين فتح راء " لم يقدر " بسبب نون التوكيد الخفيفة المحذوفة ضرورة .

" فأس ورأس " فاس وراس"<sup>1</sup>، وقدر سيبويه هذا أيضا، أي أن الحركة المجاورة للحرف الساكن كأنها فيه قد حلت<sup>2</sup>، وهذه مزية وظيفية تحسب للسكون، فغير منكر يقول ابن جني: أن يعتقد في فتحة الهمزة من قوله: (أيوم لم يقدر أم يوم قدر) كأنها في الراء الساكنة قبلها للجزم فتقلب الهمزة ألفا للتخفيف، فيصير التقدير "يُقَدِرُ أم"، فيلتقي ساكنان الألف والميم بعدها فتتحرك الألف فتقلب همزة على هذا التقدير " لم يقدر أم " فتفتح الهمزة إتباعا لحركة الراء كما فتحوا "الآن" إتباعا للألف التي قبلها<sup>3</sup>، فما العلة التي سلبت الهمزة من "أم" فتحها؟، لماذا لم تتركها همزة ثم حركتها لالتقاء الساكنين؟، وما الداعي إلى قلبها ألفا بعد تسكينها حتى تقلب الألف همزة؟، وجواب ذلك كله طلب التخفيف حيث هذه الهمزة قلبت عن ألف وهي بدل من ألف هي بدل من همزة .

لقد اطرد عنهم قلب ألف التأنيث همزة وذلك نحو "حمراء"، "صفراء"، "صحراء" وتجنباً للرتابة والتكرار نعرض مثالا واحدا مدعماً بالشرح والتعليل.

الألف في "صحراء" إنما هي بدل من ألف التأنيث كالتي في نحو: حبلى، بشرى وجمادى، فالتقى هناك ألفان زائدتان، الأولى هي الألف الزائدة (صحراء) والثانية هي ألف التأنيث فلا بد من حذف واحدة منهما وحركتها، حيث لو حذفنا الأولى لانفردت الثانية وقد بنيت الكلمة على اجتماع

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/90

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

الألفين فيها ، أما الآخرة لو حذفناها لزلت علامة التأنيث فحركت الثانية فانقلبت همزة<sup>1</sup> ، فما علة

القياس الصحيح حين جمع صحراء وأمثالها ؟ أبالهمزة أم بدونها ؟ فنقول :

صحراء ← صحاري ← صحاري ← صحاري  
 صلفاء ← صلافي ← صلافي ← صلافي  
 خبراء ← خباري ← خباري ← خباري

العلة في هذا على وجهين ، أما الأول فهو أنهم يؤنثون بالتاء أو الألف في نحو حمدة ، قائمة ،

حبلي ، سكري ، وهو مبدأ قياسه السماع بدليل قوله : " لم نسمعهم أظهروا همزة في شيء من ذلك " <sup>2</sup> ،

والثاني ، وهو الأدل على قلبها في الجمع ياء لا همزة هو أن صورة صحراء ← صحراء ،

فلما التقت ألفان واضطروا إلى تحريك إحداهما جعلوها الثانية لأنها حرف الإعراب فصارت صحراء ،

ولوصرت إلى الجمع لزمك أن تقلب الأولى لانكسار الرء قبلها في :

" صحارا " ← صحاري قياسا إلى قرطاس ← قرطاس

فتقع الياء الساكنة قبل الألف الآخرة الراجعة عن الهمزة لزوال الألف من قبلها فتقلب الألف

ياء لوقوع الياء ساكنة قبلها ، وتدغم الأولى المنقلبة عن الألف الزائدة في الياء الآخرة المنقلبة عن ألف

التأنيث<sup>3</sup> على هذا النحو :

صحراء ← صحرا ← صحاري ← صحاري ← صحاري

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ص 9 ج 1/99

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه ، ج 1/99

<sup>3</sup> ينظر: نفسه ، ج 1/100

وقد حضر ابن خلويه<sup>1</sup> مجلس سيف الدولة ابن حمدان، فسأل هذا الأخير جماعة من العلماء في مجلسه "هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصوراً فقالوا : لا " فأجابته ابن خلويه وذكر له اسمين صحراء وصحاري، وعذراء وعذارى، فلما كان بعد شهر أصاب حرفين آخرين ذكرهما الجرهمي في كتابه "التنبيه" وهما صلفاء وصلافي، وخبراء وخباري، ثم بعد عشرين سنة يقول: وجدت حرفاً خامساً ذكره ابن دريد في "الجمهرة"، وهي سبتاء وسباتي، وقد نقل هذا جلال الدين السيوطي عن ابن العديم عن ابن خلويه<sup>2</sup>، بمعنى أن النص يحيلنا إلى إن هذا الباب من الأسماء محصى محدود بخمسة أسماء ليس من كثير الكلام الذي يقاس عليه.

### إبدال الهمزة عن الياء والواو:

تبدل الهمزة منهما وهما أصلان كما تبدل منهما وهما زائدتان<sup>3</sup>، فقالوا في :

وجوه ← أجوه

وُعد ← أُعد

وُقتت ← أُقتت

وحد ← أحد

<sup>1</sup> ينظر : أبوعبد الله الحسين بن أحمد بن خلويه ، كتاب ليس في كلام العرب ، نقحه وشرحه وضبطه ديزه سقال ، دار الفكر العربي ، بيروت لبنان ، ط1/2000م ، ص 5.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ص 05

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1/106.

أما ما كانت لامه واوا أو ياء طرفا بعد ألف نحو: قضاء، سقاء، شفاء، كساء، شقاء، علاء فأصله: قضاي، سقاي، شفاي، كساو، شقاو، علاو، لأنها من قضيت، سقيت، شفيت، كسوت، الشقوة وعلوت، وعلة هذا الانقلاب أنّ ( الواو، الياء ) وقعتا طرفا بعد ألف زائدة فضعفتا، أي أن التقدير :

قضاء ← قضا ← قضاي ← قضاء  
كساء ← كسا ← كساو ← كساء

فالهمزة هاهنا إنما هي بدل من الألف، والألف التي أبدلت الهمزة عنها بدل من الياء والواو، إلا أن النحويين إنما اعتادوا هنا أن يقولوا : إن الهمزة منقلبة من ياء أو واو، ولم يقولوا من ألف<sup>1</sup>، وهذا على التجوز. وهذه مراتب في الانقلاب يرى ابن جني على غير عادة غيره بضرورة تسلسلها.

لقد ذكر بعض الباحثين في حديثه عن النظرية الصوتية القديمة إشارة إلى العلة التحولية لهذه الحروف ( ا، و، ي، أ )، حيث أنها مرة صائت ومرة شبه صائت، ومرة صامت، فهي ذات نشاط وظيفي<sup>2</sup>، فلا غرو أن يحدث بينها هذا التبادل خاصة ونحن نجد غير واحد من اللغويين يشير إلى شيوعها في الكلام العربي، ذلك أن الصوت اللغوي إذا شاع استعماله كان عرضة لظواهر لغوية

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1/106.

<sup>2</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل ، علم الصرف الصوتي ، ص 408/409.

كالإبدال والإدغام، وأحيانا أخرى للسقوط من الكلام<sup>1</sup>، وهذا الذي أشار إليه إبراهيم أنيس فيما أسماه نظرية الشيوخ مبررا ذلك بأن الإنسان يميل في جميع أحواله إلى السهولة<sup>2</sup>، والواو والياء فيهما من السهولة ما لا يغفله الناطق، أو ما لا يعتاص على المؤدي، وكما يكون الإبدال يكون الحذف، فهاهو ابن جني في التصريف المملوكي "يشير إلى حذف الياء مثلا فيقول: "يد أصلها يدي"، وهي أنثى محذوفة اللام وزنها "فعل" فحذفت الياء تخفيفا فاعتقت حركة اللام على الدال وقد أبدلت الياء من حوالي عشرين حرفا<sup>3</sup>، فمثلا:

قراطيس أصلها قراطيس، أبدلنا الألف لأن ما قبلها حرف مكسور .

"ميعاد"، "ميزان"، "ريح"، "قيل"، "ديممة"، كل ذلك من الواو لقولك: "وعدت"، "وزنت"، "رواحت"، "قاوت"، "دومت"، وقد ورد هذا مفصلا<sup>4</sup> في باب إبدال الياء.

### الهمزة والهـاء :

تبدل الهمزة عن الهاء كقولهم: "ماء" أصله "موه" لقولهم "أمواه" لقلب الواو ألفا، وقلبت الهاء همزة فصار "ماء"، وقد قالوا في الجمع أيضا: "أمواه"<sup>5</sup>، وتبدو العلة في ذلك أن الهاء أقرب المخارج

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم، أنيس، الأصوات اللغوية، ص 223 وما بعدها .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، التصريف المملوكي، تح: ديزة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1/1998، ص 30.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 30-31 .

<sup>5</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/112.

إلى الألف وهي شبيهة بها<sup>1</sup>، ويكشف هذا النص عن الحاجة إلى الهاء بدلا من الهمزة طلبا للخفة حيث أن الهاء وهي أقرب مخرجا للهمزة فكلاهما ( الهمزة والهاء) من أقصى الحلق إلا أنه لكل منها صفة هي أبعد ما تكون عن الثانية، حيث الهاء صوت رخو مهموس، والهمزة صوت حلقي انفجاري بالإضافة إلى كون كل منهما يحتل الصدارة في مجموعته، هذا ما جعلهما على طرفي نقيض على الرغم من أنهما ذات واحدة من حيث وحدة المخرج .

ويبدو أن هذا الإبدال وإن كان مظهرا لهجيا عند طيء<sup>2</sup> الموغلة في البداوة، ففيه ما يحيل إلى تأثير سمعي نقل النطق من مساحة الشدة (النطق بالهمزة) إلى رقعة اللين (النطق بالهاء بدل الهمزة). ومن مظاهر الإبدال أيضا قولهم : "أأل" كقولنا "أأل الله" و"أأل الرسول" إنما أصلها "أهل"<sup>3</sup>، حيث أبدلت الهاء همزة فصارت في التقدير "أأل" ، فلما توالى همزتان أبدلوا الثانية ألفا كما قالوا : "آدم" و"آخر" وفي الفعل "آزر" و"آمن"<sup>4</sup>، إلا أن هناك التفاتة لطيفة لابن جني تظهر من خلال علة عدم استعمال "آل" موضع "أهل" على العموم ذاك أن الألف في "أأل" ليست بدلا من الأصل ، وإنما هي بدل من بدل من الأصل ، حيث لو كانت ألف "آل" بدلا من الهاء في أهل لقليل : "انصرف إلى آلك" كما يقال: "انصرف إلى أهلك" ، ف"آل" مخصوص بالأشرف كقولنا : "وعلى

<sup>1</sup> ينظر : سيبويه ، الكتاب ، ج 4/163

<sup>2</sup> ينظر : حسام نعيمي ، الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني ، منشورة وزارة الثقافة والإعلام ، سلسلة الدراسات (134) ، بغداد ، د ط ، 1980 ، ص 118 .

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب ، ج1/113

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

آل محمد" حتى لا يقال في القرءاء " آل الله" <sup>1</sup>، وعليه فالعلة قد لا تكون دائما صوتية بحتة، فقد يحدث وأن تكون أشرف من ذلك كحال المثال المبسوط بين أيدينا .

### تاء الافتعال:

إن البنية الحاضنة لتاء الافتعال تمكّن الناطق من أن يتجاسر على الأصوات التي لا يمكن إدغام التاء فيها أو إدغامها في التاء أما إبدالها، أي التاء حاصل من ستة أحرف هي: و، ي، س، ص، ط، د، <sup>2</sup>، حيث يمكن القول: إن الإبدال المرافق لتاء الافتعال غايته إعداد مناخ صوتي ينجح إليه المؤدي وصولا إلى الخفة المنشودة، ونحاول هاهنا تتبع سياقات الإبدال التي ترد فيها تاء الافتعال .

وننبّه على أن هذه الأمثلة ليست إحصائية نهائية ، إنما هي من بعض شواهد ابن جني الكثيرة

### 1- إبدال الواو والياء تاء إذا كانتا فاء في " افتعل "

ذكر ابن جني ألفاظا كثيرة في هذا الباب إلا أنه استدرك بعدم القياس عليها لقلتها ، وإن بدت كثيرة بحسب زعمه <sup>3</sup> .

المفردة	إبدالها	وزنها
بُجَاه	وُجَاه	فُعَال
تُرَاث	وُرَاث	فُعَال
تَقْيِيَة	وَقْيِيَة	فَعِيلَة
تَوْرَاة	وَرِي	فَوَعْلَة

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/114-115.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/155.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/156-157.

## الفصل الثاني..... التحليل الصوتي للإبدال والاشتقاق

فمثلا "توراة" من "وري"، وأصلها "وورية" فأبدلت الواو الأولى تاءا وعلّة ذلك أنّهم لو لم يبدلوها تاءا لوجب أن يبدلوها همزة لاجتماع الواوين في أول الكلمة، بدليل قوله: "إذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بد ، وذلك أن الأولى أصلها وولى" <sup>1</sup>.

أما الذي عليه القياس لكثيره فهو "افتعل" <sup>2</sup>، وما تصرف منهض، وذلك نحو قولنا: اتّزن أصله إؤّزن ، قلبت الواو تاءا وأدغمت في تاء افتعل والحال كذلك في اتّعد، واتّلع، واتّصف، حيث العلة في قلب هذه الواو تاءا أنّهم لو لم يقلبوها تاءا لوجب أن يقلبوها على النحو الذي يظهره الجدول التالي <sup>3</sup>:

المفردة	ما قبلها مكسور	ما قبلها مضموم	ما قبلها منصوب
اؤتّزن	إِـرَن	مؤتّزن	يا تّزن
اوتّقد	إِيتّقد	مؤتّقد	يا تّقد
اوتّلع	ايتّلع	مؤتّلع	يا تّلع

أي أنّهم صاروا إلى قلبها مرة واوا ، ومرة ياءا ، فأرادوا أن يقلبوها حرفا جلدًا تتغير أحوال ما قبله وهو باق على حاله <sup>4</sup>، فكانت التاء الأنسب لذلك ، ولنا أن نتساءل أي جلادة يحملها حرف التاء؟ وهو حرف مهموس، مرقق ، و مستقل .

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/110.

<sup>2</sup> طالع: المرجع نفسه ، ج1/157

<sup>3</sup> طالع : المرجع نفسه ، ج1/157-158

<sup>4</sup> طالع : المرجع نفسه .



م ء / ت / ز / ن

م ء / و / ت / ز / ن

م ء / ت / ز / ن مُتَّزِن

أَتَّعَاد \_\_\_\_\_ إَوْتَعَاد \_\_\_\_\_ أَفْتَعَال

ء \_\_\_\_\_ و / ت / ع / د / ن

ء \_\_\_\_\_ ت / ت / ع / د / ن

وهنا ضعفت الواو حين سبقتها كسرة ، والذي يبدو لي أنها حصرت بكسرتين ، وبالإبقاء على الحجرة الرنينية للكسرة ، فهي حركة أمامية ضيقة حصرتها الرنينية خلفية<sup>1</sup> قويت على الواو نصف الصائت.

تجدر الإشارة أن هذا الإبدال مرّ بالمراحل التالية :

إَوْتَعَاد ← إِيْتَعَاد ← إِيْتَعَاد ← إِيْتَعَاد

وإذا ضعفت الواو وكانت فاء في صيغة "افتعل" ، فلا غرابة أن يتعامل المؤدي مع الياء والواو على حدّ سواء .

<sup>1</sup> ينظر : سمير شريف استيتية ، القراءات القرآنية ، منهج لساني معاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، اريد ، د ط ، 2005 م ، ص 252

1- إبدال التاء طاء: يقول ابن جني إذا كانت فاء "افتعل" صادًا، أو ضادًا، أو طاءً، أو ظاءً يقلب طاء البتة، وذلك نحو قولنا: من الصّبر اصطبر، ومن الضرب اضطرب، ومن الطرد اطرد، وأصل هذا كله اصتبر، اضطرب، اطترد<sup>1</sup>.

ذكر جني هذا في باب الإدغام الأصغر واصفاً ذلك أنه تقريب من دون إدغام، وأما "اطرد" فإن إدغامه ورد التقاطاً لا قصداً، وذلك أن فاءه طاءً فلما أبدلت تاءه طاءً صادفت الفاء طاءً وجب الإدغام لما اتفقا<sup>2</sup>.

إنّ النظرة الحديثة تظهر الفرق بين التجانس الصرفي والتجانس الصوتي، فالصرفي يكون في مواد معلومة، والصوتي يكون في قوانين محدودة، وتنحصر علاقة الصوتي بالصرفي في بعض الأوزان كصيغة "افتعل"<sup>3</sup>، وللتحليل والتعليل نختار صيغة "اضطرب"، إذ الأصل فيها "اضترب" فلما رأوا أن التاء مهموسة، والضاد حرف مطبق والتاء خفية قريوها من لفظ الضاد بأن قلبوها إلى أقرب الحروف منها، حيث التاء نطعية مهموسة شديدة واجبة التزييق وقعت بعد الضاد المستطيلة المجهورة الرخوة المطبقة المستعلية الواجبة التفخيم، فنتج تنافر صوتي بين الاستعلاء والاستفال<sup>4</sup>، فبحثوا عن صوت بديل يذيب هذا التنافر شرط أن يناسب هذا الصوت التاء في المخرج والضاد في الصفة، وكان بالإمكان إبدال التاء دالاً لأنهما من مخرج واحد، ولكن الدال أيضاً مستفلة، وبهذا لم يتحقق

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/229.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 2/93.

<sup>3</sup> ينظر: بسناسي سعاد ومكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص 97.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 97 وما بعدها.

الانسحام المطلوب، فتنكبوا الدال، فبقي من المجموعة الطاء، وهويناسب التاء مخرجا والضاد استعلاء وإطباقا فتنكبوا الامتزاج المسوغ للتجانس الصوتي، وهناك من يقلب التاء إلى ما قبلها فيقول<sup>1</sup> :

اصْتَبِر ← مُصْبِر

اضْتَرَب ← مُضْرَب

اظْهَرَ ← مُظْهَر

وبعضهم قرأ: ﴿أَنْ يَصْلِحَا﴾<sup>2</sup> يريد يصطلحا<sup>3</sup>، وتجدد الإشارة إلى الوجه التعليلي لإبدال

التاء طاء، ثم إبدال الضاد طاء وإدغام الطاء في الطاء، وذلك في نحو:

اضْطَلَم ← اضْطَلَم ، ويجوز فيه وجهان :

1-التأثر التقديمي : نبدل من الطاء الظاء لتكون " اظْلَم " .

2- التأثر الرجعي : نبدل من الظاء طاء لتكون " اظْلَم " .

ومن أجاز هذا فقال: " اظْلَم " لم يجزه مع الصاد ولا الضاد<sup>4</sup>، والعلة في ذلك أن " في الصاد

طولا وصفيرا فلا تدغم هي ولا أختاها السين والزاي في الطاء، ولا في الظاء ولا أختيها الذال

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج1/229.

<sup>2</sup> سورة النساء ، الآية 128 .

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق ، ج1/229.

<sup>4</sup> المرجع نفسه ، ج1/230.

والثاء<sup>1</sup>، وذلك لأن في الضاد طولا وتفشيا، فلو أدغمت لأجحفنا بما فيها من تفشي، والحال كذلك مع حروف الصفير خشية أن يسلبهن الإدغام ما فيهن من مزية الصفير .

لقد توافقت نظرة الدرس الحديث مع ما تقدم من تعليل في تاء الافتعال، حيث عنيا الدرسان بضابطي المخرج والصفة كبعد محفوظ<sup>2</sup>، بوصفه آصرة صوتية تذكر بشرط القرابة الصوتية بين المبدل والمبدل منه .

### 2- إبدال تاء " افتعل " دالا :

إذا وقعت تاء "افتعل" في إثر الدال أو الذال أو الزاي فتقلب تاؤه لها دالا كقولهم : ازدان، وادّعى، وادّكر، واذدكر<sup>3</sup>، حيث يبدل للزاي مكان التاء دال وذلك في قولهم :مزدان في مرتان لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهزة مثلها، كما أنها ليست مطبقة<sup>4</sup>، وأما اذدكر فممنزلة بين "ازدان وادّعى"، ذلك أنه لما قلبت التاء دالا لوقوع الدال قبلها صار إلى اذدكر غير أنه أجريت الدال لقربها من الدال بالجهر مجرى الدال فأوثر الإدغام لتضام الحرفين في الجهر<sup>5</sup>، أي في ادّعى لا بد من الإدغام قصدا لا عن توارده، أما في ازدان فإبدال، أما اذدكر فممنزلة بين المنزلتين .

<sup>1</sup> ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج 1/230.

<sup>2</sup> إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص 181

<sup>3</sup> ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ج 2/93.

<sup>4</sup> ينظر : سيبويه ، الكتاب ، ج 4/600 .

<sup>5</sup> ينظر : المرجع السابق ، ج 2/93،94 وما بعدها .

لقد علل ابن جني لهذا التقارب بين الأصوات في هذه الأمثلة وأشباهاها بوجود حرف مستعل بعد

السين، وذلك من قولنا <sup>1</sup> :

سُقْتُ ← صُقْتُ

السُّوق ← الصُّوق

سقر ← صقر

والمعادلة التي من خلالها يقول عن صوت التاء بوصفه عنصراً نشطاً، جلداً، يجل على صيغة

"افتعل" بخصال صوتية على صعيد الذات والصفة لتحقيق التجانس الصوتي وكراهية التفاوت في

السلسلة الصوتية المنطوقة .

إنَّ إبدال التاء قد يقصد به الإدغام وغيره، من ذلك قولهم "سِتُّ" أصلها "سِدْسُ" فقربوا

السين من الدال بأن قلبوها تاءً، فصارت "سِدْتُ" فهذا تقريب لغير إدغام ، ثم إنهم فيما بعد أبدلوا

الدال تاءً لقربها منها إرادة الإدغام، فقالوا "سِتُّ"<sup>2</sup>، ولا أريد أن استفيض في الحديث لأن هذا ضرب

من أضرب المماثلة معروف .

3- إبدال التاء سِيناً : وذلك من قولهم "سِتُّ" وأصلها "سِدْسُ" ثم "سِدْتُ" ثم "سِتُّ" ولما

كانت التاء والسين مهموستين جاز إبدال كل واحدة منهما من أختها<sup>3</sup>، ونقول مثلاً : في مستمع

<sup>1</sup> ينظر : سيبويه ، الكتاب ، ج4/600 ، ج 2/94

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج4/94.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

مُسَمَّع فتدغم لأنهما مهموستان<sup>1</sup>، حيث يتضح أن علة إبدال التاء سينا سبيل يسهل النطق على المؤدي .

### 4- إبدال التاء ثاء :

إنّ التاء والثاء من حيز مخرجي واحد، فقد أبدلت التاء تاء وأدغمت ، ولما كان الأصل في التأثير أن يكون رجعياً ، فإن القياس أن نقول في "افتعل" من "الشريد" اترد وهو مُتَّرَد<sup>2</sup> ، وإنما قلبت التاء تاء لأنها أختها في الهمس فأدغموها ليكون الصوت نوعاً واحداً ، كما فعلوا حين أسكنوا تاء "وتد" فأبدلوها إلى لفظ الدال بعدها فقالوا "ودّ" ، ومثل ذلك أيضاً قولهم: أتأّر من الثأر، وهذا هو القياس الأقوى بحسب ابن جني لا من قال " اترد وأتأّر"<sup>3</sup>، كما قال بعضهم في " اذكر اذكر، هذه أوجه الإبدال الواردة في تاء الافتعال.

### إبدال الميم:

يبدل حرف الميم من أربعة أحرف وهي: الواو، النون، اللام والياء<sup>4</sup> ، وإذا رأيت لذلك وجدت أن الدوران الذي يحدث بين الميم وأخواتها (و، ل، ن) هو إيقاع يتكرر في الفاصلة القرآنية ليحافظ على التوافق الصوتي بين السابق واللاحق من الفواصل ، والجدول الآتي يظهر تفسير ذلك<sup>5</sup> :

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1/211.

<sup>2</sup> ينظر: سيبويه ، الكتاب، ج4/600.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق، ج1/183.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج1/184

<sup>5</sup> ينظر : هادي نحر ، علم الأصوات النطقي ، عالم الكتب الحديث ، اردن الأردن ، ط1 ، 2011 م، ص 253 وما بعدها.

النسبة المئوية لاستعماله فاصلة	عدد مرات استعماله فاصلة	الحرف
50.93 %	3182	النون
12.40 %	775	الميم
11.04 %	690	الراء
04.62 %	286	الذال
03.92 %	245	ألف مقصورة
03.82 %	239	الياء
03.39 %	212	اللام

مع مكونات الجدول:

يحمل الجدول نظرة للدرس الصوتي الحديث توافقت ومعطيات الدرس الصوتي القديم، وفي النظرتين تقارب وتوافق بررته الفاصلة القرآنية، حيث إن هذه الأخيرة تقتضي حروفا ذات وقع نغمي، ووضوح سمعي لتظهر حين الوقف عليها، وجاءت النون في المرتبة الأولى بنسبة 51%، ثم الميم بـ 12.5%، وهما حرفان من أهم حروف الترتم في العربية<sup>1</sup>، وفي تتبعنا للجدول وجدنا أن الخاء لم ترد فاصلة قطّ ربما لصعوبتها، أولصعوبة الوقف عليها .

وإذا قارنا هذا بما ورد في نظرية الشيوخ التي تقرر أن الأصوات الأكثر تداولاً تكون أكثر تعرّضاً للتطور من غيرها<sup>2</sup>، فإذا كانت اللام، والميم، والنون أكثر دوراناً في الكلام العربي، فقد أشار

<sup>1</sup> ينظر: هادي نحر، علم الأصوات النطقي، ص 253.

<sup>2</sup> طالع: إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص 219 وما بعدها.

إبراهيم أنيس في أدراج هذه النظرية إلى ما أسماه بالإبدال التاريخي الذي يتلخص في أن كلّ واو، أو ياء إنما كانت في الأصل إما لاما، أو نونا، أو ميم<sup>1</sup>، ولم يقرّ كلية بضرورة هذا الإبدال لأن هذا يحيل إلى تجريد الأبجدية من (ل، م، ن)، وفي هذا مخالفة لواقع العربية.

أما إبدال النون من الميم فيقول ابن جني نحو قولهم: "فم" وأصله "فوه" بوزن سوط<sup>2</sup>، والعلة في ذلك الحذف للتخفيف قياسا إلى من قال في "سنهاء" "سنة"، فصار التقدير "فو" فلما بقي الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين كرهوا حذفه للتونين، فصار هذا إجحاف به فكان أن أبدلوا من الواو ميمًا لقرب الميم من الواو لأنهما شفهيّتان، وفي الميم هوي في الفم يضارع امتداد الواو، ولفظه "فم" مفتوحة الفاء بدليل وجودها في اللفظ مفتوحة، يقول ابن جني: وهذا هو المشهور أما ضمها أو كسرهما فهو ضرب من التغيير لحق الكلمة، إنما التصرف كله على (ف، و، ه)<sup>3</sup>، يقول الشاعر:

يا لَيْتَهَا قَدْ خَرَجَتْ مِنْ فُؤِهِ      حتى يَعُودَ الْمُلْكُ فِي أُصْطَمِّهِ<sup>4</sup>.

وقد وردت المفردة أيضا في بيت للشنفرى في لاميته المشهورة :

مُهَرَّتَهُ فُؤُهُ كَأَنَّ شُدُوقَهَا      شُقُوقُ الْعِصِيِّ كَالِحَاتٍ وَبُسْلٍ<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية، ص 220 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/90.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>4</sup> البيت مأخوذ من أرجوزة للعجاج، ونسبه ابن خلويه إلى جرير يقوله في سليمان بن عبد الملك عبد العزيز، وذكره صاحب اللسان في (طسم)

ونسبه أيضا إلى جرير، والشاهد فيه ضم وتشديد ميم (فم)، واصطدم الشيء، أي وسطه معظمه

<sup>5</sup> ديوان الشنفرى، جمعه وحققه، وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1417، 2/1997م، ص65

حيث إن الشاعر في البيت يصف الذئاب التي تجمعت حول ذلك الذي دعاها لإنجاده بالطعام ، فيصفها بأنها فاتحة أفواهها ، واسعة الشدوق كريهة المنظر.

يثبت مما سبق أن علة إبدال الواو ميما هي علة يستدعيها المستوى النحوي في الأداء اللغوي، أي أن للميم القدرة على استيعاب مصوتات الإعراب (الفتحة، الضمة، والكسرة)، ولما كانت الواو في أصل (فم)(فو) واوا مدية، فإنّ بقاء هذه الواو على حالها يترتب عليه تأثرها بأصوات الحركات الإعرابية، ثم انقلابها إلى أجناس تلك المصوتات<sup>1</sup>.

يقول أبو علي: ولو لم تكن الواو في "ذو" و"فو" حرف إعراب لبقى الاسم الواحد على حرف واحد<sup>2</sup>، ولما حذفت الهاء من فوه بقيت الواو ساكنة فاستثقلوا الوقوف عليها فحذفوها فبقى الاسم "فاء" وحدها، فوصلوها ب "ميم" ليصير حرفين ، حرف يبتدئ به فيحرك، وحرف يسكت عليه فيسكن<sup>3</sup>.

ومن أمثلة قياس ذلك ما ذكره ابن جني في قوله "ساءلت زيدا" حيث الهمزة أصل، والياء في سائلت عوض وفتح، ووزنهما "فاعلت"، وهذا مثال لا يعرف له في اللغة نظير، وعليه يمكن تصور ما يجري على النحو الآتي:

<sup>1</sup> ينظر: عادل نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب، ص 360 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، علل التشبية، تح صحي التميمي، ورمضان عبد التّوّاب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2/ 1411هـ/ 1991م، ص 55.

<sup>3</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (فوه).

"فو" حيث الواو مدية تعرضت للانشطار فأبدل من نصف الصائت (الميم)/فُ /و. ويتعرض الصائت الطويل / فُ / إلى الانشطار المزدوج / و / وهو يتكون من صائت / فُ / ونصف صائت / و /، حيث هذا الأخير تبدل منه الميم، أما الصائت / فُ / فيبدل بصائت / فُ / تخلصاً من توالي المصوتات / فُ فُ /

/ فُ و /

/ فُ م /

/ فُ م /

حيث يظهر من خلال التحليل الصوتي أن علة الإبدال هاهنا صرفية أكثر منها صوتية<sup>1</sup>.

وهناك من يراها أن الميم ليست البديل الصوتي للواو لأنها ميم التميم الذي يساوي التنوين في اللغة العربية، وكأنها أصلية، فأضافوا إليها الإعراب والتنوين فصارت "فم، فم، فم" و فم<sup>2</sup>، فنقلت الميم من آخر الكلمة إلى وسطها.

### الميم والنون:

أي أن إبدال الميم من النون فإن كل نون ساكنة وقعت قبل ياء قلبت في اللفظ ميماً وذلك نحو "عنبر وامرأة شنباء"<sup>\*</sup>، و قنبر<sup>\*\*</sup>...، فإن تحركت أظهرت وذلك نحو قولك: شنب وعنابر وقنابر<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> ينظر: عادل نذير بيرى الحساني، التحليل الصوتي عند العرب، ص 362 وما بعدها

<sup>2</sup> ينظر: برجستراشر، التطور النحوي للغة العربية، أخرجه وصححه وعلق عليه رمضان عبد النّوّاب، دار الرفاعي، الرياض، السعودية، 1983م، ص 51.

<sup>\*</sup> شنباء: رقت أسنانه وبيضت فهورشنب، وأشنب، وشنباء

<sup>\*\*</sup> اسم يطلق على شخص، وسيبويه هو عمرو بن عثمان بن قنبر.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 2/96.

وعلة ذلك يعلق ابن جني أنه إنما قلبت لما وقعت ساكنة قبل الياء من قبل أن الياء أخت الميم (قرب الموضع)، وقد أدغمت النون مع الميم في نحو "من معك"، ولما كانت النون تدغم مع الميم التي هي أخت الباء أزدادوا إعلاؤها أيضا مع الباء حيث أدغموها في أختها الميم، وفي المقابل كانت الميم أقرب إلى الباء من النون فلم تدغم في الياء في نحو: أقم بكرا لا تقول: أقبّكرا كانت النون التي هي من الياء أبعد منها من الميم أجدر بأن لا يجوز فيها إدغامها في الياء<sup>1</sup>، أي أنهم حين لم يصلوا إلى إدغام النون في الباء أعلوها دون إعلال الإدغام، فقربوها من الياء بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء، وهو الميم، فقالوا: عمبر، وقمبله، وعلة ذلك أنهما اشتركا في خروج الهواء من الأنف مكونا غنة تعقد شبها بينهما، بالإضافة إلى تقارب مخرجيهما<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أنه يجوز إدغام النون في الميم في نحو مّمّا، عمّمّا. (من ما، عن ما)، ولكنهم لم يدغموا الميم في النون، قال سيبويه "ولم يدغموا الميم في النون لأنها، أي الميم لا تدغم في الباء التي هي من مخرجها ومثلها في الشدة ولزوم الشفتين، فكذلك لم يدغموها في ما تفاوت مخرجه عنها ولم يوافقها إلا في الغنة"<sup>3</sup>، والمناخ الذي يهيئه العمل من وجه واحد يظهر جليًا، حيث انطباق الشفتين يكون تاما عند النطق بالميم أو الباء، فيحبس الهواء حبسا تاما في الفم ثم يمرر من الهواء بخفض الحنك الرخوما يؤدي به صوت الميم، ومن ثمّ يستمر إطباق الشفتين فيستمر معه الحبس حتى يؤتى بالانفجار لتأدية الباء، وذلك بانفراج الشفتين .

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/96

<sup>2</sup> ينظر: محمد حسن حسن جبل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص140.

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/456.

وأوضح مما تقدم قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾<sup>1</sup>، ولن يبلغ الكلام أو الشعر شأواً القرآن الكريم، لأنه شأواً مغرب بعيد.

أمّا إبدالها من اللام فنحو: ما رواه النمر بن تولب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليس من امبر امصيام أمسفر" يريد ليس من البر الصيام في السفر "فأبدل لام المعرفة ميما، فعلق عليه ابن جني بالشذوذ وعدم القياس عليه<sup>2</sup>، لأن النمر بن تولب لم يرو غير هذا الحديث. يقول ابن جني: قرأت على أبي علي بإسناده إلى يعقوب قال: "يقال: رأيت من كتب ومن كتب"<sup>3</sup>، واكتب لك الأمر إذا قرب، ولم نرهم يقولون: قد اكتب، أي أن الباء هاهنا أعم تصرفاً من الميم، وسواء أ كانت الميم هي الأصل، أو الباء فإن المعنى تجمع فيه اللفظتان، فنقول: الطريق الواسع والسعة قريبة المعنى من القرب لأن القرب والسعة أقصد وأقرب إلى العامة .

ومن أمثلة هذا الإبدال أيضاً تقول: طانه الله على الخير، وطامه، أي جبلة وهو يطينه، حيث الميم بدل من النون في "طامه"، وعلة ذلك يقول ابن جني: أننا لم نسمع لـ"طام" تصرفاً في غير هذا الموضع<sup>4</sup>.

ومهما يكن من أمر الإبدال، فإنه ينبىء باستحسان الناطقين اللفظة أو الصوت المبدل حملاً على المضارعة المخرجة، أو الصفة.

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية 96.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 2/97.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 2/99.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه.

## الفصل الثاني..... التحليل الصوتي للإبدال والاشتقاق

وفي مقابل هذا تحدث ابن جني عن زيادة الميم والذي موضعها أول الكلمة، وحالها في ذلك حال الهمزة، وأكثر زيادتها يقول في خواصّ الأسماء ولا تزداد في الأفعال إلا شاذًا، وذلك نحو "تمسكن" من المسكنة، و"تمد رع" من المدرعة، و"تمندل" من المندملة، و"تمنطق" من المنطقة، و"تمسلم" إذا كان يدعى زيدا ثم صار يدعى مسلما، و"تمولى"، وهذا كله يقول: على وزن "تمفعّل"<sup>1</sup>.

### إبدال النون :

يكون حرف النون أصلا وبدلا وزائدا، أما إبداله فيبينه الجدول الآتي<sup>2</sup>:

الحرف	حروف إبداله	أمثلة تطبيقية
النون(ن)	الهمزة(ء)	فعلان ← فعلاء سكران - غضبان - ولهان - حيران

والعلّة في هذا الانقلاب على أوجه<sup>3</sup>:

- الوزن في الحركة والسكون في "فعلان" و"فعلاء" واحد، وأن في آخر "فعلان" زائدتين معا، حيث الأولى منهما ألف ساكنة كما أن "فعلاء" كذلك .

- مؤنث "فعلاء" على غير بنائه هوفعلى ومذكر "فعلاء" على غير بنائه هو "افعل"

<sup>1</sup> ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/105.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/107.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/107 وما بعدها.

- آخر "فعلاء" همزة، وهي علامة تأنيث، كما أنّ آخر "فعلان" نون تكون في "فعلن" نحو "قمن" و"قعدن" علامة تأنيث، فهذا التقارب والتشابه الحاصل يوحي بأصلية كل واحد منهما، وهي علة تثبت أن النون بدل من الهمزة أنهم قالوا: "صنعاء" و"بجاء" لما أرادوا الإضافة "صنعاني" و"بجرائي"، وهي من باب "فعلان فعلى" بدل من همزة "فعلاء"، وكذلك "صلفاء وصلاني" و"خبراء وخباري" يدل على أن الموضع للهمزة وأن النون داخله فيه<sup>1</sup>، يدل على أن الموضع للهمزة وأن النون داخله فيه<sup>2</sup>، وأحرى بنا أن نطرح التساؤل الآتي: لم أبدلت همزة فعلاء نونا؟، وما المسوّغ لذلك؟

إن مشابهة فعلان لـ فعلاء هي العلة الأولى أما مشابهة "فعلان" و"فعلان" فإنما للزيادة التي في أواخرها ومشابهتهما للزيادة التي في "فعلان"، فحتملا في البديل على "فعلان"، أي أن باهما ما كان آخره ألف ونون، وليس على وزن "فعلان"، أو على "فعلان"، وليس له "فعلى"، وهذه علة العلة، أو شرح وتفسير وتتميم العلة<sup>3</sup>.

كان يجب على ما رتبه أبو بكر أن تكون هنا علة وعلة العلة وعلة علة العلة<sup>4</sup>، وهذا منهج اتبعه ابن جني حين يستطرد ويتلو الجواب بسؤال<sup>5</sup>، أودعنا نصطلح عليه طريقة المحاورة حتى ينتهي إلى تتميم كل أوجه العلة الواردة في منطوق الكلام العربي فيما انتهى إليه فكره الصوتي.

<sup>1</sup> طالع: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/109.

<sup>2</sup> طالع: المرجع نفسه، ج2/109.

<sup>3</sup> طالع: ابن جني، الخصائص، ج1/160.

<sup>4</sup> طالع: المرجع نفسه ..

<sup>5</sup> ينظر: محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، ط، د، ت، ص56.

فلو حاولنا مثلا إسقاط ذلك على لفظة "أناسية" أنها جمع "إنسان"، وهذه حكاية لأبي زيد نقلها ابن جني، فما القول في هذه الياء والهاء؟

فالجواب أن الياء في "أناسية" هي الياء الثانية في "أناسي" وأن الهاء في "أناسية" بدل من ياء "أناسي" الأولى، فيقول: ألا ترى أن أناسي بوزن "زناد يق" وأن الهاء في "زنادقة" إنما هي بدل من ياء "زناديق" المحذوفة للتخفيف، وعوّض منها هاء قياسا إلى "جحجاج" إنما أصله "جحجاجيح"، حيث الياء الأولى في أناسي بمنزلة ياء زناد يق، والياء الآخرة بمنزلة القاف<sup>1</sup>.

بالعودة إلى أصل التساؤل الداعي إلى تبيين مئنة انقلاب الهمزة نونا في فعلا ن، ولما كانت النون علما للرفع في نحو "يقومان" و"يقومون"، وكانت كل من الواو والألف علما له في نحو "أخوك" و"الزيدان"، ولما ضارعت النون حروف اللين هذه المضارعة، وكانت الهمزة قد قلبت إلى كل واحدة من الألف والياء والواو قلبوها أيضا إلى الحرف الذي ضارعهن وهو النون<sup>2</sup>، أي أن التصرف والاتساع كانت علته الغنة التي في النون واللين الذي في حروف اللين.

### إبدال حرف الهاء:

تبدل الهاء من خمسة أحرف وهي: الهمزة والألف والياء والواو والتاء، وهذا بيان تفصيلها بالجدول الآتي<sup>3</sup>:

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/109.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/203 إلى 215.

حروف إبداله مع التمثيل					الحرف
التاء	الواو	الياء	الألف	الهمزة زائدة	الهمزة أصل
جوزة-جوزه	هنا	هذي-	هنا-هنا	أرقت-	إيتك- هيتك
حمزة- حمزه	هنوك	هذه	فمه-فما	هرقت	إن- هن
الأخوات-		ذي-	أنا- أنه	أنرت-	لأنتك- لهنتك
الأخوات		ذا		هنرت	طأ- طه
الثابت- الثابوه		هنة-		أرحت-	هات- آت
		هنيهة		هرحت	
				أزید- هزید	

مع مكونات الجدول:

لو ربطنا معطيات الجدول بمعطيات الدرس الصوتي القديم، وابن جني واحد من أعلامه بالإضافة إلى سابقه كالخليل وسيبويه، وحاولنا مقارنة هذه المعطيات بمثلاتها الواردة في الدرس الصوتي الحديث لوجدنا توافقاً بين النظرتين بدليل رواية ابن كيسان (ت 299هـ) قال: سمعت من يذكر عن الخليل إنه لم يبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف لأنها لا تكون في ابتداء كلمة لا في اسم ولا فعل إلا كانت زائدة أو مبدلة، ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها<sup>1</sup>.

نستشف من النص أن الألف والهمزة اسم يتناول عندهم جزأين من الحروف هما رسماً (ا) ، (ء)، أي المدة والهمزة لهذا قالوا: الألف إما ساكنة أو متحركة، والألف الساكنة هي المدة والمتحركة

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن علي الصغير، الصوت اللغوي في القرآن، ص40 وما بعدها

هي الهمزة هذا من جهة، ومن جهة أخرى قال سيبويه فيهن: "فأما الأحرف الثلاثة فأئهن يكترن في كل موضع ولا يخلوا منهن حرف، أو من بعضهن...، فلما كنّ أخوات وتقاربن هذا التقارب أجري مجرى واحد<sup>1</sup>، ففي هذا دليل يكشف عن علة إبدال الهاء منهن هي أنها قريبة منهن مخرجا، لأن "الحروف الهوائية هي حروف المد (الواو، الألف والياء) أو الجوف كما سماها الخليل مضافا إليها الهمزة<sup>2</sup>. والهمزة أعمق الحروف مخرجا، وقد فطن الخليل أيضا إلى أن الهاء تليها، ولكن الهاء ما هي إلا إرسال الهواء لخارج الحلق<sup>3</sup>.

فهذه إشارات صريحة توحى بمقبولية أوجه الإبدال التي ذكرها ابن جني، وبذلك يجاري مذهب سيبويه الذي عدّها في باب الإدغام مع الهمزة والألف والهاء في أصل حروف العربية<sup>4</sup>، أما قريها من التاء فهو على ما يبدو متأت من مضارعتها للواو والياء التي أبدلت التاء منهما في مثل "إوتعد" و"إيتعد" كما مرّ بنا في تاء الافتعال.

أما الإبدال بين الهاء والتاء إنما هو متأت من وقوع التاء آخرا، وإلا، فالأمر عائدا إلى كون القرب غير مباشر نظرا لوجود العلاقة الانتقالية بين الواو والياء من جهة، وعلاقتها بالألف، وبين الهاء والألف من جهة أخرى بدليل ما ذكره عبد القادر عبد الجليل<sup>5</sup>: في كون صوت الهاء صوت

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/461.

<sup>2</sup> ينظر: الخليل بن أحمد الفر اهدي، العين، ج1/03.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/572.

<sup>5</sup> ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، م ذ، ص89.

حنجري احتكاكي مهموس مرقق تجتمع فيه صفتا الصامت والصائت، فالصامت لأنه يحدث نتيجة احتكاك في نقطة يضيق فيها المجرى الهوائي، ولولا هذه الفضيلة لعدّ من فصيلة الصوائت، أما صفتة الصائتية يعلل لها بكمية الهواء عبر الحنجرة حيث لا تلقى اعتراضا في الفم وتجاويفه، وهذه حالة تماثل إنتاج الصوائت<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى الأمثلة الواردة في الجدول حري بنا أن نظهر أوجه التعليل الصوتي لهذه الأمثلة على أن نختار مثلا واحدا من كل عينة تجنبنا للإسهاب والإطالة.

### إبدال الهاء من الهمزة:

قالوا: في إِيَاك، هِيَاك، ويقال أيضا: "هِيَاك" بفتح الهمزة وإبدال الهاء منها، وهي مفتوحة<sup>2</sup>، فالهاء هنا بدل من الهمزة والهمزة أيضا تبدل منها، فكل واحدة تبدل من أختها، لكن ما علة إبدال الهمزة هاء؟ والهمزة صوت مجهور قوي اختناقي حلقي، وهو أبعد الحروف مخرجا في مقابل الهاء الذي هو حرف مهموس مهتوت فيه من الضعف والخفاء، والجواب على ذلك يبدو في كون انقلاب الهاء همزة في ما قلّ من كلام العرب في نحو: أيا ← هيا، هما والله ← أما والله، هات ← آت، وهذا فيما فيه الهمزة أصلية، وأما ما كانت فيه زائدة فنحو: "أرقت" "هرقت" "أرحت الدابة" "هرحتها"، هذا الذي أذا الذي<sup>3</sup>، وإن دلّت الزيادة على شيء، فإنما تدل على الضعف لما في معناها من التبعية.

<sup>1</sup> ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، م ذ، ص 89-90.

<sup>2</sup> ابن جني، سرّ صناعة الإعراب ج 2/203.

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

إبدال الهاء من الألف:

نقول في: "فمه" أنه يراد بها فما أصنع؟، أو فما قدرتي؟، ويجوز أن تكون "فمه" زجراً، أي أكفف عني فلست أهلاً للعتاب<sup>1</sup>، أما في قولهم: "أنا" و"أنه"، فالوجه أن تكون الهاء في "أنه" بدل من الألف في "أنا" لأن الأكثر في الاستعمال إنما هو "أنا"، والهاء قليلة، كما يجوز أن تكون الهاء ملحقة لتبيين الحركة، كما ألحقت الألف<sup>2</sup>، أي أن كل واحدة منهما أصل كما في قوله تعالى: (كتابه)، (حسابيه)<sup>3</sup>.

إبدال الهاء من الياء: قولهم في هذي هند-هذه هند، حيث الهاء في "هذه" بدل من ياء "هذي"<sup>4</sup>، ونقول "ذي" إنما هي تأنيث "ذا"، ومن لفظه يقول الناظم:

بِـ(ذَا) لِمُفْرَدٍ مُذَكَّرٍ أَشْرُ.      بِـذِي وَذِهِ تِي تَا عَلَيِ الْأُنْثَى اقْتَصِرُ<sup>5</sup>

حيث أننا لا نجد للهاء في المذكر أصلاً، فكذلك هي في المؤنث بدل غير أصل، لأن التذكير أصل والتأنيث فرع بدليل أننا إذا قلنا: "هذه" فليست الهاء هاهنا حتى وإن استفيد منها بمنزلة الهاء الموجودة آخراً في قولنا "حمزة" أو "طلحة" أو "جوزه"، أو "بيضة"، لأن الهاء التي في حمزة أو طلحة زائدة

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب ج2/203.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/207.

<sup>3</sup> الأصل كتابي، والهاء لبيان الحركة، والأمر نفسه بالنسبة لحسابيه، والمفردتان مأخوذتان من سورة الحاقة، الآيتان 19-20.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/209.

<sup>5</sup> محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ألفية بن مالك في النحو والصرف، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، طبعة مصححة 2009م، ص17.

والهاء في "هذه" ليست زائدة، بل هي بدل من ياء "هذي" التي هي عين الفعل<sup>1</sup>، والعلة في ذلك أن تاء "طلحة" و"جوزة" ثابتان في الوصل، والهاء في "هذه" ثابتة في الوصل، والوقف غير أن حركتها في الوصل كسرا، وقد تترك ساكنة والكسرة إنما أحلتها من قبل أنها اسم غير متمكن فشبهت بهاء الإضمار في نحو قولنا: مررت به"، ومن العرب من يسكنها في الوصل ويجريها على أصل القياس، فيقول: "هذه هند" إلا أنه إذا لقيها ساكن لم يكن بدّ من كسرها نحو "هذه المرأة عاقلة" الكراهية التقاء الساكنين<sup>2</sup>، وقد يكون المبدل هو حرف تعويضي فمثلا في هاء "زنادقة" إنما هي بدل من الياء في "زناديق"، والأمر كذلك بالنسبة إلى "عدة" من "وعد" و"زنة" من "وزن"، فلاسعاف هذه الحالة عوّض بالتاء عن الصوتين الانتقاليين (الواو والياء) لعلة أشار إليها ابن جني بقوله: "فليسوا يريدون بذلك البديل على حدّ إبدالهم الألف في "قام" و"باع" عن الواو والياء، وإنما يعنون أن الهاء لما طال الكلام بها صارت كالعوض كما صار طول الكلام بين الفعل والفاعل في نحو "حضر القاضي اليوم امرأة" عوضا عن "حضرت"<sup>3</sup>، وهذا وجه تعليلي يلجأ إليه في حالة غموض الجانب التصريفي، ويستدعي دراية تنم عن استقراء الكلام الوارد على الصيغة نفسها، وفي هذا إشارة إلى مسوغ من مسوغات التعليل الصوتي القائل بحجة "هكذا سمعت عن العرب" من منطلق الذوق والموسيقى والحسن المرهف، وكذا الخيال الخصب.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/209

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/213.

إبدال الهاء من الواو:

يشير ابن جني إلى أن العرب أبدلتها من حرف واحد في قولنا: "هناه" الواردة في البيت

وَقَدْ رَأَيْتِي قَوْلَهَا يَا هَنَا . ه وَيَحَكُّ أَلْحَقْتَ شَرًّا بِشَرٍّ<sup>1</sup>

والشاهد في "هناه" أن الهاء أبدلت من الواو في "هنوك" وهنوات"، وكان أصله "هنا و" فقالوا: "هناه"، ولو قال قائل: إن الهاء في "هناه" إنما هي بدل من الألف المنقلبة عن الواو الواقعة بعد ألف "هناه" إذ أصله "هناو" ثم صار "هنا" قياساً إلى أصل "عطاء" "عطاو" ثم صار "عطا"، حيث لما التقت ألفان كره اجتماع ساكنين، فقلبت الآخرة هاء كما قلبت الألف الثانية همزة في "عطا"<sup>2</sup>.

حق لنا بعد هذا كله أن نتساءل لماذا لم تقلب الواو هاء في أول أحوالها؟ والجواب على ذلك أنه من شروط قلب الواو ألفاً أن تكون متطرفة بعد ألف زائدة، والحال هاهنا كذلك، والوجه الثاني أن الهاء إلى ألف أقرب منها إلى الواو، وهذا مذهب أبي الحسن في باب مخارج الحروف حين عدّها، أي الهاء مع الألف لا قبلها ولا بعدها، وهذا رأي أفسده ابن جني بحجة أن الألف متى تحركت اعتمدت على أقرب الحروف منها إلى الأسفل، فتقلب همزة، ولو كانت الهاء معها كما يزعم لقلبت هاء<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/213. والبيت لامرئ القيس .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/213-214.

<sup>3</sup> طالع: نفسه، ج1/60.

بهدي ما سبق يظهر أن الهاء أقرب إلى الألف منها إلى الواو ذاك أن الخليل اعتبر الهاء خفية لا صوت لها، وهي أيضا صوت مهتوت لما فيه من الخفاء والضعف، فصارت أقرب إلى النفس، وهذه صفة شاركتها إياها الألف، حيث الألف أخفى وأوسع وألين على حدّ زعم سيوييه وابن جني<sup>1</sup>، يضاف إلى ذلك أن الهاء من "هناه" إنما ألحقت في الوقف لخفاء الألف كما تلحق بعد ألف الندبة في نحو "واز يده"، ومن ثم شبّهت بالهاء الأصلية فحركت، وهذه الوظيفة تحقق ما يسمى بقانون احتزال الجهد الصوتي، وقد تنتفي هذه الوظيفة في حالة استمرار التركيب اللغوي، فحين نقول "وازيداً" أغثني، فإننا بهذا قد أبعدنا صوت الهاء من "وازيده" لإمكانية تعويضية بـ(الهمز النبري) بعد الصائت الطويل<sup>2</sup>، وبالمقارنة في "وازيده"، فكأن اندفاع الهواء من خلال الصائت الطويل (الألف) متعب، ويدفع المؤدي إلى البحث عن استراحة يجدها في الهاء.

### إبدال الهاء من التاء:

وذلك في قولنا في الوصل "جوزة"، وفي الوقف "جوزه"، وفي "حمزة" "حمزه"، وزعم قطرب عن "طيء" أنهم يقولون: في كيف البنون والبنات؟ كيف البنون والبناه؟<sup>3</sup>.

فيبدو أن إبدال الهاء من التاء إنما هو متأ من قرب الهاء من الواو والياء، وقرب الهاء إلى الألف أقرب منه إلى الواو، وقالوا أيضا: الإخوة والأخواه، أما قولهم في: "التابوت" "التابوه" فشاذ.

<sup>1</sup> طالع: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/214.

<sup>2</sup> طالع: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص81.

<sup>3</sup> طالع: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/215..

أما زيادة التاء في الكلام العربي فهو الباب المعروف<sup>1</sup>، والهاء إحدى الحروف العشرة التي تسمى حروف الزيادة لا حروف النقص، ويحتمل للهاء باب آخر هو المنزلة بين المنزلتين، فنقول: "مرحبا"، والهاء ثابتة ليس على حد الوقف، ولا الوصل لأن الوقف يؤذن أنها ساكنة "يا مرحبا"، وأما الوصل فيؤذن بحذفها أصلاً "يا مرحباً بحمار ناجية"، فثباتها إذا في الوصل متحركة منزلة بين بين، أي بين المنزلتين<sup>2</sup>، وربما المنزلة بين المنزلتين تؤذن باعتزال ابن جني.

---

<sup>1</sup> طالع: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج2/218.

<sup>2</sup> طالع: المرجع نفسه، ج2/242.

### ثانياً- الاشتقاق:

حتى نلامس المستوى الدلالي ارتأينا أن نصير حديث هذا المبحث إلى الاشتقاق بدل الإدغام، لأن هذا الأخير مكرور في أغلب الكتب الصوتية إن لم نقل جملها، ثم من جانب آخر قد أشرنا إلى جزء مهم ورد في باب الإدغام الصغير<sup>1</sup>، يدلل عليه قول ابن جني "ومن ذلك أن تقع فاء افتعل صاداً أوضاداً أوطاءً أوظاءً فتقلب لها تاؤه طاء"<sup>2</sup>، وهذا تقريب من غير إدغام، يضاف إلى ذلك أن مفهوم الإبدال اللغوي لا يتضح إلا من خلال الإشارة إلى مفهوم الاشتقاق الذي يعتبر الإبدال اللغوي جزء منه<sup>3</sup>، وقبل التطرق إلى أوجه العلة الصوتية في باب الاشتقاق نستوضح علاقة علم الأصوات أوالصوت بصفة خاصة بالمدونتين المقصودتين بالدراسة .

### الصوت وسر صناعة الإعراب:

غير خفي أن كتاب سر صناعة الإعراب له تعلق مباشر بعلم الأصوات فابن جني نفسه يقرّ فيقول: " أن أضع كتاباً يشتمل على جميع أحكام الحروف"<sup>4</sup>، وتبدو إشارته الذكية إلى مشاركة هذا العلم في النغم والموسيقى مما يستوجب عناية خاصة، وعدم تغييب أي فن من هذه المتلازمات الثلاث ( علم الأصوات، الموسيقى، النغم ) لأن التنعيم قضية تطريزية مهمة، والنغمة إنما ارتباطها وثيق بالتأليف في حاله الاتفاق والتنافر بدليل قوله: " أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني ، الخصائص ، ج 1 / 92.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ج 1/ 93.

<sup>3</sup> ينظر: خالد حسين مصلح الإبدال والإعلان في ألفاظ القرآن ، ص 37

<sup>4</sup> ابن جني : سر صناعة الإعراب، ج 1/ 15.

للموسيقى، لما فيه من متعة الأصوات والنغم " <sup>1</sup> فواضح من خلال هذا أساس الوضع وتعلق هذا القبيل من هذا العلم بكتاب "سر صناعة الإعراب" .

### الخصائص وسبب بناء الكتاب :

يقول ابن جني : " فإنّ هذا الكتاب ليس مبنياً على حديث وجوه الإعراب، وإنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام، وكيف بدئ وإلام نحي " <sup>2</sup>، وهو بهذا يشير إلى مساهمة ذوي النظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين، والنحاة والكتاب والمتأدبين إلى مستودعه، أي أنه يخاطب كل إنسان منهم بما يعتاده ويأنس به، وهذا يحيل إلى منهج ابن جني التعليلي وفكره الصوتي اللذين يبحثان الفروق، ويعين المميزات، ويذكر الخصائص إماماً بكل الجوانب، وتنقيهاً عن كل النوادر المتعلقة بهذه الأبواب <sup>3</sup>، ذاك أن الاستحسان علة استخدمها ابن جني في تأويله لظواهر اللغة والتماسه للحكمة الكامنة خلف ما تتسم به اللغة من اتساع وتصرف <sup>4</sup>، فكان الاستحسان ضرب من القياس الخفي استساغه الفصحاء لاحتواء اللغة على صيغ على غير قياس، ومن دون علة قوية تسوّغ استعمالها .

إنّ التجربة مع الفكر بمثابة الحديث مع النفس، حيث من أبرز تأثيرات اللغة على الفكر أنها تقويه وتغنيه، وأسلوب المحاوره الذي كان يستعين به ابن جني من خلال تحويل كل جواب إلى سؤال جديد الأمر الذي مهّد لتأسيس نظرية عقلية بركيزتين أساسيتين هما التدبر والتمعن.

<sup>1</sup> ابن جني : سر صناعة الإعراب، ج 22/1.

<sup>2</sup> ابن جني ، الخصائص ، ج 70/1.

<sup>3</sup> ينظر : محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن ، ص 57.

<sup>4</sup> ينظر : محمد مشبال ، البلاغة والأصول ، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي نموذج ابن جني ، أفريقيا الشرق ، المغرب د ط ، 2007 م ، ص 66

### الخصائص وأبوابه الصوتية :

جاء كتاب الخصائص مبوباً ومترواحاً بين أبواب صوتية وأخرى نحوية وأخرى تبين وجوه العلة والذي تجدر الإشارة إليه أن هذه الأبواب لا يمكن فصلها كلياً وتمييزها إلا لفصل منهجي حالها حال المستويات اللسانية تتكامل فيما بينها ، حيث يظهر أن من وراء العلل تخصيصاً للمعاني وتحريراً للألفاظ وتشجيعاً على مزاوله الأغراض استناداً إلى القياس حتى لا ينتقض الكلام أوله بآخره ، ولو أن ابن جني أميل إلى القياس حتى وإن لم يرد به السماع بدليل قوله : "وما يحتمله القياس ولم يرد به السماع كثير"<sup>1</sup> في إشارة صريحة إلى القراءات، وفيما يلي نصير حديث المبحث إلى الاشتقاق وعقله .

### مفهوم الاشتقاق وأنواعه :

قال ابن جني : "هذا موضع لم يسمعه أحد من أصحابنا غير أن أبا علي-رحمه الله - كان يستعين به، ويخلد إليه مع إعواز الاشتقاق الأصغر"<sup>2</sup>.

عرفت العربية ثلاثة أنواع من الاشتقاق: الصغير ، الكبير ، الأكبر ، ويمكن إضافة نوع رابع اصطلاح على تسميته بالكبّار<sup>3</sup> ، أو النحت في اللغة ، حيث هذا الأخير ليس بكبير شأن في العربية، لأنه لا يحيل إلى ضوابط صوتية أو نحوية أو صرفية مطّردة تحكمه .

<sup>1</sup> ابن جني : الخصائص، ج 1 / 338.

<sup>2</sup> المرجع نفسه ، ج 2 / 88.

<sup>3</sup> ينظر : خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن، ص 37. وينظر : ابن جني ، الخصائص، ج 2 / 88

إنّ التطور النحوي الصوتي لا يجري عشوائياً، فهو يعمل بمقتضى قوانين مستكّنة في أذهان

الجماعة.

### الاشتقاق الصّغير :

وهو أخذ صيغة من أخرى تكتسب فيه اللفظة معنى جديداً متفرعاً عن القديم الأصيل،

كتركيب (س ل م) فإنّك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفه<sup>1</sup>.

### الاشتقاق الكبير :

هو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً ، وإن

تباعده شيء من ذلك عنه ردّ بلطف الصنعة والتأويل إليه<sup>2</sup>، وهذا النوع يصطلح عليه ابن جني

الاشتقاق الأكبر، ومن أمثله<sup>3</sup>: ( ر ك ب ) يتألف منها ركب، ريك، كبر، كرب، برك، بكر ) ( ج

ب ر ) جبر، جرب، بجر، برج، رجب، ريج، وهي أين وقعت للقوة والشدة ، ومنها أيضاً ( ق س و )

وجميع ذلك إلى القوة والاجتماع، وقد أنكر بعضهم هذا الاشتقاق لما فيه من التعسف والتكلف<sup>4</sup> ،

غير أن ابن جني نفسه ردّ على هذا الادّعاء بقوله : "واعلم أنا لا ندّعي أن هذا مستمر في جميع

اللغة ،وكما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر أنه في جميع اللغة"<sup>5</sup>، لأنه مذهب عويصي لما فيه من حاجة

إلى حسن الصنعة بالاسترواح والتعليل.

1 ينظر : ابن جني ، الخصائص، ج 2 / 88.

2 ينظر : المرجع نفسه.

3 ينظر : المرجع نفسه ، ج 2 / 89..

4 ينظر: خال حسين مصلح ، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن، ص 38.

5 المرجع السابق ، ج 2 / 91.

ومن حديث الاشتقاق الأكبر ننتقل إلى النحت في اللغة العربية على أن لا نتجاوز الحديث عن

الاشتقاق الأكبر ( الإبدال اللغوي )، لأننا سنجعل منه محطة مهمة نختم بها حديث مبحثنا هذا.

**النحت:** هذا المصطلح يوحي بتوليد شيء من شيء، والفرق بينه وبين الأنواع الأخرى هو أنه يشتق

كلمة من كلمتين أو أكثر بضرب من الاختصار كقولنا: عبشمي: من عبد شمس، وحوقلة من (لا

حول ولا قوة إلا بالله)، وسبّح وهلل<sup>1</sup>، وعليه فالقيم الخلافية أعمّ من أن تكون معنوية فقط، فكما

نلاحظ القيم الخلافية بين المعنى والمعنى نلاحظها كذلك بين المبنى والمبنى<sup>2</sup>، والذي يبدو لنا في

النحت أنه عكس مسلمة كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، حيث النحت تقليل من

حجم المبنى ذاك أن المبنى يتحقق بالعلامة، والعلامة لفظ فكأن النحت لفظ بالمعنى، وربما لهذا لم يلق

عناية ولم يخلق منه إلا القليل .

**الاشتقاق الأكبر:** ويراد به الإبدال اللغوي، لكن هذا الإبدال الذي أردناه وأشرنا إليه من ذي قبل

هو إبدال من غير إدغام، أو ما اصطلح عليه ابن جني بالتقريب أو الإدناء لأن الإبدال ثلاثة أقسام

شائع للإدغام، والثاني نادر وهو في ستة أحرف، والثالث لغير إدغام<sup>3</sup>، وما عدا هذا فهو إبدال

ضروري.

والذي تجدر الإشارة إليه حين تتبعنا مظاهر الاشتقاق من خلال الخصائص لابن جني،

وجدنا الآتي :

<sup>1</sup> ينظر: خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن، ص 47

<sup>2</sup> تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 201

<sup>3</sup> ينظر: أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 166 وما بعدها

- اشتقاق بالمحافظة على الترتيب (الصغير)

- اشتقاق باختلاف التقاليب الستة (كبير أو أكبر)

- اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر (نحت)

- اشتقاق أكبر (إبدال لغوي)

- اشتقاق باستعمال المعاني على اختلاف الأصول

- اشتقاق ضمن دائرة المواقع التقابلية.

والحديث عن الاشتقاقات الأربعة الأولى بين مكرور، لأن إمكانية تركيب وتوليد قدرا من التراكيب اللغوية من شأنه أن ينتج حين يحلّ صوت مكان صوت، وهذا وجه تغذى به اللغة ويتسع قاموسها<sup>1</sup>.

يتضح أننا حين نتابع هذه الأنواع من الاشتقاقات نسلم بأن ديناميكية الظاهرة الصوتية هي التي تساعد على هذه التقليلات، وليس حدّ الاشتقاق كمفهوم أن تتفاوت فيه درجات الدلالة مثل "قسم" مقابل "قضم"، و"قضم" مقابل "خضم"، فهذه العملية تقع ضمن دائرة المواقع المتقابلة تتبادل فيها الأصوات الموقعيات ويسمى بعضها بالمنزلة المرنة<sup>2</sup>، فمن خلال هذه الوظائف الاشتقاقية التي يتكامل فيها الصرف مع الصوت، وحتى النحو والدلالة .

<sup>1</sup> ينظر : سمير شريف استيتية، علم الأصوات النحوي، ص34

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه .

نستثمر التعليل الصوتي لابن جني في تبين وجود هذا الارتباط وذلك من خلال بابين أوردهما في خصائصه، وهما: "باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني" <sup>1</sup> و"باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني" <sup>2</sup>، وما أكثر المواضيع التي تدعو إلى إعظام هذه اللغة الشريفة .

تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني : وأكثر كلام العرب عليه وإن كان غفلا مسهوا عنه <sup>3</sup>، وجاء على عدة أضرب .

1- اقتراب الأصلين الثلاثين : ارتأينا أن نورد هذه الأضرب في جداول على أن نشفع كل جدول بتعليق نظهر من خلاله منهج ابن جني التعليلي، ونركز كما ذكرنا سالفًا حول الدلالة <sup>4</sup> .

اللفظة	مقاربتها	تعليل الاشتقاق
ضياط	ضيطار	زيادة الياء والراء
ولوقة	ألوقه	إبدال الواوهمزة
رخود	درخود	فك الإدغام وقلب مكان الدال
ينجوح	ألنجوح	إبدال الياء همزة

مثلا لو أخذنا لفظة "الرخود" وهي تعني اللين والنعومة <sup>5</sup>، فهأنا يتداخل مع رخو ويوهم أن كل واحد من أصل صاحبه، وهو في الحقيقة من أصل غيره <sup>6</sup>، لأن رخو من (ر خ و) و(رخودة)

<sup>1</sup> ينظر ابن جني ، الخصائص، ج2/95.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج2/100.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/95.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج2/96.

<sup>5</sup> ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص 365.

<sup>6</sup> ينظر: ابن جني ، الخصائص، ج 31/2، باب تداخل الأصول الثلاثية والرابعة والخامسة .

زائدة وهو على وزن "فَعُول" ، حيث يظهر أن الفاء والعين من (رخو) و(رخوَد) متفتقتان ، لكن لهما زائدة مختلفان ، فهذا وجه من أوجه ازدحام اللفظتين مع تماس المعنيين ، لأن الرخو الضعف ، والرخوَد المشتقي والتثني دلالة على الضعف<sup>1</sup> .

وأيضاً ضيَّاط وضيطار من قولهم : رجل ضيَّاط وضيطار ، حيث يظهر تشابه الحروف والمعنى مع ذلك واحد ، وقد علل ابن جني لذلك بالميزان الصرفي فقال في ضيَّاط : إنّ له ثلاث احتمالات<sup>2</sup> :

1- على وزن فعّال وقياسه خيَّاط وريَّاط .

2- على وزن فيعال وقياسه خيتام وغيداق .

3- فوعال وقياسه كوراب ، وفوعال لم يأت صفة إنما اللفظ يحتمله واللغة تمنعه وهذا مسوّغ يدلنا على قوة السماع وغلبته القياس .

2- اقتراب الأصلين الثلاثي والرباعي والخماسي :

اللفظة	مقاربتها	تعليل الاشتقاق
دمث	دمثر	زيادة الراء فصار الثلاثي رباعي
سبط	تسبطر	زيادة الراء فصار الثلاثي رباعي
لؤلؤ	لال	إبدال الهمزة وتخفيفها
ضِبْغَطِي	ضِغْطَرِي	إبدال الباء راء وقلب مكانها

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني ، الخصائص، ج 31/2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج 32/2.

فلو أخذنا مثلاً "دمث" ، فيقال: دمّث المكان سهل ولان، والتدميث التليين، وذكر الحديث<sup>1</sup> ، فقد سبق وأن قيل إنّ كل زيادة في المبنى تؤدي إلى زيادة في المعنى، ونرى هنا أنه رغم زيادة الراء لا إبدالها إلا أن المعنى ظل مستقراً، وهذا الأمر يحيلنا إلى قول: إنّّه إذا كان التجنيس عندهم أن يتفق اللفظان ويختلف أو يتقارب المعنيان<sup>2</sup> ، وهذا ينتج عنه أن المعنى يظلّ واحد حتى وإن اختلف اللفظان في حرف أو حرفين أو في الميزان كاملاً ( ف، ع، ل )، وهو ما سنراه من خلال ضرب هذا الاشتقاق. من الأهمية بمكان أن نشير إلى قضية التداولية في تطور اللغة، حيث وإذا افترضنا أن لفظة " ضياط " مثلاً عاشت زمناً ما ثم تلتها حقبة زمنية تولدت عنها لفظة "ضيطار " لأن دراسة اللغة تعتمد طريقتين السيكرونية والزمانية<sup>3</sup> ، فإنّ النظام الصوتي ونظام المدلولات (مدلولات الألفاظ ) هو أسرع إلى التغير عبر الزمن مقارنة بالنظام الصرفي والنحوي، فهو بطيء لأن النظام الصوتي نظام فيزيائي أكثر منه دلالي، ثمّ إنّ العادات الصوتية المكتسبة ليست مثل العادات الصوتية الأصيلة، فمثلاً الأجنبي يعرف عن العربية قوانينها وتراكيبها وأساليبها، وربما أفضل من أبناءها أحياناً، لكن عندما يتلفظ بها فإنّ التحكم في أصواتها يخونه<sup>4</sup> ، إذ لا يمكنه التخلص من اللكنة الصوتية.

وبالعودة إلى الجدول نجد لفظتي "ضبغطي" "ضبغطي" تعني الأحقق وكل كلمة يفزّع بها الصبيان<sup>5</sup> ، وقد زيدت على اللفظة الراء آخرًا لا حشواً ولا ابتداءً ، وإذا كان للدلالة عموم وللمعنى خصوص، فإن ابن

<sup>1</sup> ابن جني ، الخصائص، ج 31/2.

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

<sup>3</sup> السيكرونية:تتعرض لحالة معينة من تطور اللغة،والزمانية تتعرض لحالتين حالة نقطة انطلاق وحالة نقطة وصول والدراساتان مكملتان لبعضهما

<sup>4</sup> ينظر: التواتي بن التواتي ، مفاهيم في علم اللسان ، ط 1/ 2006 م ، ص 90-91.

<sup>5</sup> ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، ص 870.

جني يقرّ بالحكمة في كل لفظة وإن كنا نقيس الألفاظ بعضها ببعض ذلك أن الحكمة توحى بدلالات تتجاوز الأشياء المادية إلى أسرار خفية، وأغراض دقيقة ذات عُلقة بقدرة الصانع ،لأن اللغة نظام دقيق يقتضي من المتأمل أن يكون حاذقاً يحسن الكشف عن وجوه الصنعة، والدقة، والغموض، وربما كان المرء نفسه قادراً على تصحيح خطأه من غير ينبّه الناس إلى ذلك .

**ضبطرى** : تعني الرجل الشديد والطويل ،والأحمق، وكلمة يفزع بها الصبيان <sup>1</sup> ، بالإضافة إلى أمر تعلم الإنسان أو بالأحرى استعماله المفردات من المنظومة النطقية يكون بكيفيات تجعل من السلوك اللغوي وكأنه استخدام تلقائي دون استبطان <sup>2</sup> حتى يصبح من الصعب عليه أن يكتسب منظومة أخرى .

### 3-التقديم والتأخير:

وهذا قد ورد في باب تقليب الأصول نحو( ك ل م ) و( ك م ل ) و( م ك ل ) ،ونحوذلك وهذا كله والحروف واحدة غير متجاوزة <sup>3</sup> ، وهذا باب واسع في العربية .

### 4- تقارب الحروف لتقارب المعاني :

نحاول ها هنا أن نجمل ما جاء في هذا الباب على شكل جدول، ونعقبه بالتعليل لأوجه هذا الضرب من الاشتقاق <sup>4</sup> :

<sup>1</sup> الفيروز آبادي ،القاموس المحيط ،ص 553

<sup>2</sup> ينظر :ارنست بولجرام ،مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام ،ص 78

<sup>3</sup> ينظر :ابن جني ،الخصائص ،ج2/96

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه ،ج2/96 وما يليها

وجه التعليل للاشتقاق	مقاربتها	اللفظة
الهمزة أخت الهاء	أزّ	هزّ
العين أخت الهمزة	الأسف	العسف
الراء أخت اللام	قلمت أظافري	القرمة
اللام أخت النون	ج ن ف	ج ل ف
اللام أخت الراء	ع ر م	ع ل م
الميم أخت الباء	ح ب س	ح م س
الباء أخت الميم	ع ل ب	ع ل م
الراء أخت التاء	ق ر ت	ق ر د
الزاي أخت الصاد	ع ل ص	ع ل ز
الباء أخت الفاء	غ ر ف	غ ر ب
اللام والراء والنون متقاربات	ج ب ر	ج ب ل ج ب ن

مع مكونات الجدول :

حري بنا أن نطرح في البدء تساؤلاً، وهو من الأهمية بمكان في إطار البحث اللغوي ملخصه: أيّ اللفظتين أصل؟ خاصة ونحن قد أوردنا على الجدول عبارتي اللفظة ومقاربتها لأننا وجدنا من الباحثين المحدثين من يطرح هذه القضية<sup>1</sup>، بمعنى عدم أصالة بعض المفردات لاشتغالها على صوتين ترفض العربية اجتماعهما في الكلمة، وهذا يعني أنه متى وجدنا كلمة تتضمن صوتين من الأصوات التي نصّ اللغويون على عدم جواز اجتماعهما أمكننا الحكم عليها أنها دخيلة أو معرّبة أو أنها

<sup>1</sup> ينظر: صالح سليم عبد القادر أفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة، ص 156 وما بعدها .

حكاية صوت<sup>1</sup>. ومن هذه الأصوات ( ج مع ط )، ( ج مع ق )، ( س مع ذ )، (س مع ز )، (ج مع ص )، (ن مع د )، ( د مع ز )، ( ل مع ش )، ( ر مع ل )<sup>2</sup>، لكن الذي ينعقد عليه التساؤل ليس هذا لأن هذا مردّه إلى اللغة هي تضبطه في قوالبه الصوتية ،إنما مرادنا من الذي قلنا أي اللفظتين من ( هزّ ، أزّ ) أصل ؟ وأيها فرع ؟ وهل يجوز لنا قياساً إلى تعليل ابن جني بأن الهمزة أخت العين، والهمزة أقوى من الهاء<sup>3</sup> ؟ أن نقول : إن أزّ أصل وهزّ فرع عنه ، أم كلاهما أصل قائم بذاته ، أم أنه المنزلة بين المنزلتين التي يأنس إليها ابن جني كثيراً خاصة في باب " الحكم يقف بين الحكمين " <sup>4</sup> ، ككسرة " غلامي " والهاء في "مرحباہ" حين الوقف، وحين الوصل<sup>5</sup> ، ولا داعي للإطالة ها هنا حتى لا ينصرف الحديث إلى غير أصله .

فما علة القوة في الهمزة وما سبب الضعف في الهاء؟ أهذا تعليل مئنته المخرج والصفة ؟ أم البعد الدلالي أم الخواص الفيزيائية والأكوستكية للأصوات المتقابلة على طريقي نقيض ؟ أم علة هذا كله في مجموع هذا كله ؟

فمن متقابلات الجدول نأخذ مثلاً **الأسف** و**العسف**، فالأسف : أشدّ الحزن وعليه غضب وسئل النبي صل الله عليه وسلم عن موت الفجأة فقال : " راحة للمؤمن وأخذة أسف للكافر " <sup>6</sup> ،

<sup>1</sup> ينظر: صالح سليم عبد القادر أفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة ، ص 156 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ابن جني ، الخصائص ، ج 2 / 96 .

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه ، ج 2 / 242

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>6</sup> الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، ص 1017

والعسف : نفس الموت ...، وعسّفه تعسيفاً أتعبه<sup>1</sup> ، والمعنى نفسه أو قريب منه ذهب إليه ابن جني حين رأى أن الأسف يعسف النفس وهو أغلظ من التردد بالعسف<sup>2</sup> معللاً لذلك بقوة الهمزة على حساب العين، ولو أن العين في نظر الخليل أقوى وأنصح بدليل رواية ابن كيسان ( ت 229 هـ ) المروية عن الخليل " لم أبدأ بالهمزة لأنه يلحقها النقص والتغيير الحذف " <sup>3</sup> ، وفي هذا إشارة إلى الضعف إن نحن صببنا الكلام صبباً دلاليّاً اللهم إلا من باب شرف العربية وحروفها ، وربما كان في هذا أمانة على القوة أيضاً لأن فيه من الدلالة ما يوحي بقوة تكيف الهمزة في مواضع النقص والحذف والتغيير، وهي مزية قلماً توفرت لباقي الحروف، وهذه القوة متأتية من ثقلها وبعد مخرجها لأنها حرف سفلى في الحلق، وبعد عن الحروف فكان النطق به تكلفاً<sup>4</sup>، حتى أنها صارت أحياناً تصنف مع الحروف الخفيفة الخفيفة على حد تعليل ابن جني لانقسامات حروف المعجم<sup>5</sup>، مزيتها في ذلك أنها قاربت الألف، وهو أخفّ الحروف وفي بعدها عن الحروف ما يستروح به إلى مزج المتقارب مما بعد عنها بها والفصل بين الحروف، فنقول مثلاً: " دأب"، ولا يليق أن نفصل بالفاء، فنقول "دب"، ونقول: "نأل" ولا نقول: " نزل"<sup>6</sup>، فهذا التوجه الدلالي أساسه مخرجي بالإضافة إلى تقابل صفات الأصوات من باب أن الضدّ يظهر حسنه الضدّ، ويتأكد هذا أكثر من تمعن الثلاثية ( أسف، عسف، عضب)،

<sup>1</sup> الفيروز آبادي ، القاموس المحيط، ص 1075، 1076

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص ، ج2/96

<sup>3</sup> محمد حسين علي الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان د ط ، د ت، ص 40 وما يليها

<sup>4</sup> ينظر : ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج 1 / 85

<sup>5</sup> ينظر : المرجع نفسه .

<sup>6</sup> ينظر : المرجع نفسه .

## الفصل الثاني..... التحليل الصوتي للإبدال والاشتقاق

ويستحسن تجلية هذه القراءة الدلالية أن نورد هذه الثلاثية في جدول بمعايير ثلاثة: أصل اللفظة ( مادتها )، ثم المخرج، والصفة .

اللفظة			المخرج			الصفة		
أ	س	ف	أنفي	مغارزي	شفوي	مهموس	مهموس	مهموس
ع	س	ف	أدني	مغارزي	شفوي	مهموس	مهموس	مهموس
غ	ض	ب	لهوي	أسناني	شفوي	مجهور	مجهور	مجهور
				مفخم				

مع مكونات الجدول :

نلاحظ تدرج مخرجي يناسب أو تصاقب ومعاني المفردات، فكلّ من الهمزة والعين حلقي ثم السين صوت مهموس خفي ككمون الأسف في النفس، ثم الفاء شفوي يوحى بالانفراج لأزمة داخلية، في حين لو عاينا لفظة " غضب " وجدنا أن مرحلة الكشف عن المكنون والمستور قد باتت وشيكة، فالعين لهوي، ثم يليه الضاد أسناني، ثم الباء وهو صوت شفوي مجهور شديد انفجاري يوحى بثورة كانت إلى الداخل ثم خرجت، وغير بعيد عن هذا نجد لفظة " أف" <sup>1</sup>، مثلاً: حيث الهمزة حلقيه اختناقية والفاء شفوية أسنانية جاءت تالية للهمزة مباشرة، فكأنها تنفيس عن غضب داخلي.

<sup>1</sup> وردت لفظة "أف" في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا نُنْهَهِمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾

فيظهر وكأن الدلالة تشرّبت من كل صوت موجود بين الهمزة، وهي أبعد الحروف حتى وصلت إلى الفاء، وهي نقطة ذروة الامتلاء الدلالي والعمق المعنوي، فجاء اللفظ مساوقاً لهذا، وهذا من خصائص المعجزة القرآنية التي تحمل الجمال الحسي البصري، وكذا الجمال النفسي الذي للقلب فيه النصيب الأكبر في تلقيه، فذكر المفردة بدل اللفظة لكي تؤكد انفراد الكلمة بالجمال الفني<sup>1</sup>، ولن يبلغ الشعر الموزون المقفى وكلام العامة المسجوع شأو القرآن الكريم، فكأن هناك شحنة هي محرك التأثير والاقترام الحاصل بين الأصوات في حركية تحصيل المعاني والدلالات .

### المفردة والدلالة والمعنى :

اللغة أصوات، والأصوات إيجاء، وفي المفردة معنى، وفي التركيب دلالة، وفي الفقرة فكرة، وحديث الدلالة يحيل إلى كيفية اكتساب اللفظ الدلالة حديث فلسفي لم يهتد من خلاله إلى جواب مقنع أو شاف اللهم إلا من جانب أمر الترجيح<sup>2</sup>، خاصة إذا تعلق الأمر بمذاقية اللغة، فهاهو الجاحظ في كتابه البيان والتبيين يقول: " البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك عن قناع المعنى<sup>3</sup>، أو هو الدلالة الظاهرة على المعنى الخفي"<sup>4</sup>، وقد أشار إلى جملة من هذه الدلالات حتى صار الخط قبل المستوى الصوتي دليل على المكتوب كدلالة رسم الياء على صوته<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أحمد يسوف، جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، دار الكتي، دمشق، سوريا، ط2/ 1999م، ص 22.

<sup>2</sup> ينظر: صالح سليم عبد القادر ألفاخري، الدلالة الصوتية في اللغة العربية، ص 40-41

<sup>3</sup> أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، مكتبة، بيروت، لبنان د ط، 1962م، ج1/ 99

<sup>4</sup> المرجع نفسه .

<sup>5</sup> المرجع نفسه .

## الفصل الثاني..... التعليل الصوتي للإبدال والاشتقاق

إنّ الذي عليه أغلب مدار التعليقات أربع دلالات: صوتية، نحوية، صرفية، ثم الدلالة المعجمية، ويعدّ ابن جيّ بحسب رأينا إمام القائلين بوجود الصلة بين الألفاظ ومعانيها، وقد تدرج في مراتب هذه المضارعة، ونعقد فيما يلي لواحدة من أهمها والتي عليها أكثر تعليق المبحث .

### المضارع بالأصول الثلاثة :

يقول: وتجاوزوا ذلك إلى أن ضارعوا بالأصول الثلاثة الفاء والعين واللام<sup>1</sup>، ونستوضح الأمر الأمر بعرض نورد فيه بعض هذه الأصول حتى لا نقول كلها، لأن أمر الإحاطة بجميع العربية من المستحيل<sup>1</sup>، وإلا فلم وجد القياس؟

اللفظة	مقاربتها	التعليل	الدلالة <sup>2</sup>
عصر	أزل	العين أخت الهمزة الصاد أخت الزاي الراء أخت اللام	أزل = حبس عصر = ضرب من الحبس
عصب	أزم	الهمزة أخت العين الصاد أخت الزاي الياء أخت الميم	أزم = المنع عصب = شدة

مع مكونات الجدول :

<sup>1</sup> ابن جيّ، الخصائص، ج2/98

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج2/99

سنحاول أن نصب التعليل في خانة الدلالة، وذلك دون إغفال باقي المستويات الصرفية أو النحوية لأنه حري بنا أن نشير إلى عمق التفاتة ابن جني في هذا النوع من المقابلة أو المضارعة لأنها تعدت المراحل الأول للمضارعة، فلم تكن مجرد مماثلة جزئية رجعية أو تقديمية، بل هي مماثلة امتزجت فيها جميع الأبعاد، وظهر فيها التقابل بين ثلاثيات الميزان الصرفي، وتعدت شرط اتحاد المادة والهيئة، أي هيئة التركيب إلى تقابل المعاني على غير طرفي نقيض، وهذا أمر أبحاثه سعة القياس، وليس لنا أن نردّ إحدى اللغتين "عصر"، أو "أزل" بصاحبتهما، لكن غاية مالك في ذلك أن تتخيّر إحداهما فتقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشدّ أنساً بها<sup>1</sup>، وإنما يكون الأثر من الناطق اليوم بلغة القدامى بقلة أو بكثرة التداول، أي بسعة الرواية.

### الميزان الصرفي والتقابل :

بالعودة إلى الجدول نجد التقابلات التالية :

أزل ← عصر

عصب ← أزم

حيث العين أخت الهمزة، والزاي أخت الصاد ثم اللام أخت الراء، فلوتأملنا اللفظتين وجدنا الهمزة قريبة المخرج من العين وهي عند الخليل هاوية جوفية واللام قاربت الراء، فاللام حرف منحرف والراء حرف تكريري أما الزاي والصاد فيمثلان عين الميزان الصرفي، فكل صوتين على طرفي نقيض رغم أنهما من مخرج أوحيز واحد، ويظهر عمق هذا التقابل بدء من الدلالة المعجمية .

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، ج 07/2

أزل : الأزل : الضيق والشدة...، وأزله يأزله : حبسه<sup>1</sup>

أزم : عضّ بالفم كله شديدا...، والعام اشتدّ قحطه<sup>2</sup>

عصر : عصر العنب ونحوه ، يعصره فهو معصور وعصير<sup>3</sup>

عصب : العصب : الطّي واللي والشّد وضّم ما تفرّق من الشجر<sup>4</sup> .

حين تقابل اللام الراء في المفردتين (عصر، أزل) نلاحظ في الراء تكريرا تقابله حركة نقوم بها أثناء العصر، وتتمثل في الضغط ثم الترك في مقابل اللام التي هي حرف التصاق يقابل الضيق والشدة الموجودان في الأزم، وحين نقابل بين (أزم وعصب) فالمعنيان متقاربان، فكما يخلق العضّ بالفم أثرا فكذلك العصب، وحتى من حيث المدة الزمنية لهذين المعنيين، فالقحط لا يدوم يوما أو يومين إنما عام، فكذلك ما تفرّق من الشجر يحتاج مدة لكي يتضام، ففي المعنيان مطاوعة زمنية إن جاز لنا أن نقول بذلك، ومن أمثلة هذا التقابل أيضا<sup>5</sup>:

#### جدول المتضارعات الثلاثية:

المفردة	مقابلتها	أوجه التعليل	الدلالة
س ل ب	ص ر ف	السين أخت الصاد اللام أخت الراء	إذا سلب الشيء فقد صرف عن وجهه

<sup>1</sup> الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1233.

<sup>2</sup> الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 1381

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص 580

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ص 152

<sup>5</sup> ابن جني، الخصائص، ج 2/ 99

	الباء أخت الفاء		
--	-----------------	--	--

### مع مكونات الجدول :

ورد من معاني "سلب" اختلس، والسليب المسلب العقل، وامرأة رناقة سالب وسلوب  
ومسلّب، وسلب مات ولدها أو ألقته لغير تمام<sup>1</sup>.

وجاء من معاني التصريف، تصريف الكلام اشتقاق بعضه من بعض، وفي الرياح تحويلها من

وجه إلى وجه<sup>2</sup>، وقد جاء قوله تعالى: ﴿وَتَصْرِيفَ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ﴾<sup>3</sup>.

بمقابلة اللفظتين "سلب" و"صرف" نجد أن السين أخت الصاد من حيث الهمس والرخاوة،  
إلا أن الصاد حرف مستعمل مطبق مفخم، في حين السين حرف مهموس مستفل مرقق، فها هما قد  
اجتمع على طرفي نقيض في بداية الميزان الصرفي، أي في فاء كلّ كلمة، ثمّ اللام والراء وهما عينا  
الصيغة الصرفية حيث اللام التصافي، والراء تكراري فكأنّ أي شيء ما كان أن يفقد خاصيته إلا  
بالاختلاس الذي يكون خفية، فلوحاولنا عرض اللفظتين وفق قانون القوة<sup>4</sup>، حيث هناك نوعان في

<sup>1</sup> الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص 129.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 1063.

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 164.

<sup>4</sup> عبد الرحمان بن إبراهيم الفوزان، دروس في النظام الصرفي للغة العربية، ص 67

القوة : وهما القوة الذاتية : وتكمن في صفة الصوت ذاته، والقوة المقطعية وتكمن في موقع الصوت من المقطع<sup>1</sup> ، حيث النبر كقضية تطريزية يدلل في أغلب حالاته على القوة .

والضعف في الحرف يكون بالهمس والرخاوة ، والقوة في الحرف تكون بالجهر وبالشدّة والإطباق والتفخيم ، وبالتكرير وبالاستعلاء وبالصفير وبالاستطالة وبالغنة والتفشي .

حري بنا أن نتساءل ها هنا ما القوة المقصودة في هذا؟، وقد يكون الهمس في مواطن أخرى دلالة على القوة التي تصبّ في مجال الحرق الإيقاعي، وأحرق قاعدة الإضمار مراعاة للإيقاع اللفظي<sup>2</sup>، حيث إذا كان الأصل في الأسماء الظهور ، وإذا ذكرت ثانية وجب إضمارها تفاديا للتكرار ، لكن الخطاب القرآني يخرق هذا الأصل احتفاءً بالإيقاع ، وهذا بيّن في سورة الناس المشتملة على كلمة الناس المتكرر ذكرها ، ولم تضر في السورة ، وقد جاء ذلك كما بيّن الزركشي والسيوطي مراعاة للجناس ، فلو تم الإضمار ستفقد السورة إيقاعها الجناسي، كما لوقال :قل أعود بربّ الناس ملكهم ، إلههم ، من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدورهم من الجنة ومنهم ، فبحدوث الإضمار يغيب الإيقاع<sup>3</sup> ، فسواء تعلق الأمر بمفردة أو حرف، فالأمر سيان قياساً إلى قول من قال: إن ثقل الضمة بالنسبة إلى الفتحة مقرر بالطبع، ومعلوم بالحسّ فلا مجال لإنكاره ، لكن الخفة والثقل في

<sup>1</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>2</sup> ينظر : أحمد البايي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية ، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن ، ط1/2012م ، ص 239.

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

الأصوات أمران نسيبان ، فالثقل قد يصبح خفيفاً مستحجاً في سياق ما، والعكس بالعكس<sup>1</sup> والأمر كذلك بالنسبة للقوي والضعيف .

وبالعودة إلى المفردتين : سلب وصرف .

س - ل - ب ← ضعيف ← قوي ← قوي .

ص ر ف ← قوي ← ضعيف ← ضعيف .

فلاحظ أيضاً تقابل بين الفاءين واللامين ، لكن مركز الصيغتين كلاهما حرف قوى ، فاللام التصاقية دلالة على القوة والراء حرف تكريري دلالة على التكيّف ، جاءت بعدها الفاء لتوحي بوجود متنفس لبداية عملية صرف الشيء عن وجهه، ولو تأملنا الباء بعد اللام لوجدنا تدرجاً يحيل إلى ازدياد شدة التصاق الشفتين حالة تأدية حرف الباء، ومعلوم بالصفات أنه حرف مجهور شديد مقلقل.

### بيان فارق الاستعمال:

السّر في الأساليب أنها مختلفة باختلاف المتكلمين، فلو أن خيَّاطاً وصيدلانياً اختلفا في صنعتهما، فالصيدلاني قد يكون بارعاً ناهجاً غير حامل، وقد يكون غير ذلك، والخيَّاطون كذلك، فليس الاختلاف من ناحية المادة الأولية، إنما الاختلاف يحصل من حيث حسن الاختيار، ودقة تطبيق قواعد الصنعة و، التحضير وأثره ونفعه<sup>2</sup>، فكذلك الاختلاف البياني اللغوي في أية لغة ما هو

<sup>1</sup> ينظر : فوزي حسن الشايب ، قراءات وأصوات ، ص 47.

<sup>2</sup> ينظر : عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص 254 وما بعدها .

إلا صناعة موادها وقواعدها واحدة في المفردات والتراكيب، إنما الاختلاف من جهة الأذواق والمواهب<sup>1</sup>، حتى أننا نؤدي الغرض بوجوه مختلفة، وما دمنا أخذنا في الحديث لابس أن نستأنس ببعض الشواهد:

### أمثلة عن الاستعمال:

لقد كان لعلمائنا أذواق مختلفة في استنباط الفروق الدقيقة بين استعمال حرف أو كلمة مكان حرف أو كلمة، ومن السابقين في عملية هذا الاستنباط الخطيب الاسكافي (ت: 412 هـ) في كتابه "درة التنزيل وغرة التأويل"<sup>2</sup>، ومن أمثلته ما جاء الحديث فيه عن سرّ التعبير بالفاء " في كلوا" من قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾<sup>3</sup>، وعن سرّ التعبير بالواو بالفاء في لفظ " كلوا" أيضاً، لكن من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾<sup>4</sup> مع أن القصة واحدة، ومدخول الحرف واحد .

<sup>1</sup> ينظر المرجع نفسه ، ص 255 .

<sup>2</sup> ينظر : عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص 256

<sup>3</sup> سورة البقرة ، الآية 458

<sup>4</sup> سورة الأعراف ، الآية 161

يقول: الأصل أن كل فعل عطف عليه ما تعلق به تعلق الجواب بالابتداء، وكان الأول مع الثاني بمعنى الشرط والجزاء، فالأصل فيه عطف الثاني على الأول بالفاء "فكلوا" فإن وجود الأكل متعلق بالدخول، والدخول موصول إلى الأكل فالأكل وجوده معلق بوجوده، بخلاف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ **أَسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا**﴾<sup>1</sup>، لأن السكنى مقام مع طول لبث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده، لأن من يدخل بستاناً قد يأكل مجتازاً، فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجواب بالابتداء وجب العطف بالواو دون الفاء<sup>2</sup>، لكن هذا النص القرآني قد أحيط بالعناية الإلهية، وكلام العامة دون هذا الشأو، فما المرجعية الفكرية للناطق؟ وعلى أي أساس يوظف مفردة بدل الأخرى؟ وهذه واحدة من خلفيات التفكير الصوتي لدى ابن جني، والتساؤل هذا يصير الحديث إلى ثنائية جدلية منها:

### المرجعية والدلالة :

في معنى المرجعية تفاوت في التحديد ، ولكن العودة إلى أصل الانطلاق عودة مساوية للمسار الأول، لكن عودة على بدء، وقد قرئها بعضهم بالفكر والمدلول، أو بعبارة التصور الذهني<sup>3</sup>، لكن التساؤل المطروح ما العلة الداعية إلى اتفاق المعنى رغم اختلاف الشكل؟ وهذا بالضرورة ينفي أن

<sup>1</sup> سورة الأعراف ، الآية 161

<sup>2</sup> ينظر : عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن ، ص 256 .

<sup>3</sup> ينظر : مكّي دار ، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية ، ص 132.

يكون بين الدال الذي هو اللفظ والمدلول الذي هو (المعنى) علاقة اعتبارية وعشوائية، إنما الحاصل هو علاقة تنظيمية تحكمها الدقة، وأول مرتكزاتها الصوت .

إنّ تعدد الألفاظ لمعنى واحد، أو ما يسمى بالترادف يحيل إلى البحث عن المعنى من حيث هو معنى خاص مختص دقيق .

ومن أمثلة ذلك لفظي "ذهب" و"انطلق" مختلفتي النطق متفتقي المعنى، لكن مفهوم الانطلاق يوحي بعموم التحرر، بينما يعني الذهاب عموم المفارقة، وذلك كقول من أوتي جوامع الكلم عليه الصلاة والسلام للمشركين يوم الفتح: ( اذهبوا فأنتم الطلقاء)، أي الأحرار المتحررون، فجمع بين اللفظتين معاً طليق وذاهب، ولو قال: اذهبوا فأنتم الذاهبون: أو انطلقوا فإنكم المطلقون لكان المعنى غير مستقيم<sup>1</sup>.

ومن أمثلتها أيضاً "جلس" و"قعد"، فنحن نوظفها لمعنى واحد غير أن ابن خلوويه يحكي قصة حدثت معه في حلب مع سيف الدولة بن حمدان، فيقول: دخلت يوماً على سيف الدولة فلما مثلت بين يديه قال لي اقعد ولم يقل اجلس، فتبينت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب واطلاعه على أسرار كلام العرب، ويقول: قال ذلك لأن العرب تقول للواقف اقعد، وللنائم أو للساجد اجلس<sup>2</sup>.

إنّ هذا الباب عند ابن جني واسع عظيم، ونهج عند عارفيه مأموم، وذلك لأنهم جعلوا أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، من ذلك "خضم" و"قضم"، حيث القضم

<sup>1</sup> : مكي درار، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات اللسانية، ص 124

<sup>2</sup> ينظر: ابن خالويه، كتاب ليس في كلام العرب، ص 05 .

## الفصل الثاني..... التحليل الصوتي للإبدال والاشتقاق

أقوى من الخضم، وقد يدرك القضم بالخضم، والقضم أقوى من الخضم نظراً لرخاوة الخاء، فقد خصت بالرطب، ولصلابة القاف خصت باليابس<sup>1</sup>، وأمثلة ذلك كثيرة<sup>2</sup>:

اللفظة	متابعتها	أقوى المعنيين والعلة في ذلك
خضم	قضم	القضم أقوى لأن القاف أصلب والحاء رخوة دلالة على الرطب
نضح	نَضَحَ	النضح أقوى من النضح لأن الحاء رقيقة والحاء غليظة
القدّ	القطّ	الطاء أحصر للصوت وأسرع والدادل مماثلة لما طال من طال من الأثر
قرت	قرَدَ / قرط	قرت الدم وقرد الشيء وقرط، والتاء أخفت الثلاثة فاستعملوها في الدم إذا جفّ
الوصيلة	الوصيلة	الوصيلة أقوى معنى من الوسيطة، حيث الصاد أقوى من السين لأن التوسل ليس له عصمة الوصل
الخذأ	الخذأ	جعلوا أقوى الحرفين لأقوى المعنيين وأضعفهما لأضعفهما، والهمزة أقوى
جفا	جفأ	جفا الشيء وجفأ الوادي والهمزة أقوى
صعد	سعد	الصعود مشاهدة علاجية والسعادة فيما تعرفه النفس، لأن الصاد أقوى من

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/ 104

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/ 104 وما بعدها

السين		
-------	--	--

مع مكونات الجدول :

يقول ابن جني: "الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية"<sup>1</sup>، وقياساً إلى هذا ومن خلال الجدول فقد ورد مثلاً الحذا والحذاً وقلنا: إن الهمزة أقوى صوتاً من الواو في "حذواء"، فكان يجب أن يكون "الحذا" في الأذن مهموزاً، وفي الذل غير مهموز، لأن عيب الأذن مشاهد، وعيب النفس غير مشاهد، قيل: عيب الأذن وإن كان مشاهداً فإنه لا علاج فيه على الأذن، وإنما هو خمول وذبول، ومشقة الصاعد ظاهرة مباشرة معتدة متجشمة، وذلك لأن الأثر فيها أقوى، فجاءت بالحرف الأقوى وهو الصاد<sup>2</sup>.

إنّ المعاني تتناثر على الأصوات في بداية الكلمة ووسطها وآخرها كتناثر الدرّ فتستوعب المفردة الموضوع، وتوجز المعاني الكثيرة، وتوصل الصورة إلى ذهن المتلقي.

والمتتبع لتعليل ابن جني يجده برواح مراتبه بين صيغتين أساسيتين للفظة، الصيغة الخارجية "الشكل" ثم الصيغة الداخلية، وهو إذ يتحدث عن الصيغة الخارجية يقصد مواد اللفظة، فمثلاً يقول: الصاد أقوى من السين وإنما المقصود يبدو أنه جرس الصوت، لأن قوة الأثر إنما تحصل داخلياً، وهذا ما اصطلح عليه اللغة النفسية البشرية، وهذه فكرة نادى بها "هو مبلدت"، والتي مدارها ليس حول الشكل الخارجي للغة بل ارتباط اللغة بالنفس، أو ما يسمى بعلم النفس اللغوي<sup>3</sup>. لقد ضرب ابن

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، ج 2 / 107

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج 2 / 107.

<sup>3</sup> عبد العزيز غلام، في علم اللغة العام، دار كنوز المعرفة، جدة، ط 2004/01، ص 301-302

جنيّ بسهمه في هذا الميدان خاصة، وهو يعرض حديثاً عن مطل الحركات في موضوعي التذکر والإنكار، فيعكس بذلك حساً لغوياً متميزاً خرج به الظاهرة اللغوية تخریباً صوتياً نفسياً، فيقول:

الأصوات تابعة للمعاني فمتى قويت قويت، ومتى ضعفت ضعفت، وعلى هذا علمت قراءة من قرأ:

﴿يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ﴾<sup>1</sup> بالهاء الساكنة إنما هو لتقوية المعنى في النفس، وذلك أنه في موضع وعظ وتنبية وإيقاظ وتحذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه الدال على أنه قد بهره وملك عليه لفظه وخاطره<sup>2</sup>، وفي هذا حيازة لعموم الدلالة بل كلّها خاصة إذا تعلق الأمر بنص قرآني مقدس .

### التعليل الصوتي والمنزلة بين المنزلتين :

ذكر ابن جني ومن خلال الجدول السابق تركيب " ق ط ر " و" ق د ر " و" ق ت ر " <sup>3</sup>، وعلل لذلك بقوله: فالتاء خافية مستقلة، والطاء سامية متصعدة فاستعملنا لتعاديتهما في الطرفين، كقولهم: قتر الشيء وقطره والدال بينهما ليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء، فكانت بذلك واسطة بينهما، وفي المقابل كانت التاء أخفت الثلاثة في التراكيب ( قرت ، قرد ، قرط ) وجعلوا الطاء لأقواها وهي أعلى الثلاثة صوتاً للقرط الذي يسمع، وقرد من القرد الموصوف بالذلة والقلّة <sup>4</sup>.

ولنا أن نتبع عمق التدرج الدلالي انطلاقاً من قتر ← ق د ر ← قطر

<sup>1</sup> سورة يس، الآية 30

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي الجندي ناصف وعبد الفتاح إسماعيل شلي، القاهرة، 1414هـ/1994م، ج 2/210.

<sup>3</sup> ابن جني، الخصائص، ج 2/106

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 2/105 وما بعدها.

والعلة في ذلك وجود الأصوات "ت ، د، ط" في موضع العين من كل تركيب، حيث بالتاء يعبر عن معظم الأمر ومقابلته، وقدر الشيء لجماعه ومخرجه، وينبغي أن يكون قولهم: قطر الإناء الماء ونحوه إنما هو فعل لمن لفظ القطر ومعناه، وذلك أنه إنما ينقط الماء عن صفحته الخارجية وهي قطره<sup>1</sup>. ويذهب ابن جني أبعد من ذلك، فيرى أن العرب قد تضيف إلى اختبار الحروف وتشبيه أصواتها بالأحداث المعبر عنها بما ترتبها، والعلة في ذلك أن يضاهاي أول الحدث أول الحروف وآخره آخر الحروف ووسطه وسط الحروف تساوقاً دقيقاً يكشف عن الغرض المقصود<sup>2</sup>. ونضرب لذلك الأمثلة التالية :

بحث : في الباء غلظ يشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض .

الحاء ← فيها صحل<sup>3</sup> يشبه محالب الأسد وبرائن الذئب إذ غارت في الأرض .

الشاء ← للنفث والبث للتراب<sup>4</sup>.

يشير بعض الباحثين إلى تصنيف محاكاة الوضع اللغوي للظاهرة الطبيعية بما يسمى بعلم "الأنوماتوبيا"<sup>5</sup>، فلو أخذنا قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾<sup>6</sup>، فالصوت صيوعي قبل المعنى، ويرسم الحركة في عملية نطق تحاكي الحدث، فان الضمة على الراء تعني انضمام الشفتين على حرف ليس من حروف الحلق، واستدارة الشفتين تتطلب جهداً، وفي هذا قوة الريح، ثم

<sup>1</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج2/108 .

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه .

<sup>3</sup> صَحَلْ صوته يصحل صَحلاً فهو أصحل وصحل بَحْ...، وفي صفة الرسول صلى الله عليه وسلم حين وصفته أم معبد ، وفي صوته صَحَلْ وهو بالتحريك كالبحه وأن لا يكون حادا ، ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج4/619

<sup>4</sup> ينظر : ابن جني ، الخصائص ، ج 2/106 .

<sup>5</sup> ينظر: أحمد يسوف : جماليات المفردة القرآنية في كتب الإعجاز والتفسير، ص 33

<sup>6</sup> سورة ص، الآية 36

يأتي الانتقال من الضم إلى الفتح على حرف حلقي (خ) ليدعو إلى تصور بدء سهولة، وتكثر السهولة في مدّ الألف، فليس هناك انقباض ولا انكماش، بل تدرج من الصعب إلى السهل، مما يمثل طواعية الرّيح للنبي سليمان عليه الصلاة والسلام بأمر الخالق تبارك وتعالى<sup>1</sup>.

فيظهر أنّ هناك تدرجاً في المعنى أو العمق الدلالي، وقريب معنى البحث هذا من الآية

الكريمة: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ﴾<sup>2</sup>.

ومن الأمثلة أيضاً قوله : شَدَّ الحبل ونحوه ، فالشين فيها من التفشي ما يشبه صوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد، ثم يليه إحكام الشد وتأريب العقد، فيعبر عنه بالدال التي هي أقوى من الشين خاصة، وهي مدغمة، فهي أقوى وأدلّ على الصنعة والمعنى الذي أريد بها<sup>3</sup>، والذي يشدّ بغيره مخافة أن يدركه الغرق يستحکم شدّه به لأنه يقصد النجاة فعلاً .

إنّ استيعاب أمر اللغة كلها أو جلها مما يصعب ويعسر، ونرى ابن جني وهو يورد نصوصه

التعليلية يشير إلى أمرين هامين حيث :

الأول : هو ما طوعك فيه القياس، أي ما ورد على وجه يقبله القياس، وتقتاد إليه دواعي النظر والإنصاف .

<sup>1</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 32

<sup>2</sup> سورة المائدة ، الآية 31

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني ، الخصائص، ج2/108

الثاني : ما تجاوز القياس وهو الذي يخفى، فلم توعس النفس منه، فوكل إلى مصادقة النظر فيه، والأحرى على حد قول ابن جني في هذا أن يعزو الإنسان النقص فيه إلى نظره<sup>1</sup>، لأن اللغة شريفة عظيمة جدية بالثبوت والنقض، فقد لا يصل للآخر علم الأول، أو لأن اللغة أصول وأوائل قد تختفي عنا وتقتصر أسبابها دون كمال<sup>2</sup>، وهذه واحدة من أهم النقاط التي عبر بها ابن جني من مسلمات النحو القواعدي إلى جسر التنظير العقلي للغة العربية<sup>3</sup>، فباتت هذه الخطوة من أبرز إسهاماته في مجال الحقل اللغوي عموماً والصوتي خصوصاً.

فإذا كان أمر القياس وارداً تتناصر إليه أغراض ذوي التحصيل، يبقى أمر إمعان النظر والبحث عن مواطن الصنعة ولطفها في المفردة الواحدة أمر شخصي جعل منه ابن جني محجة، ومذهباً في التحليل من ذلك مثلاً جرّ شيء يجره، يقول : قدّموا الجيم لأنها حرف شديد ، وأول الجرّ بمشقة على الجار والمجرور جميعاً، ثم عقّبوا ذلك بالراء، وهو حرف مكرّر وكثروها مع ذلك في نفسها<sup>4</sup>، والعلة في ذلك أن الشيء إذا جرّ على الأرض اهتزّ عليها واضطرب صاعداً عنها ، ونازلاً إليها...، فكانت الراء لما فيها من التكرير ولأنها كررت بنفسها في جرّ وجررت أوفق في هذا المعنى من غيرها من الحروف كلها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر : المرجع نفسه .

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: بلعياي بن عمر، تراث ابن جني اللغوي والدرس الصوتي الحديث دوسوسير نموذجاً، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، ص06.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني ، الخصائص، ج2/108-ض9109

<sup>5</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج2/108-109

إنّ التحليل لدلالة الألفاظ ومجيئها على هيئتها يحتاج من الدارس أن يعن النظر فيما رسمناه يقول ابن جني، وهذا التخريج الذي أورده صاحبه طوعه فيه القياس وقبله أو اقتاده إليه حسن الصنعة وإمعان النظر ، لان للغة أصولاً ، و أوائلاً قد تخفى عنا وتقصّر أسبابها دوننا فينعدد الفكر على غير العلة المقصودة ، لأن الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الأخر على حدّ زعم سيبويه وابن جني<sup>1</sup> .

### خلاصة المبحث :

إن المناسبة الصوتية جزء من النظام العام للغة تنتج عن اتفاق يحصل بين جميع الأعضاء النطقية الأمر الذي يحيل إلى الانسجام والدلالة والتوافق والإتباع، وكلها تشترك في حيازة الدلالة العامة التي تشير إلى أن النظام الصوتي يأتي تبعاً لقانون التوازن ذلك أن العربية لغة موسيقية حيث :

- الأعضاء ← تحيل إلى انسجام حركي .

- الحروف والكلمات والجمل ← تحيل إلى انسجام نطقي .

<sup>1</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج2/109

والاشتقاق نوع من الولادة لتدعيم الأداء اللغوي خرجّه ابن جني أيما تخرج، حيث وطّد أواصر الارتباط الداخلي، والخارجي، والنفسي، والوجداني لهذه اللغة الشريفة قوية الألفاظ جزلة قوية معانيها، وأبدع ابن جني في تخرجها الدلالي والصوتي .

# الفصل الثالث

التعليق الصوتي للإمالة

والإعلان

### أولا- الإمالة:

إنّ المصاحف العثمانية التي كانت تخلو من النقط والحركات البنائية والإعرابية قد جعلت الكلمات المحتملة لكثير من أوجه الأداء، فكان أن أسهم الرسم القرآني في حفظ هذه الاختلافات التي كانت موجودة أصلاً<sup>1</sup>، وهذا التجريد من الشكل والنقط كان عملاً مقصوداً، قال صاحب النشر "إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليتحملة ما لم يكن في العريضة الأخيرة ... فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً، ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم ولا يمنعوا من القراءة به"<sup>2</sup>.

لقد ظلّت هذه المزية مرجعية يحتكم إليها من خلال الأحرف السبع والقراءات المشهورة، ولما كثر النقط أدى إلى شيوع اللحن على الألسن من جديد، فكان لا بد من الرجوع إلى العملية التصحيحية التي بدأت مع أبي الأسود الدؤلي، ونصر بن عاصم الليثي، ويحيى بن يعمر، ومن جاء من بعدهم وصولاً إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي استبدل ألف صغير منبسط فوق الحرف بالنقطة التي كانت لها، وجعل للكسرة ياء صغيرة تحت الحرف، وللضمة واوا صغيرة فوقه، فإن كان الحرف المتحرك منوناً كرّر الحرف الصغير يكتب مرتين فوق الحرف أو تحته<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص28.

<sup>2</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1/11

<sup>3</sup> عبد العال سالم مكرم، القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، مطبعة دار المعارف، ط1/1965، ص 266

من هنا تولدت علاقة الحرف بالحركات وتزاوجت الأسماء والمسميات والأشكال والتشكيلات، والإمالة شكل من هذه الأشكال له أثره في الدرسين الصوتيين القديم والحديث.

### تعليل الإمالة:

جاء في لسان العرب: ميل: الميل العدول إلى الشيء والإقبال عليه، و أمائل وأمائل بينهما أيهما أركب، و أمايظ بينهما<sup>1</sup>، ومن هنا فهي تعبير عن معنيين متناقضين لما فيهما من الاقتراب والابتعاد فيها فمن مال إلى شيء واقترب منه يكون قد مال عن ضده وابتعد عنه<sup>2</sup>، وقد تعني الإمالة لغة التعويج، يقال: أملت الرمح ونحوه إذا عوّجته عن استقامته<sup>3</sup>.

والإمالة في الاصطلاح هي عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة، ومخرج الياء وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعدها تكون خفتها<sup>4</sup>، ويعلق إسماعيل عبد الفتاح شلبي يقول: ولسنا ندري لماذا قيد الألف بالتفخيم في قوله فيصير مخرجه بين مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء<sup>5</sup>، وللإشارة إسماعيل عبد الفتاح شلبي كتابه عمدة في هذا الباب، أي باب الإمالة، ولا يعني هذا بالمرّة أننا نرّج بما ذكره غيره في باب الامالة نتجاوزه، لكننا لو تصفحنا مؤلفه لأمكننا تلمّس خصوصية في أمور، من أهمها أنه تتبع الظاهرة بشقيها النظري والتطبيقي، خصوصا عندما كان يعقد المقارنة بين النّحاة والقراء .

<sup>1</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج4/800799.

<sup>2</sup> ينظر: مكي درار الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص112 .

<sup>3</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/117

<sup>4</sup> ابن يعيش : شرح المفصل، المطبعة المنيرية، د ط، د ت، ج54/9

<sup>5</sup> طالع: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، دار الشروق، جدة المملكة العربية السعودية، ط 1973/3 م، ص33.

من النصّ السابق يتبن لنا أن الألف يشكل خطأ أصليا أو منطلقا للإمالة، والعدول عن الخط الأصلي إنما يحدث بميل الأعلى نحو الواو أو إلى الأسفل نحو مخرج الياء، وعليه يقول ابن الجزري: الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء ( كثيرا ) وهو المحض<sup>1</sup>، وفيما يلي نعرض للفتح والإمالة من خلال القراء، والنحاة وتوجها تم ومذاهبهم اللغوية والنحوية .

### الإمالة عند النحاة والقراء :

يشير إسماعيل شلبي إلى أن سيبويه لم يعرف الإمالة صراحة، ولكنه ذكر في الكتاب عبارات استغلها القراء والنحاة من بعده لتعريف الإمالة<sup>2</sup>، فقال: "إنما أمالوها يعني الألف في عابد وعالم...، للكسرة التي بعدها أرادوا أن يقربوها منها، ثم قال بعد أسطر: "فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها..."<sup>3</sup>، ويذكر هذا في "باب ما تمال فيه الألفات" ويشقّه بباب آخر " ما يمال من الحروف من التي ليست بعدها ألف إذا كانت الراء بعدها مكسورة<sup>4</sup>، ويقول في موضع آخر: " والياء أخفّ عليهم من الواو فنحو نحوها<sup>5</sup>، ففي النصّ الأول تظهر مادة (قرب )، وفي النصّ الثاني تظهر مادة (نحا) وإن نحن اعتبرنا بالأ ترادف في العربية، وأن لكل مصطلح خصوصية دقة المعنى، وحاولنا إسقاط المادتين على توجهات النحويين، ومذهب القراء وجدنا الاختلاف ذا أهمية، لأنّ القراء يبدو أنهم كانوا أقرب إلى الواقعية، لأنهم كانوا أقرب إلى التوظيف والتجريب .

<sup>1</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج4/30.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص33 وما بعدها.

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/235 وما بعدها.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج4/235 إلى 255

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج4/237

فها هو شلبي يستوضح ذلك بعد أن أورد أقوالا لكل فريق<sup>1</sup>، من بعد سيويوه، فالمبرد في "المقتضب" يرى أن الإمالة أن تنحو بالألف نحو الياء، والزجاجي في "الجمل الكبيرة" يكتفي بكون الإمالة أن تميل الألف نحو الياء والفتحة نحو الكسرة، ومكي بن أبي طالب القيسي في "التبصرة" معنى الإمالة عنده أن تقرب الألف نحو الياء، وذكر فيما بعد أسباب الإمالة، وأبو عمر الداني في كتابه "الموضح" استعمل مادتي (نحا) و(قرب)، والزخشي في الكشاف، وابن الأنباري في "أسرار العربية".

نخلص في الأخير أن استعمال مادة (قرب) ارتبطت بالقراء، ومادة (نحا) بالنجاة، وإن حدث أن استعمل القراء مادة (نحا)، فهي بشروط تقربها من مادة (قرب)، لأن مادة (نحا) ليست نصًا في التقريب الذي يحرص عليه القراء<sup>2</sup>، فـ "قرب" من القرب ضد البعد، والاقتراب: الدنو والتقرب التدني والتواصل بحق أو قرابة<sup>3</sup>، والنحو: القصد نحو الشيء، نحوت نحوه، أي قصدت قصده<sup>4</sup>، وفي لغة أنحاه أي، باعدته<sup>5</sup>، فيستقر أن النحو يحتمل الابتعاد والميل، أي أن تميل وتقصد جهة الكسرة، فيحتمل أنك تقلب الفتحة كسرة والألف ياء ذلك القلب الخالص الذي يكرهه القراء بدليل قول ابن الجزري: "الإمالة الشديدة يتجنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه<sup>6</sup>، والإمالة والفتح

<sup>1</sup> ينظر: عبد الفتاح شلبي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص 30 إلى 2

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 35 وما بعدها .

<sup>3</sup> الخليل أحمد الفراهيدي العين، ج3/370

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج4/201

<sup>5</sup> المرجع نفسه

<sup>6</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/30.

لغتان مشهورتان فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذي نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وقيس، والغرض من الإمالة حاصل بها<sup>1</sup>، وليس المقرب من الشيء هو هو.

فيستقر مما سبق أن الإمالة عند النحاة وانطلاقاً من عصر سيبويه تصنّف على أساس السياق، فإمالة الألف نحو الياء جاءت على أساس سياقات محددة<sup>2</sup>:

1. تمال الألف إذا كان بعدها حرف مكسور، وذلك نحو قولك: "عَابِد" "عَالِم" "مَسَاجِد".

2. تمال الألف إذا كان بين أول حرف من الكلمة والألف حرف متحرك، والأول مكسور نحو "عِمَاد".

3. تمال الألف إذا كان بين أول حرف من الكلمة والألف حرفان الأول ساكن نحو: "سِرِيَال" "شِمَال".

4. تمال الألف إذا كان بين الحرف المكسور والألف حرفان الأول مفتوح والثاني هاء خفية نحو: "يريد أن ينزعها"، "يريد أن يضر بها".

5. تمال الألف إذا كان بينها وبين الياء الساكنة حرفان الأول مفتوح والثاني هاء نحو: "يريد أن يكيلها".

ويعلّل سيبويه بقوله: وإذا كان ما بعد الألف مضموماً، أو مفتوحاً لم تكن فيه إمالة، ويمثل ذلك نحو "آجر" و"نابل" و"خاتم" لأن الفتحة من الألف فهي ألزم لها من الكسرة ولا تتبع الواو لأنها لا تشبهها<sup>3</sup>، ولم يتوقف سيبويه عند هذا الحدّ بل أضاف تصانيف أخرى وبأسس:

<sup>1</sup> ابن الجزي، النشر في القراءات العشر، ج 2/30

<sup>2</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4 / 235 وما بعدها.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 4/236

1. تصنيف على أساس أقسام الكلمة (الاسم، الفعل، الحرف) <sup>1</sup>.

2. تصنيف على أساس الاتّصال والانفصال <sup>2</sup>.

3. تصنيف على أساس الأصل (الأصل الواوي، والأصل اليائي) <sup>3</sup>.

وسنقف عند توجه ابن جنّي حيث صنّف الإمالة على أساس التقريب بين الحركات بغض النظر عن السياقات، بل على صعيد ما يعتري تلك البنية من تغيرات صوتية، ونكون بذلك عند منعطف مهم من منعطفات الإشكالية المطروحة حول هذا المبحث، ألا وهي ما حقيقة الصوت الممال؟ أهى الألف؟ أم الفتحة التي قبل الألف أم الكسرة التي بعده؟

إن نحن أمعنا النظر فيما ورد في الكتاب حول الإمالة وجدنا سيبويه يقول في نصّ أول :  
"فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك: عالم ومساجد ومفاتيح وغذافر وهابيل وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها، أرادوا أن يقربوها منها...، فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها" <sup>4</sup>.

نستشفّ من هذا النصّ أن الكسرة عند سيبويه هي الياء بدليل وهو يتحدث عن الكسرة قال عن الألف: أرادوا أن يقربوها، أي من الكسرة، ثم في العبارة الثانية قال: فالألف قد تشبه الياء فأرادوا أن يقربوها منها، أي الألف من الياء، فهذا دليل على أنّه لم يفرق بين الكسرة والياء، فإذا كان هذا كذلك فهذا يعني أنّه لا وجود للفتحة في هذه المواضع (كتاب، عالم، هدى)، إنما هي محرّكة

<sup>1</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج 4/237

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 4/238

<sup>4</sup> المرجع نفسه .

بألف المد وحدها<sup>1</sup>، ومن الصعب أن نسلّم بحقيقة ألا وجود للفتحة في هذه المواضع، خصوصا إذا طالعنا المصحف الشريف وجدناها مرسومة، أمّا الفريق الثاني، وهم القراء، فقد صنّفوا الإمالة إلى:

### 1- الإمالة المحضة :

الإمالة أن تنجو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء (كثيرا) وهو المحض، ويقال له الإضجاع ويقال له البطح وربما قيل له الكسرة أيضا ( و قليلا )، وهو بين اللفظين<sup>2</sup>، ومن مسمياتها أيضا التقليل، والتلطيف وبين بين<sup>3</sup>، والإمالة المحضة أو الشديدة يتجنب معها القلب الخالص والإشباع المبالغ فيه<sup>4</sup>، وتسمّى أيضا كبرى.

2- الإمالة بين بين ويسمّيها أبو عمر والداني الإمالة الوسطى ويختارها كمذهب له لأن الغرض حاصل به وهو الإعلام بأن أصل الألف الياء أو التنبيه على انقلابها إلى الياء في موضع مشاكلتها للكسر المجاور لها أو الياء<sup>5</sup>.

تتضح هذه الإمالة من تعليق لأبي علي الفارسي على قراءة نافع، قال أحمد بن موسى: كان نافع لا يميل الألف التي تأتي بعدها راء مكسورة مثل: (من النّار)، (من قرار)، (الأبرار، الأشرار، دار البوار، الأبصار، بقنطار، بدينار، ديارهم، على آثارهم)، بل كان في ذلك كله بين الفتح والكسر، وهو إلى الفتح أقرب<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الفتاح إسماعيل شليبي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص79

<sup>2</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج30/2

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

<sup>4</sup> المرجع نفسه.

<sup>5</sup> المرجع نفسه.

<sup>6</sup> أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج 1/245-246

يشّرح أبوعلي الفارسي هذا الشاهد فيقول: يريد - إن شاء الله - لا تمل الفتحة نحو الكسرة إمالة شديدة، فتميل الألف نحو الياء كثيرا، ولكن لا يشبع إمالة الفتحة نحو الكسرة فيخفّ لذلك إجناح الألف وإضجاعها<sup>1</sup>، ثمّ ذكر بعد ذلك عبارة وهو إلى الفتح أقرب، وإذا زال عن الفتح الخالص فهو إمالة، وبين الإمالة وبعض الإمالة أزيد من بعض، حيث العلة في هذا أن الراء حرف تكريري، وإذا تكرّر الكسر زادت الإمالة حسنا لتجانس الصوت، فكأن الكسرة حليها<sup>2</sup>، وعللّ الفارسي هذا النوع من الإمالة بالقول: وأما قصده في الإمالة بما نحو الياء وتوسطه في ذلك، فلأنه كره أن يبالغ في الانتحاء نحو الياء، فيصير كأنه عائد إلى الياء التي كرهوها حتى أبدلوا منها الألف، وهكذا ينبغي أن تكون الألف في الإمالة<sup>3</sup>، وذلك في نحو (الهدى، الهوى، العمى، استوى، أعطى، وأكدى، يحيى، موسى، عيسى، الأنثى، اليسرى، رأى، ونأى)، لأنها ألفات يقول منقلبة عن الياء أوفي حكم المنقلب عنها...، لتدل الإمالة والانتحاء بالألف نحو الياء على الياء<sup>4</sup>، وهناك من صنّف هذه الإمالة قياسا إلى أسبابها<sup>5</sup>.

ويبقى أن نشير إلى أن الدرس الصوتي الحديث قسّم الإمالة تقسيما صوتيا خصوصا وقد رأينا

أن الإمالة (إمالة الألف) سياقية في أغلب أحوالها، وفي ضوء هذا جاءت في قسمين:

### 1- إمالة قصيرة: تنشأ عن النحو بالفتحة إلى الكسرة، ولها درجات .

<sup>1</sup> أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج 246/1

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 246/1.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ج 236/1

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج 235/1

<sup>5</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 33/2

2- إمالة طويلة : وتكون في المدّات، حيث الياء والواو كسرة وضمة طويلتان، وكل ما هناك أن الأصوات اللينة تختلف من ناحية طول المدة التي تستغرقها، وفي العادة يستمر الصوت اللين الطويل ضعف الصوت القصير<sup>1</sup>، وقد أورد ابن جنيّ باباً أسماه باب "مطل الحركات"<sup>2</sup>.

ومهما يكن من نتائج أشار إليها الدرس الصوتي الحديث حول الإمالة، وخاصة التحديد العلمي من خلال مقياس جونز لدرجات أصوات اللين، فإنّ هذه النتائج لا يجب أن تظل مجرد رموز ومقاييس جافة غير مجربة، بل يجب أن يحرص المتمرسون على توظيف هذه النتائج توظيفا عمليا لأن القدماء مكّنهم الحسّ المرهف من ذلك، فكان الشيخ يستطيع ملاحظة حركة اللسان والشفاه عند النطق بالفتح أو التفخيم أو الترقيق، أو الإمالة إذ يمكنه التنبيه على المعيب وغير المعيب في الأداءات المختلفة .

وبهدي الذي سبق يمكن القول: إن مظاهر الإمالة لا يتكفّل بتعليلها قانون واحد، فلكل بناء أو مفردة أو مظهر مجموعة من القوانين والحيثيات تختلف فيما بينها، فالألف تارة يؤثر والكسرة تارة والفتحة وما يليها وما يسبقها تارة أخرى، ويمكن الاطمئنان في الأخير أن التوضع بين هذه الثلاثيات ( الفتحة، والألف والكسرة ) له سرّ في وجود هذا النوع من اللحن في كلام العرب.

### مذهب الإمالة عند ابن جنيّ :

لقد حصل لابن جنيّ إرث صوتي من سابقه خصوصا وأنّ شيخه أبا علي الفارسي من النحويين القراء، أي أنّه جمع بين المذهبين، فقد بسط مادته المعرفية وموهبته في التأسيس لتحديد محور

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص146

<sup>2</sup> ينظر: ابن جنيّ، الخصائص، ج3/88

الخلاف الذي يدور حول حقيقة الصوت الممال، أهو الألف التي تلتها الكسرة ؟ أم الفتحة التي سبقت الألف ؟، وما فائدة الإمالة ؟

يقول استيتية : العربية أصل اللغات جميعا، وأما الحفّة والسهولة فلا علاقة لهما بالإمالة، وقد قست ترددات الألف ممالّة، وغير ممالّة فتبين لي أن ترددات الألف الممالّة أكثر من ترددات غير الممالّة وزمن نطق الممالّة أكثر من زمن الممالّة<sup>1</sup>، فواضح أن الحفّة والجهد الأقل قد انتفت بهذه النتائج، أما عن ارتباطها بالمعنى أو عدم ارتباطها به فينبغي ألا نطلق الحكم في ذلك يقول، وقد ذكر شاهدا من قراءة أبي عمر بن العلاء لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾<sup>2</sup>، بإمالة (أعمى) الثانية وعدم إمالة الأولى<sup>3</sup>، فلما سئل عن ذلك قال: لأنّ الأولى اسم والثانية وصف (يريد أنه اسم تفضيل)، وإن بني تميم يميلونها في الوصف، ولا يميلونها في الاسم، قيل له: وهل في العمى تفاضل ؟ قال: نعم، وإنما لا تفاضل في عمى البصر، وأما عمى البصيرة ففيه تفاضل<sup>4</sup>.

وهناك من العلماء من يردّها إلى لهجة من اللهجات العربية، ومنهم من يعدّها من التغيرات الصوتية التي تقتضيها الحفّة والسهولة، ومنهم من يرى أن لا علاقة للدلالة بها، ومنهم من اكتفى

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص 118

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية 72

<sup>3</sup> اتفق على إمالتها أبو بكر في الموضعين معا من جميع طرقه، ووافق على إمالة الأولى أبو عمرو بن العلاء ويعقوب، وانفرد مهرا بفتحها عن روح، حيث نلحظ الاختلاف بين الروایتين، ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 2/43.

<sup>4</sup> سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص 118

باستقراء المواطن التي تجوز فيها<sup>1</sup>، فسيبويه وهو يتحدث عن موانع الإمالة" فالحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة الصاد والضاد والطاء والظاء والغين والقاف والحاء إذا كانت قبل الألف والألف تليه كقولنا : قاعد، وغائب، وخامد، وصاعد، طائف، ضامن، ظالم، والعلّة في ذلك يقول: لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى والألف إذا خرجت عن موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى، فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها في (ساجد) ونحوها، فلما استعلت الحروف وكانت الألف تستعلي وقربت من الألف كان العمل من وجه واحد أحفّ عليهم يقتضي رفع اللسان من موضع واحد<sup>2</sup>.

إنّ الإمالة لا تخلو من سرّ يقول ابن جنيّ، وأما الإدغام الأصغر فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام يكون هناك، وهو ضروب، فمن ذلك الإمالة، وإنما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت، ويعطى أمثلة لذلك ك عالم، وكتاب وسعى وقضى واستقضى، ذلك أننا نحونا بالفتحة نحو الكسرة فأملنا الألف نحو الياء<sup>3</sup>.

لقد استعمل ابن جنيّ مادتي (نحا) و(قرب) وهو بذلك يسلك نهج شيخه أبي علي الفارسي، حيث جمع بين مذهبي القراء الذين يستعملون (قرب) ومذهب النحاة الذين يستعملون (نحا)، وإن كان القراء كما أشرنا سابقا وظفوا لفظة (نحا)، ولكن بشروط.

<sup>1</sup> سمير شريف استتبية، القراءات القرآنية، ص 118 .

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، ج 4/244

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 2/93

ويلخص في الأخير مجرى التقريب فيقول : وجميع ما هذه حالة مما قرب فيه الصوت من الصوت جار مجرى الإدغام بما ذكرنا من التقريب، ويذكر علّة التسمية التي هي الإدغام من قبل أن هذا إيذان بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد المبغى في كلتا الجهتين<sup>1</sup>، وهذا التقريب له مراتب ودرجات .

درجات الفتح والإمالة عند ابن جنّي : يقول ابن جنّي : الإمالة إنما هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف إلى التي بعدها نحو الياء لضرب من تجانس الصوت، فكما أن الحركة ليست فتحة محضة، فكذلك الألف التي بعدها ليست ألفا محضة، وهذا القياس هو<sup>2</sup>، ويلحق ابن جنّي الألف للفتحة المشوبة، وقد طرحنا هذا التساؤل سابقا باعتباره جزئية من إشكالية المبحث ما أصل أو حقيقة الصوت الممال؟ أ هو الألف التي تليها كسرة أم الفتحة التي سبقت الألف ؟ ونفترض مسبقا، ومن خلال علّة التسمية التي ذكرها ابن جنّي أن التقريب شامل للموضعين، وأنه المراد المبغى في كلتا الجهتين .

المذهب المؤلف عند ابن جنّي إن وجد هو الأخذ بالمعلل، ووجب مع ذلك أن يتأول المرسل<sup>3</sup>، وعلى هذا يكون الفتح هو الوجه المرسل، والإمالة هي الوجه المعلل .

<sup>1</sup> ينظر ابن جنّي، الخصائص، ج2/95

<sup>2</sup> ينظر: ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج1/67.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق، ج1/178

إنّ الحديث عن الإمالة يقابله الحديث عن الفتح، وهذا الأخير هو عبارة عن فتح القارئ لفيه بلفظ الحرف، وهو فيما بعد ألف أظهر، ويقال له أيضا التفخيم، وربما قيل له النصب<sup>1</sup>، وهو كالإمالة أيضا قسمان :

**فتح شديد:** وهو المبالغ فيه، أي هو نهاية فتح الشخص فمه بذلك الحرف، ولا يجوز في القرآن الكريم، وهو في لفظ عجم الفرس، ويسمى أيضا التفخيم المحض<sup>2</sup>.

**فتح متوسط:** وهو بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة، ويقال له أيضا الترقيق والتفخيم، بمعنى أنه ضد الإمالة<sup>3</sup>، ولو أن الألف لا يوصف لا بتفخيم ولا بترقيق، بل بحسب ما يتقدمها، وفي هذا إجابة عن التساؤل الذي طرحه شلي، وهو يعلق عن قول ابن يعيش بوصفه الألف بالتفخيم<sup>4</sup>، وور بما القصد من وراء ذلك التحذير من تفخيمه كتفخيم العجم .

**كميات الإمالة:** بين التفخيم والترقيق توسط وانتصاب واعتدال، ومن تكوينات الاعتدال كمية الإمالة<sup>5</sup>، وهي الميل عن كل شيء وإليه<sup>6</sup>، وتمثل لهذه الكميات بالمنخطط التالي<sup>7</sup>:

<sup>1</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/29-30

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج30/2

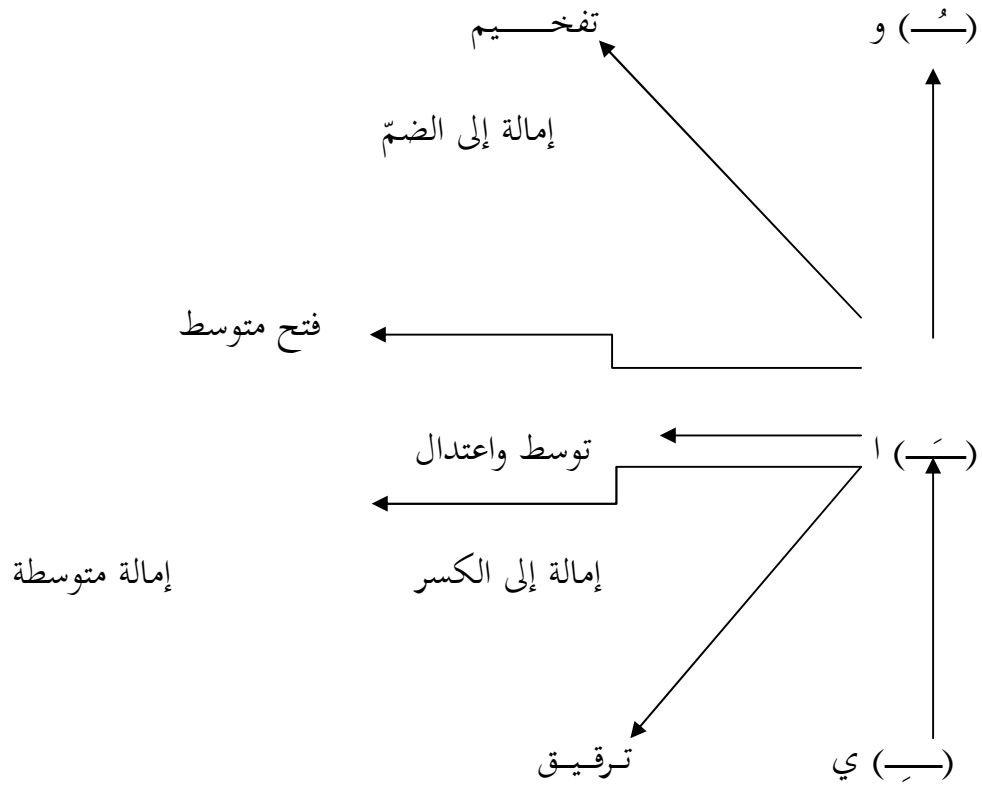
<sup>3</sup> ينظر: : المرجع نفسه، ج2/29-30.

<sup>4</sup> طالع:الصفحة 03 من هذا المبحث.

<sup>5</sup> ينظر: سميرة رقّاس، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، ص143.

<sup>6</sup> ينظر: مكّي درار، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص121.

<sup>7</sup> ينظر:المرجع السابق .



### مع مكونات المخطط:

لا تعني الإمالة ردّ الممال كلية إلى الياء أو الفتحة أو إلى الكسرة، بل تعني التقريب، وليس المقرب من الشيء هو هو، ولا مردود بكله إلى جملته .

من المخطط يتبين أن التوسط هو منطلق الكميات الممالة، والتوجه بالألف نحو الواو أو الفتحة نحو الضمّ هو التفخيم الذي دون الاستعلاء، يقول ابن جنّي "ألف التفخيم هي التي دون الاستعلاء، ويقول أيضا: "ألف التفخيم هي التي نجدّها بين الألف وبين الواو نحو قولهم : سلام عليك، وقام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلوة والزكوة والحياة بالواو<sup>1</sup>، ويضيف قائلا : كما كتبوا إحداهما وسواهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ج 64/1

<sup>2</sup> المرجع نفسه .

وأما ألف الإمالة فهي التي تجدها بين الألف نحو قولك في: عَالِمٍ وَخَاتِمٍ عَالِمٍ وَخَاتِمٍ<sup>1</sup>، فانطلاقاً من التوسط هناك إمالة إلى الضمّ، وأخرى إلى الكسر، أي أن التفخيم والإمالة غير مستقرين والأصل من مواصفاته الاستقرار، ودون التوسط إمالة للكسر، ودونها الترقيق، وهو عكس التفخيم .

### الحركات ودرجات الإمالة :

تحدث ابن جنيّ في كتابه "سرّ صناعة الإعراب" عن الحركات وأشار إلى أن هناك حركات محضة أصلية وهي الفتحة والكسرة والضمّة وإشباعها يُحدث الألف والواو والياء<sup>2</sup>، كما أنّ هناك حركات فرعية أو غير محصنة كما يسميها وهي<sup>3</sup> :

1- الفتحة المشوبة بشيء من الكسرة في نحو: عام، عابد، خاتم.

2- الفتحة المشوبة بشيء من الضمة في نحو: الصلاة، الزكاة، دعا، غزا، قام، صاغ.

3- الكسرة المشوبة بشيء من الضمة في نحو: قيل، بيع، غيظ، سيق.

4- الضمة المشوبة بشيء من الكسرة نحو مذعور، ابن بور.

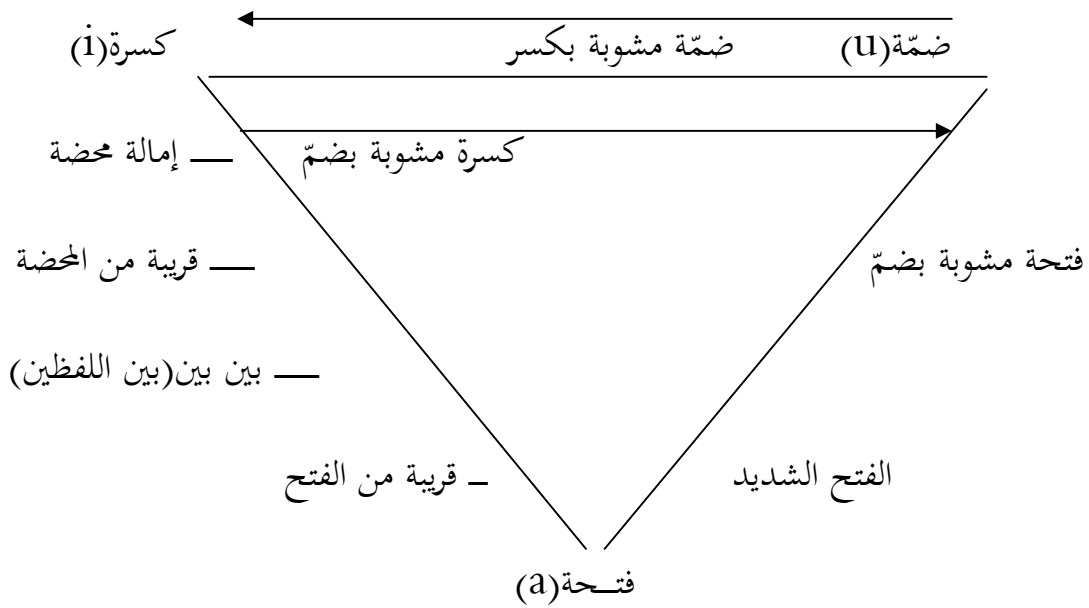
يتبيّن من هذه التقسيمات أن الفتحة ينحى بها نحو الكسرة والضمّة، والكسرة ينحى بها إلى الضمة، والضمّة ينحى بها نحو الكسرة، لكن لماذا غير جائز في واحدة من الكسرة أو الضمة أن ينحى بهما نحو الفتحة ؟

<sup>1</sup> ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 64/1 .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 67/1.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 67 /1 .70.

تجمع لدينا من الحركات المحصنة والحركات الفروع ما يمكننا تلخيصه في الشكل الآتي<sup>1</sup>:



من المخطط ط :

يتوافق هذا المخطط كثيرا مع المخطط السابق، فقط تجدر الإشارة إلى أن المتحقق من الأداءات وارد في المحور الثاني الخاص بالإمالة، أي ما بين الفتح والكسرة، لأنه يحمل أربعة مراحل متدرّجة للإمالة انطلاقا من الفتح، وهذه المراحل تحتاج إلى نقل موثوق، أو تدريب شفوي عن شيوخ متمرّسين .

أكثر من مجرد توصيف وتجريد للأداء "لأن التحقيق ما عليه الجمهور لعدم تحقق ما هو أقرب إلى الفتح، وما هو أقرب للإمالة الكبرى"<sup>2</sup>، ولأن العلماء مختلفون في هذه الوجوه أيها أوجه وأولى<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> نقلنا الشكل عن عبد الفتاح إسماعيل شلبي من كتابه "الإمالة في القراءات واللهجات العربية"، ص44 إلا أننا تصرّفنا في الشكل وفق معطيات الدرس الصوتي الحديث، فهو رسم مثلث متساوي الساقين، أي أن الفتحة وسط بين الضمة والكسرة، لكن الفتحة أقرب إلى الكسرة انطلاقا من العلاقة التجاورية للصوائت العربية، وفي هذا الشأن ينظر: بسناسي سعاد ومكي درار، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، ص45.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص43

<sup>3</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج30/2

وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، لأن منهم النحاة، ومنهم القراء، فالنحاة إنما يتناولونها من حيث حقيقتها وفائدتها وحكمها ومحلها وأصلها ومنشأها من القبائل، أما القراء فمذاهبهم المختلفة من أجل الوقوف على حقيقة الأداء ودرجات الإمالة.

**تعليل مسوغات الإمالة عند ابن جني:** مع كل مسوغ من مسوغات الإمالة لا تجد ابن جني إلا وقد نحا نحو سيبويه قبله، فهذا هو يقول: وهذا مذهب سيبويه وهو الصواب<sup>1</sup>، رغم أنه لم يخصص باباً للإمالة كما فعل سيبويه من قبله، وأسباب الإمالة نجملها في الآتي:

**الفتحة المشوبة بالكسرة:** والتي هي قبل الإمالة نحو فتحة عين "عابد"، فالإمالة هاهنا في ضوء الدرس الصوتي الحديث إمالة رجعية لتأثر الألف بما بعده، فلا علة وهذه الحال سوى مجاورة الألف للكسرة<sup>2</sup>، ويبدو لي أن هذه الحال هي واصل الإمالة ومنشأ المسألة، حيث من هنا بدأت لأن سيبويه وهو يتحدث عن موانع الإمالة مع الحروف المستعلية يقول: "والألف إذا خرجت عن موضعها استعلت إلى الحنك الأعلى فلما كانت مع هذه الحروف المستعلية غلبت عليها كما غلبت الكسرة عليها<sup>3</sup>، وعليه فالعلة هنا هو أن الكسرة قويت على الألف ذلك أن الألف لا توصف بتفخيم ولا بترقيق بل بحسب ما قبلها، وهو مذهب المحقق ابن الجزري<sup>4</sup>، ضف إلى ذلك أن من أكثر أسباب الإمالة، وهي عشرة، شيان: أحدهما الكسرة، والثاني الياء<sup>5</sup>، وينتج عن هذه الإمالة فتحة غير محضة وألف غير محضة، وتتبع الألف الفتحة والفتحة مشوبة فكذلك الألف<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/68

<sup>2</sup> ينظر: عادل نذير بيزي الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص220

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/244

<sup>4</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/215

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/32

<sup>6</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/67

وقد يكون بين الكسرة والألف حرف متحرك وذلك نحو: "عماد" وعلة انتحاء الألف إلى الياء متأتية من كون المتحرك (م مَ) حاجز غير منيع بين الكسرة والألف لأنه إنما يرفع اللسان عن الحرف المتحرك رفعة واحدة كما رفعه عن الأول فلم يتفاوت لهذا...، وذلك قولهم: سربال وشمال<sup>1</sup>، أي أن الساكن ورغم وجود المتحرك لم يمنع تأثير الكسرة في الألف، مما يوحي بقوتها، حيث تخطت صوتين فمارس اللسان العمل من وجه واحد.

ومن أوجه الفتحة المشوبة بالكسرة أيضا قولهم: "في" من عمرو "من عمرو" رأيت خبط رياح، وقرأ بعضهم ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾<sup>2</sup> بكسر الفاء (فإنهم)، وقرأ أيضا قوله تعالى: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾<sup>3</sup> بكسر الواو (وإننا)، و(رأي) بكسر الراء (رأي)<sup>4</sup>.

إنّ النحاة كانوا يصدرون أحكاما على الألفاظ الممالة بالجودة والحسن والجواز والقبح، وهذه الظاهرة تجلّت أكثر عند المبرد في كتابة "المقتضب"، وإن حدث أن لوحظ وأنّ قارئاً ينهج هذا النهج فإنما هذا بابة قليل ونادر، ذاك أنّ القراء عمدتهم في هذا أئمتهم، وبذلك فهي تمثل أكثر مذاهب كلام العرب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/235

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية 33

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية 156

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/67 "أرى" منه ما يكون بعده متحرك، ومنه ما يأتي بعده ساكن، واختلف القراء فيه بين الفتح

والإمالة، طالع: ابن الجزري النشر القراءات العشر ج2/44 وما بعدها

<sup>5</sup> ينظر: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص403، 404 وقد ورد هذا في باب "هاء السكت" نحو كتابيه، حسابيه، ماليه، ويتسّته، وقد ذكر المحقق ابن الجزري قول الهذلي "الإمالة فيها بشعة، وقد أجازها الخاقاني وثعلب، للمزيد طالع: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/88 - 89.

2- الفتحة الممالة نحو الضمّة : وهي التي تكون قبل ألف التفخيم، وذلك نحو: الصلاة والزكاة، ودعا، وغزا، وقام، وصاغ، حيث الفتحة ها هنا ليست محضة، بل مشوبة بشيء من الضمة فكذلك الألف بعدها ليست محضة لأنها يقول ابن جنيّ تابعة لها فجرى عليها حكمها<sup>1</sup>، فمحتوى النص إذا حول الأسماء والأفعال.

1- في الأسماء: ضمّن المحقق ابن الجزري مؤلفه بابا اسماء " التنبيهات " ذكر أنّه لا يجوز الإمالة في نحو الصلاة والزكاة وبابه مما يلي ألف كما تقدم، لأن هذه الألف لو أمليت لزم إمالة ما قبلها، ولم يكن الاقتصار على إمالة الألف مع الهاء دون إمالة ما قبل الألف<sup>2</sup>، والباب الذي يقابل هذا الباب هو الباب الذي اقتصر فيه على إمالة الهاء والحرف الذي قبلها فقط، فلهذا أمليت الألف وذلك نحو التوراة ومزجاء، والذي يهمنّا هو أن الألف تمال من أجل أنّ أصلها الياء، وكانت ألف التأنيث تمال لشبهها بالألف المنقلبة عن الياء<sup>3</sup>، إنّما الاختلاف واقع من جهة هاء التأنيث، هل هي ممالة مع ما قبلها؟، أو أن الممال هو ما قبلها وأنها نفسها ليست ممالة، فمثلا الهاء في (توجّه ) لا يجوز إمالتها وإن كانت الإمالة تقع في الألف الأصلية لأن الألف تمال من حيث أن أصلها ياء، والهاء لا أصل لها في هذا، فلذلك لا تقع الإمالة في هاء الضمير نحو: سيره، أقبره، أنشره، حتى يقع الفرق بين هاء التأنيث وغيرها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جنيّ، سر صناعة الإعراب، ج 67/1 .

<sup>2</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 89، 88/2.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 88/2.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

لقد عقد النحاة كسيبويه وأبو علي الفارسي مشابحة بين ألف التأنيث خاصة الألف المنقلبة

عن الياء ووجه الشبه بين هذه الهاء وألف التأنيث من خمس نواح<sup>1</sup>:

- قرب المخرج من الألف.

- أنهما زائدتان.

- الدلالة على التأنيث .

- أنهما يسكنان في الوقف.

- ما قبلهما لا يكون إلا مفتوحا .

فرغم أن الهاء لا يجري فيها الصوت كما يجري في الألف وأختيها، إلا أنها توافقها في الخفاء والضعف، واتفاق المخرج، إذا فلا نكران أن تقرب إحداها من الأخرى كما قربت الباء من الميم في نحو: " اصحب مطرا " <sup>2</sup>.

يستقرّ مما سبق أن السبب في إمالة "مزجاة وتوراة وبابه" هو إمالة الهاء وما قبلها لأنها منقلبة عن الياء لا من أجل أنها للتأنيث، لأن هذه الهاء في حال الوصل تنقلب الهاء المشبهة بالألف تاء<sup>3</sup>.

**2- في الأفعال:** الإمالة في الفعل لا تنكسر إذا قلت: غزا، وصدقا، ودعا، لأنّ الفعل لا يثبت على هذه الحال للمعنى، أي أنّك تقول " غزا"، ثم تقول " غزّري " فتدخله الياء وتغلب عليه وعدة الحروف على حالها ...، ولا يكون ذلك في الأسماء<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/60 وما بعدها، وينظر أيضا ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/213. 214.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/79.

<sup>3</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/79.

<sup>4</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/237.

هذا النصّ يبيّن علّة إمالة الأفعال الثلاثية من بنات الواو التي أصل الألف فيها في موقع اللام قياسا إلى الأسماء، حيث أن هذه العلّة متأتية من كون سعة تصرّف الفعل طلبا لمعان مختلفة مقارنة مع الأسماء إذ نرى التصاريف تكشف لنا دخول الياء على الألف وغلبتها عليه مع ثبات عدد الحروف في تلك الأفعال ف: غزو ← غُزِيَ ← دخول الياء في محل الألف الواوية وبقاء الفعل بعدّة حروفه كما هي، في حين أنّ الأسماء على غير هذه الحال فمثلا: في (قفا، عصا) يقول سيبويه: تترك الإمالة فيما كان على ثلاثة أحرف من بنات الواو، وذلك أنهم أرادوا أن يبيّنوا أنها مكان الواو ويفصلوا بينها وبين بنات الياء<sup>1</sup>، فالعلّة المانعة للإمالة هاهنا هي من أجل التفريق بين بنات الواو وبنات الياء، ولو أنّه بحسب زعم سيبويه قدر قليل يحفظ<sup>2</sup>، أما إذا تجاوزت الأربعة وخرجت من بنات الواو إلى بنات الياء، فالإمالة مستتبة وذلك نحو: "معزى وحبل"<sup>3</sup>، فالفعل (فعلت) "حبلت" و"معزيت" فلم يجيء واحد من الحروف إلا من بنات الياء، فلحق هذا باب "رمى" من الأفعال مما تحسن إمالته .

1 - الألف الواوية أو اليائية في موضع اللام : يقول ابن جنّي: ولم أعلم أنّ أحدا من أصحابنا خاض في هذا الفنّ وأشبعه هذا الإشباع، وغير خفي أيضا أن سيبويه نهج هذا النهج بدليل أن ابن جنّي كان يحتكم بما ينسبه إليه ويحكم عليه بالصواب.

أشرنا من ذي قبل أنّ سيبويه زواج بين الفعل والاسم في باب الإمالة، خاصة فيما كانت ألفه منقلبة عن ياء في الأسماء والأفعال، وذلك نحو: "سعى" و"نوى" من الأفعال، و"رحى" و"حمى"

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/237 .

<sup>2</sup> المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

من الأسماء، فالألف في هذا الموضع قد تكون منقلبة عن ياء فتعود إلى أصلها في تصاريف الفعل وتثنية الاسم وجمعه، والقاعدة الصوتية تضمن أن تنقلب الياء المتحركة ألفا إذا سُبقت بفتحة<sup>1</sup>، والكتابة الصوتية لـ "سعى" تجلي بوضوح ما طرأ عليها من إسقاط واتحاد :

س َ / ع َ / اى َ / ← س َ / ع َ / (سعى)

حيث يظهر سقوط الياء (نصف الصائت) في الكلمة ثم اتحاد الحركتين ( المصوتتين ) القصيرتين ( الفتحة التي قبل الياء والفتحة التي عليها فتكوّن مصوتا طويلا هو الألف عوضا عن الياء<sup>2</sup>.

وأيا كانت هذه الأسباب الموصلة إلى أصل الألف اليائي في موضع اللام سواء من الأفعال أو الأسماء، فإنّ العلة نابعة من كون الألف خاصة إذا وقعت بين حرفين كان لها صدى<sup>3</sup>، فامتلكت قوة استبدالية فنحو بها بين الألف والياء بالإضافة إلى حضور كل واحد منهما مكان الآخر في سياقات بنيوية وصوتية مختلفة، وذلك أن أصل المد وأقواه وأعلاه وأنعمه وأنداه إنما هو للألف، والياء والواو في ذلك محمولان عليه<sup>4</sup>، وعليه فعلة الإمالة في نحو(سعى ورحى) هي إمالة ذاتية بحسب تلك العلاقات<sup>5</sup>، كون إعلال الحرفين إلى الألف لا يخرجهما كل الإخراج عن أصلهما لأن الألف حرف ينصرف إليه عن الياء والواو جميعا، فليس للألف خصوص بأحد حرفي العلة، فإذا قلب واحد منهما

<sup>1</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/383.

<sup>2</sup> ينظر: عادل ندير بيزى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص 221

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/91.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>5</sup> ينظر: عادل ندير بيزى الحساني، التقليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص222.

إليه فكأنه مقرر على بابه من قبيل أن الألف لا تكون أصلا في الاسم ولا في الفعل وإنما هي مؤذنة بما هي يدل منه وكأنها هي هو<sup>1</sup>، أي أننا نعتدّ بخروج الواو إلى الياء لأنها خرجت إلى صورة تكون الأصول عليها، والألف لا تكون أصلا فيهما.

أما بنات الواو فيقول: ابن جنّي : ليس في كلام العرب اسم في آخره واو قبلها ضمة إنما ذلك في الفعل نحو "يغزو" و"يدعو"، فمتى وقع في الاسم من ذلك شيء أبدلت الضمة كسرة والواو ياء، وذلك في نحو جمع "ذَلُو" "أذَل" وفي جمع "حَقُو" "أَحَق" على النحو التالي :

أذَل — أذُو أبدلنا الضمة كسرة ثم الواو ياء وذلك للتخفيف — أذُو — أذَلِي —  
فاستثقلت الضمة على الياء فحذفت — أذَلِي + (التنوين) — فالتقى ساكنان فحذفنا الياء  
منعا من التقاء الساكنين — أذَل، والحال نفسها مع أَحَق<sup>3</sup>، ولتتمكن الياء من الواو في مثل (عصا)  
مفرد (عَصِي) وأصلها (عَصُوؤ) — قلبت الواو المتطرفة ياء ثم قلبت الواو الأولى ياء لمناسبة  
الكسرة — عَصُوِي — عَصِي — عَصِي بالإدغام، والإمالة هاهنا أيضا ذاتية نابعة من  
العلاقات التبادلية بين الألف وأختيها .

2- الألف اليائية أو الواوية في موضع العين: أشهر أنواع الإمالة إمالة الفتح إلى الكسر، وهذا النوع هو المراد حين تطلق عبارة الإمالة في كتب القراءات واللغة، لهذا كان من أسباب إمالة ألف المد كون أصلها ياء<sup>4</sup>، وفي هذا الصدد يقول سيبويه: وما يميلون ألفه كل شيء كان من

<sup>1</sup> ينظر: ابن جنّي، الخصائص، ج1/321.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جنّي، التصريف الملوكي، تح ديزة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنات ط1/1419هـ-1998م، ص62-63

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص63.

<sup>4</sup> ينظر: عبد الفتاح إسماعيل شلي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص96

## الفصل الثالث..... التحليل الصوتي للإمالة والإعلال

بنات الياء والواو مما هما فيه عينا شرط أن يكون أول (فعلت) مكسورا نحووا نحو الكسرة كما نحووا نحو الياء فيما كانت ألفه في موضع الياء<sup>1</sup>، فالألف ذات الأصل اليائي أو الواوي مما هما فيه عينا إذا كان أول "فعلت" مكسورا يجوز إمالته نحو الكسرة المرافقة لأصل الكسرة، لأن ما كان من بنات الواو والياء وكان مضموم الأول من (فعلت) لا كسرة فيه فينحى نحوها، والأمثلة التي ترد في هذا الباب أفعال عشرة نستوضحها من خلال الجدول التالي :

الرقم	الأفعال	أصل الفعل بعد تصريفه (فعلت)	علة الإمالة
01	جاء	جِئْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
02	شاء	شِئْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
03	زاد	زِدْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
04	ران	رِنْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
05	خاف	خِفْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
06	طاب	طِبت	انكسار الحرف عند الإخبار
07	حاق	حِقْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
08	ضاق	ضِقت	انكسار الحرف عند الإخبار
09	زاغ	زَغْتُ	انكسار الحرف عند الإخبار
10	خاب	خِبت	انكسار الحرف عند الإخبار

<sup>1</sup> ينظر: سيويه، الكتاب، ج4/238.

مع مكونات الجدول :

اختلف القراء في إمالة هذه الأفعال فقد تفرد حمزة بإمالتها والأصهباني ذكر ثمانية منها فقط، فأسقط (ران وخاف)، وذكر أنّ ألف (زاغ) تمال في رواية خلاد<sup>1</sup>، وما يهمنا أن علة الإمالة في مثل هذه الأفعال هي الكسرة المرافقة للألف ذات الأصل الواوي أو اليائي، وما كانت الكسرة فيه ألزم كان أقوى في الإمالة<sup>2</sup>، ويزيد الكسرة قوة في موضع الفاء إذا كان العين ياء للإتباع، فقد جاء في الجموع ما لزمته الكسرة في الفاء، وذلك نحو قولهم في جمع قوس: "قسي" حيث لولا أن الكسر في هذا الباب قد تمكن ما كان الحرف ليحيء على الكسرة خاصة، فمثلاً: لو نسبا قسي إلى اسم رجل قلنا: قُسي، فرددنا الضمة التي هي أصل<sup>3</sup>.

وكما التفخيم والاستعلاء درجات، فكذلك ترتيب علل الإمالة في هذه الأفعال من حيث الدرجة والقوة يفضل بعضها بعضاً، فأقواها في الإمالة "جاء" و"شاء"<sup>4</sup>، وذلك للأسباب التالية:

- الألف التي هي عين الفعل الممالة أصلها الياء، والياء والكسرة أقوى وألزم للإمالة.
- الهمزة التي هي آخر الفعل تشبه الألف لأنها أختها في قرب المخرج .
- أنهما يتقاسمان أدوار التبادل، فصار كأن في آخرها ألف والألف تدخلها الإمالة وتدخل ما قبلها<sup>5</sup>، فتقوى بذلك الإمالة .

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص 154 .

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/242

<sup>3</sup> ينظر: أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/416

<sup>4</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات واللهجات العربية، ص 94

<sup>5</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/241.

- العين في المستقبل منهما مكسورة، فأملت الألف في الماضي لتدل على كسرة المستقبل.

من مجموع هذه العلل تبرز ها هنا مزية للاشتقاق إذ لولاه ما عرفنا أصلا لهذه الصيغ الممالة، فالتصرف في الأصل دعا إليه القياس على حدّ زعم ابن جنيّ خصوصا وأن كتابه "الخصائص" ليس مبنيًا على حديث وجوه الإعراب إنما هو مقام القول على أوائل أصول هذا الكلام، وكيف بُدئ وإلام نُحي<sup>1</sup>، وفيه من التعليل ما يتقاسمه ذو والنظر من المتكلمين والفقهاء والمتفلسفين والنحاة والكتّاب والمتأدّبين.

لقد عقد ابن جنيّ مقارنة بين مذهبي الخليل وأبي الحسن في أصل (فعل) من "جئت"، فالخليل يقول في: "جئت" "جيء" كقوله من: "بعث" "بيع"، فأصل الفاء عنده الضمّ، لكنه كسرهما لثلاثا تنقلب الياء واوا فيلزمه أن يقول: "بوع"، ودليله في ذلك قول العرب في جمع "أبيض" و"بيضاء" "بُيُض"، أما أبو الحسن فيخالف الخليل ويقرّ الضمة في الفاء ويبدل لها العين واوا، فيقول في: "بوع" و"جوء"، فإذا خفتا صاروا إلى "جيء" لأن الخليل يقول: إذا تحركت العين بحركة الهمزة الملقاة عليها قويت، ورددت ضمة الفاء لأمني على العين القلب فأقول: "جيء"<sup>2</sup>.

أما أبو الحسن فيقول: إذا قلت "جوء" فقلبت العين واوا لمكان الضمة قلبها وسكونها، فقويت بالحركة الملقاة عليها، فتحصّنت فحمت نفسها من القلب فأقول: "جي"<sup>3</sup>، فهذان فرعان متفقان الأصل منهما على خلاف .

<sup>1</sup> ينظر: ابن جنيّ، الخصائص، ج1/71-72.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/69.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

3- الكسرة المشوبة بالضمة : وذلك في نحو: قِيلَ وبُئِعَ وغُيِضَ وسُئِقَ، وكما أن

الحركة قبل هذه الياء مشوبة بالضمة، فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو على ما تقدم في الألف<sup>1</sup>.

يقول أبو علي الفارسي في "الحجة" من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾<sup>2</sup>، فأشتم الضمة

الكسرة وأمال بها نحوها أدل على (فُعِل) وجاء من نحوه قولهم: "كيد زيد يفعل"، و"ما زيل يفعل"،

وهم يريدون (فَعَلَ) لأن في تحريك فاء الفعل أمن اللبس بين الفعل المبني للفاعل والفعل المبني

للمفعول، وكان في هذا إبانة للمعنى المراد<sup>3</sup>، ويضاف إلى ذلك حجج أخرى منها:

قياسا إلى المضغف المبني على (فُعِل) كما في "رَدَّ" و"عَدَّ"، فمع أنّ الضمة تلحق فاءه، وهي

ضمة خالصة فقد تركوها، فعلى هذا إلزامها حيث يلزم الكسر فيه أجدر كونها متمكنة في

"قِيلَ" و"بُئِعَ"، وأنها أمارة للفعل المبني للمفعول به.

قالوا في "أنت تغزّين" فألزموا الزاي إشمام الضمة لأن "زين" من "تغزّين" بمنزلة "قيل"، ولأنه من

قال "قيل" و"بُئِعَ" قال أيضا "اختير" و"انقيد" فأشتم ما بعد الخاء والنون كونها بمنزلة "قيل"

و"بُئِعَ"، ويرى أبو علي الفارسي أن هذه الضمة لما لم تكن ضمة خالصة ولا كسرة محضة ضعفت في

الابتداء لخروجها عمّا هي عليه الحركات اللاحقة أوائل الكلم مبتدأ بها، وأنّ هذا الإشمام جاء فيما

ليس بحركة إعراب<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1/67.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 13.

<sup>3</sup> ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/218.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/218-219.

يستمرّ أبوعلّي الفارسي في تقوية قول من قال "قِيل"، وأنّ هذه الضمّة أمانة لبناء الفعل للمفعول به، وأنّ الفعل مخصوص بها، فلو سمّينا بمثل "قِيل" و"بيع" شيئاً ثمّ خلعنا عنه الضمير إن كان فيه أخلصنا الكسرة فقلنا "بيع" و"قِيل"، فبتين أن هذه الحركة أمسّ بالفعل<sup>1</sup>.

أمّا من قال: "قِيل"، فأخلص الكسرة ولم يحرك بضمة مماله نحو الكسرة رغم أنّ هذه اللغة هي الأصل وما عداها داخل عليها<sup>2</sup>، ومسألة الأصل والفرعية بين الإمالة والفتح لا ينهض له دليل، لأنه لا تكون إمالة إلا بسبب، فكذلك لا يكون فتح ولا تفخيم إلا بسبب، ووجود السبب لا يقتضي الفرعية ولا الأصالة<sup>3</sup>.

والحجّة لمن كسر القاف في "قِيل" يدلّ على أن الأصل "فُعِل"، فنقلت حركة العين إلى الفاء كما نقلت حركة العين إلى الفاء إذا بنيت الفعل للفاعل من "قلت"، لأن حركة العين من "فَعَلت" الضمّة في حالة بناء الفعل للفاعل بعد نقل (فَعَلت) إلى (فَعُلّت) نقلت الضمّة إلى الفاء كما نقلت الحركة التي هي الكسرة إلى الفاء إذا بنيت الفعل للمفعول، فلحق الإعلال العين بالقلب كما يلحق الإعلال اللام في "غزا" و"رمى"<sup>4</sup>.

وأصل "قِيل" "قُول"، يقول العكبري، فاستثقلت الكسرة على الواو فحذفت، وكسرت القاف لتتنقل الواو ياء كما فعلوا في "أدّل"، و"أحَقّ"، ومنهم من يقول بنقل كسرة الواو، وهذا قول ضعّفه

<sup>1</sup> ينظر: أبوعلّي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/218.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/32.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع السابق، ج1/220 - 221.

العكبري لأن نقل الحركة إليها لا يكون إلا بعد تقدير السكون فيها، وهذا عمل كثير لأنه محتاج إلى حذف ضمة القاف<sup>1</sup>.

ومبدأ نقل الحركة من صوت إلى آخر وإن جاز نظريا ومنطقيا، فهو غير جائز عمليا ولا لغويا لأنّ الأصوات ليست كقطع لعبة الدومينو أو لعبة الشطرنج يتلاعب بها المتكلم كيف يشاء، ذلك لأنه ينطق كتلا صوتية، أي مقاطعا لا أصواتا مفردة، فلا حرية في التصرف للناطق كما يحلوه، وهذا تلميح يقتضي أن توضع قوانين صوتية وصرفية تحدّد آلية نقل الحركات وإلا اكتفينا في مقام كهذا أن نقول كقول الأوائل: هكذا سُمعت عن العرب، وإن كانت الصورة النطقية من الأحرف السبعة أن نقول كما قال ابن قتيبة: "والحرف يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم وعلى الكلمة الواحدة، ويقع الحرف على الكلمة بأسرها والخطبة كلّها والقصيدة بكاملها"<sup>2</sup>.

إنّ الله جعل لنا بلطفه ورحمته متّسعا في اللغات ومتصرّفا في الحركات كتيسيره علينا في الدين، فله المنّة والفضل والثناء الحسن، ونصير الحديث إلى النوع الرابع من الحركات الفرعية في باب الإمالة.

4 - الضمة المشوبة بالكسرة: وذلك نحو قوله في الإمالة: "مررت بمدعور"، و"هذا ابن بور"، فقد نحوت بضمّة العين والياء نحو كسرة الرّاء فأشمتها شيئا من الكسرة<sup>3</sup>، حيث الحركة قبل هذه الواو ليست ضمة محضة ولا كسرة مرسلّة، فكذلك الواو أيضا بعده فهي مشوبة بروائح الياء<sup>4</sup>، وهذا مذهب ابن جنيّ وسيبويه من قبله، إلا أن أبا الحسن له نظر آخر، وهو امتناعه عن إعلال الواو

<sup>1</sup> ينظر: أبوالبقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ص22 - 23.

<sup>2</sup> ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط3/1981م، ص35.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جنيّ، سرّ صناعة الإعراب، ج1/69.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

في "مذعور"، وتركها واوا محضة ويشم الضمة قبل الواو رائحة الكسرة، وهذا التوجه ضعفه ابن جني، لأنه محتاج إلى أدلة وقياس من كلام العرب، ومشافهة تخلّصه إلى الأداء الصحيح<sup>1</sup>، لأن فيه من الكلفة ما يستدعي الكشف عن خاصة سرّه.

يرى أبو الحسن أن الحركة التي قبل الواو في "مذعور" لا تتمكّن في الإعلال والإشمام تمكن الفتحة في الإشمام في نحو "عالم" و"قائم"، ولا تتمكّن الكسرة في نحو "قيل" و"بيع"، وكان العمل والإشمام في "مذعور"، ونحوه خلّصا خفيا علّة التي صحّت الواو من أجلها واعتلت من أجلها الألف في نحو: "عالم" و"قائم"، والكسرة في نحو "قيل" و"بيع" و"غيض"، فلم تعتل الواو ندها وجعلها واوا خالصة<sup>2</sup>.

إنّ الإمالة في نحو "مذعور" و"ابن بور" هي إمالة الضمات نحو الكسرة لتكون أشدّ مشاكلة لما بعدها وأشبه به وهو كسر الراء<sup>3</sup>، هذه علّة ويضاف إلى ذلك كون الراء حرف مرتعد فكأنما دخلت علّة في علّة فقويت، حيث اللام والصوامت الأنفية تختصر الحركات والراء تطيلها<sup>4</sup>.

والذي ذهب إليه أبو الحسن من تخليص الواو وتصحيحها لنا أن نقرّنه بما دار بين أبي عمر الجرمي ومروان بن سعيد المهلي، وهو شاعر أهل البصرة من أصحاب الخليل توفي (190 هـ)، فقال أبو عثمان سأل مروان أبا عمر فقال<sup>5</sup>:

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1/68.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/69.

<sup>3</sup> ينظر: أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/219.

<sup>4</sup> ينظر: برتيل مالبرج، علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، د ط، د ت، ص 177.

<sup>5</sup> أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/223.

- كيف تخفف همزة "جؤن" ؟ فقال "جون" : أي جعلها واوا خالصة .
- فقال له مروان : لم لا جعلتها بين بين فنحوت بها نحو الألف ؟
- قال فقال : من قبل أن الألف لا تقع بعد الضمة فكذلك ما قرب منها .
- فقال : فكيف تخفف همزة مئر ؟
- فقال مير فجعلها ياء خالصة مثل الأولى في العلة .
- فقال له مروان : فكيف تخفف همزة يستهزئون ؟
- فقال أبو عمر: يستهزؤون فجعلها بين بين، ونحنا بها لانضمامها نحو الواو، قال أبو عثمان: وهو قول سيبويه .
- فقال له مروان : لم لا صيرتها ياء ؟ لأن الواو المضمومة لا تقع بعد كسرة .
- فقال أبو علي: يريد مروان أن الكسرة لا تقع بعدها الواو المضمومة، فكذلك ينبغي ألا يقع بعدها ما قرب من الواو المضمومة بالتخفيف كما أن الضمة والكسرة لما لم تقع بعدهما الألف فكذلك لم يقع بعدهما ما قرب منهما بالتخفيف<sup>1</sup>.
- يبدو أنّ تخليص أبي الحسن الواو واوا صحيحة مقبول نطقا شرط ألا يشم الضمة شيئا من الكسرة لأن هذا غير متمكن في النطق كون الإمالة التي في الواو متعلقها بما قبلها وما بعدها، وفي الوقت نفسه فهما لذلك كما يقول ابن جنيّ كالصوت الواحد<sup>2</sup>، وإلا فالذي ذهب إليه أبو الحسن في " مدعور " يجب أن نتلقاه مشافهة لا كالإشمام الذي هو للعين دون الأذن.

<sup>1</sup> ينظر: أبو علي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/223.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جنيّ، سرّ صناعة الإعراب، ج1/69

نكون حتى هنا قد مررنا بمرحلة هامة من حركية الإمالة في مدارها حول أصل الصوت الممال؟ فلقد تبين من مذهب ابن جني، ومن قبله سيبويه أن الحروف تتبع الحركات قبلها، فكما أن الحركة مشوبة غير مخرجة، فالحرف اللاحق بها أيضا في حكمها<sup>1</sup>، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ الحركات خاصة الكسرة أقوى في هذا الباب ولها من الأثر ما لا يخفى، ولا ضير أن نقف على بعض الأمثلة .

إنّ مذهب ابن جني في التعليل للإمالة يختلف عن سابقه الفارسي وسيبويه من حيث الإجراء فهو في هذا الباب أجمل ولم يفصل على غرار سيبويه، إلا أنه يحيل القارئ إلى مذهب سيبويه بقوله: "وهذا مذهب سيبويه، وهو الصواب"<sup>2</sup>، الأمر الذي يفرض على الباحث تتبع آثار الإمالة عند سيبويه .

مما يلحظ في أبواب الكتاب اختلاط مسموعات صاحبه بمسموعات شيوخه، فلا تراه في باب الإمالة وهو يتعرض لمظاهرها إلا قال: "سمعت أو سمعناهم"، ولم يشاركه أحد من مشايخه أحكام هذا الباب اللهم إلا الخليل في تعليل إمالة ( حتى ) إذا كان اسما لرجل أو امرأة<sup>3</sup> جازت فيها الإمالة.

**الراء والإمالة:** للعرب في كسر الراء ما ليس لهم في غيره من الحروف، لما فيه من التكرير، فقد ذكر سيبويه أمثلة من ذلك قوله: "من جمارك" و"من عواره" و"من المعار" و"من الدوار"

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1/69 .

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/68 .

<sup>3</sup> ينظر: عادل نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص241.

كأنك قلت: فُعَالِل، وفَعَالِل وفِعَالِل<sup>1</sup>، فمساحة الكسر تتسع تبعاً لطبيعة أداء الراء المجرورة في (حمار، عوار، ومعار) مما أدى إلى إمالة الألف، وفي ضوء المعايير التي يضعها سيبويه للإمالة ويجاربه فيها ابن جني يمكننا قول ما يلي :

- إنَّ التأثير التقدّمي للكسرة في الإمالة يطال الألف، ولو كان بينهما حرفان الأول منهما ساكن أو كان بينهما حرف متحرك .

- كلما كان الكسر ألزم كانت الإمالة أقوى<sup>2</sup>، حيث الكسرة الأولى في (حمارك) ألزم من الكسرة الآخرة لأنَّ الأولى أصلية والآخرة متغيرة بحسب الموقع الإعرابي.

إنَّ الذي عقدنا عليه هذه الجزئية، هو أننا انطلقنا من كلمتي "مدعور" "وابن بور"، وقلنا كيف أنّ الكسرة أقوى في باب الإمالة، وإذا كان الأمر كذلك، فعلينا تحليل غلبه الراء في نحو ما جاء من شاكلة (من حمارك) فنقول :

- الكسرة في الراء متغلبة، وهي أقوى في إمالة الألف للعلل التالية:

- الكسرة الثانية، أي التي على الراء تتوفر على مساحة واسعة كون الراء حرف تكريري.

- الملازمة والاتصال المباشر للراء المكسورة مع الألف في حين انفصلت الأولى وابتعدت عن الألف، والفارق بينهما حرف متحرك، فبات من ذلك كلما قربت المسافة زاد التأثير.

<sup>1</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/250.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج4/242.

وإذا اعتبرنا أن الإمالة في الراء المكسورة إمالة ذاتية يمكن أن نتبين قوة تأثير الراء المكسورة في هذا الباب حتى ضد حروف الاستعلاء .

الإمالة بين الراء وأصوات الاستعلاء : يقول ابن جني : والحروف التي تمنع الإمالة سبعة وهي: الصاد والضاد والطاء والظاء، والحاء والغين والقاف، فمن قال في عَابِدِ عَابِدِ لم يقل في صَالِحِ صَالِحِ<sup>1</sup>، والبقية داخلة في حكمها .

لقد استشهد سيويه بسياقات ترد فيها الألف بين الاستعلاء والراء المكسورة ويفرق كل سياق بتعليل يميز أو يمنع الإمالة أو بتغليبها أحيانا أخرى ومن هذه السياقات :

"هذا قارب"، "مررت بقادر" ينصبون الألف، ولم يجعلوها حيث بعدت تقوى كما أنها في لغة الذين قالوا: "مررت بكافر" لم تقو على الإمالة حيث بعدت<sup>2</sup>.

من النصّ يتبين أن الراء المكسورة والقاف على درجة القرب نفسها من الألف، فهما يحاصران الألف على درجة من البعد ثابتة بين الطرفين (قارب)، أما في (قادر)، فالقاف أقرب والراء تنفصل عنها بحرف متحرك، أي عن الألف، وعليه فعلة غلبة الراء على القاف في (قارب) متأتية من كون الراء صوت مضاعف امتلك مساحة واسعة من الكسرة، وبهذا ترجع كفة الراء في قدرتها على إمالة الألف التي كانت من المفترض أن تتبع القاف بتأثير الاستعلاء .

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1/221.

<sup>2</sup> ينظر: سيويه، الكتاب، ج4/252.

أما في "كافر" لما بعدت (يعني الراء) وصار بينها وبين الألف متحرك لم تقو قوة المستعلية وعلّة قلة إمالتها متأية من كونها في موقع اللام وقريبة من الياء، لأن الألتغ يجعلها ياء فعملت الكسرة عملها إذا لم يكن بعدها راء<sup>1</sup>.

وبالتالي يمكننا القول: إنّه متى كانت الألف مكتنفة بصوت استعلاء سابق وصوت راء مكسور لاحق فالإمالة جائزة بحكم مساحة الكسرة الأدائية .

**من قرارك** : قالوا "من قرارك" فغلبت كما غلبت القاف وأخواتها فلا تكون أقوى من القاف...، فإنما شبّهت الراء بالقاف، وليس في الراء استعلاء، فجعلت مفتوحة تفتح نحو المستعلية، فلما قويت على القاف كانت على الراء أقوى<sup>2</sup>.

شرح السيرا في هذا النص في هامش الكتاب، وبين مقصود سيبويه من ذلك بقوله : يريد أن فتحة الراء في "قرارك" إذا كان بعد الألف راء مكسورة لم تمنع الإمالة، وغلبت الكسرة لفتح الراء التي قبل الألف حتى أميل، كما غلبت الراء المكسورة ما قبلها في الإمالة وهو حرف الاستعلاء الذي قبل الألف، ولم تكن الراء المفتوحة التي قبل الألف بأقوى من حرف الاستعلاء لمنع الإمالة<sup>3</sup>.

يبدو أن الراء اكتسبت قوة التأثير وهي مكسورة بحكم قرب المخرج الحاصل بين الراء والكسرة بالإضافة إلى بعض المميزات كأمامية الموقع والحجرة الرنينية الخلفية لكلّ منهما، والأمثلة على ذلك واردة عند ابن جنيّ وسيبويه في باب الراء متنوعة بحسب السياقات منها (حمار قاسم، جارم قاسم)،

<sup>1</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/251

<sup>2</sup> المرجع نفسه وما بعدها.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

حيث الإمالة في (جاءم قاسم) أقوى منها في (حمام قاسم) لعلّة هي أن الراء في (جاءم) مكسورة لزوماً، وما كان للكسر ألزم كان في الإمالة أقوى، والكسرة في (حمام قاسم) عارضة متغيرة بحسب الإعراب<sup>1</sup>.

وعليه يمكن القول: إنّه متى تساوت المسافة الصوتية بين الاستعلاء والألف من جهة، وبين الراء المكسورة والألف من جهة أخرى، فالغلبة للراء على الاستعلاء في إمالة الألف.

### فصل في فائدة الإمالة: إذا كانت الإمالة ظاهرة لهجية فما الفائدة في الإمالة يا ترى؟

يلاحظ أن الكثير ممن كتبوا عن الإمالة يعزّون فائدتها إلى ما فيها من تناسب الصوت، فهذا هو عبد الفتاح شلي يقول: فبالتأمل نرى أنّ الإمالة راجعة إلى التجانس الصوتي وما فيها من خفة ومشاكلة<sup>2</sup>، فأمر المشاكلة مستساغ لأنّ الإمالة تحدث نوعاً من الإشراب بين الحركات كما يحدث بين الصوامت، أودعنا نقول: كأنما حركة أدخلت في حركة، أما الخفّة فيبدو أن لا علاقة للإمالة بمسألة الخفّة أكثر من أنها طبع نطقي تعودته ألسنة بعض العرب ذاك أن الخفّة تخيل إلى السرعة أحياناً، والسرعة تخيل إلى الخفية والاحتلاس، في حين أنّ الإمالة فيها نوع من المد واللين، وأكثر من ذلك أريد أن أقارب بين علم الأصوات وعلم الموسيقى لأنّ الإمالة تحدث هذه المزاجية، فهذا هو ابن الجزري مثلاً ينقل في باب الإمالة عن الداني من حديث حذيفة بن اليمان أنّه سمع رسول الله صلى

<sup>1</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/251.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح إسماعيل شلي، الإمالة في القراءات واللهجات العربية، ص339

الله عليه وسلم يقول : " اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين "

قال: فالإمالة لاشكّ من الأحرف السبعة ومن لحون العرب وأصواتها<sup>1</sup>، حيث يتبين أن الإمالة أكثر من أنها تناسب صوتي هي لحن من لحون العرب، وصوت موسيقي به تتمّ بعض كمالات التجويد القرآني على أننا لم نلمس في هذا الباب توصيفا لبعض لحون أهل الفسق حتى يتحرز الجود من تلقينها أو تلقينها.

إنّ ارتباط الإمالة باللحون له أثره عند ابن جنيّ، فهاهو يقول: " ولكن هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم<sup>2</sup>، وعدا هذه الإشارة لم نجد لابن جنيّ أثرا لهذا التعلق والمشاركة بين هذين العلمين خصوصا وهو يبسط مادته التعليلية على أغلب أبوابه، فرمما كان قصد ذلك ضمنا حين يطلق عبارة " لطف الصنعة ".

فمما سبق لدينا: **لحون، صنعة، نغم**، فما عقد الشراكة الصوتية الذي تخيل إليه هذه الثلاثية بين علم الأصوات وعلم الموسيقى؟

1- **الصوت بين علم الموسيقى وعلم الأصوات**: الصوت هو جوهر علم الموسيقى وعلم الأصوات إذا فهو الموضوع المشترك بينهما، وهذا الالتقاء نابع من كونهما ينتميان إلى العلم

<sup>1</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/30

<sup>2</sup> ابن جنيّ، سرّ صناعة الإعراب، ج1/22.

الطبيعي الذي يبحث في جوهر الأصوات، ويقسم ابن سينا صناعة الموسيقى إلى جزأين أحدهما يسمى التأليف وموضوعه النغمة وينظر في حال اتفاقهما وتنافرهما، والثاني الإيقاع وموضوعه الأزمنة المتخللة بين النغم والنقرات المتنقل بعضها إلى بعض، وينظر في حال وزنها وخروجها عن الوزن، والغاية منهما صفة اللحن<sup>1</sup>، إذن فعلم الموسيقى مادته الأنغام، والأنغام أصوات موسيقية مؤلفة فيما بينها بحكم قوانين مضبوطة، ويضيف الفارابي أن دلالة الموسيقى معناه الألحان والألحان واسم اللحن قد يقع على جماعة نغم مختلفة رتبت ترتيبا محدودا وقرنت بها الحروف التي ترتب منها الألفاظ الدالة المنظومة على مجرى العادة في الدلالة بها على المعاني<sup>2</sup>، فبات أن الموسيقى هي مجموعة ألحان والألحان مجموعة أنغام تقرر بألفاظ دالة، وأكثر ما يقترن علم الموسيقى بالغناء فهو من الأمور الطبيعية فيه.

إذا كانت الموسيقى هي البحث في الصوت نغمة ولحنا وإيقاعا، فإن الغناء لا يتم إلا بالصوت اللغوي<sup>3</sup>، والغناء ليس في متناول الجميع لأنه يجب أن يختار لتعليم هذه الصناعة أكمل الناس فيها، وقل ما يوجد من يكون مضطلعا بها مطبوعا فيها بين الصوت وحسنه، يخرج النغم من حلقه غير ناقصة ولا منقطعة ولا مستبشعة<sup>4</sup>، وهي شروط يجب أن تتوفر في قارئ القرآن، فجهازه الصوتي يجب أن يكون سالما مما يتعلق بفساد اللسان، وبغيره مثل التمتمة والصفير والكدارة، ويجب أن يعنى بإظهار الحروف عامة، وبحروف الصفير خاصة، فإنها إذا ظهرت وخرجت صافية زادت في بهاء

<sup>1</sup> ينظر: ابن سينا، رسالة في الموسيقى، ص 403.

<sup>2</sup> ينظر: أبونصر محمد الفارابي، الموسيقى الكبير، تح: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص 47.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الحميد زاهيد، علم الأصوات وعلم الموسيقى، دراسة صوتية مقارنة، تقدم: مبارك حنون، دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط 2010/1م، ص 19.

<sup>4</sup> الحسن بن احمد بن علي الكاتب، كمال أدب الغناء، تح: غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط 1984، ص 117

الصوت وحسنة جدا...، وكذلك حروف الغنة، وقد يمكن أن يتحرز من هذه الأشياء ومن كثير منها لاسيما في حروف التي يعثر فيها اللسان...، فأما من يبدل الحروف فيجعل اللام نونا والحاء خاء والسين شينا فلا يجب أن يتعرض للغناء<sup>1</sup>، وهي شروط مطلوبة في فصاحة الكلام والمتكلم وقد أشار إليها الكثير من أمثال الجاحظ .

فإذا كانت بعض هذه الألوان من الغناء عند العرب هي المقصود باللحن الفاسدة فلا بأس بذكرها وهي على ثلاثة أوجه : النصب والهزيع والسناد، حيث النصب غناء الركبان ويقال له المراثي، ويغنيه الفتيان، أما السناد فالثقيل ذو الترجيع والنغم والنبر، أما الهزيع فهو الخفيف الذي يمشى عليه ويلهي ويستخفّ الحلوم<sup>2</sup>، على أن الحداء والنوح والتغبير هي أوزان موسيقية غنائية<sup>3</sup> .

وإذا كان الصوت من بين المحسوسات يختصّ بلذّة وحلاوة من حيث هو صوت، فالتلحين أو طبع الصوت بطابع تلحيني يزيد جمالا، وقد قال ابن جنيّ: "وهذا موضع إنما يتحاكم فيه إلى النفس والحس<sup>4</sup>، وكثيرة هي التخريجات النفسية النفيسة لابن جنيّ.

2 - النغمة بين علم الأصوات وعلم الموسيقى: لا يخلو جوهر النغمة من كونها صوتا، ويميز الفارابي بين النغمة والنغم، فالنغم عنده هو الأصوات المختلفة في الحدة والثقل<sup>5</sup>، أي أن النغمة صوت مفرد والنغم أصوات بالجمع فائتلاف بمجموعة من النغمات تعطينا نغما، وليس بالضرورة

<sup>1</sup> ينظر: الحسن بن احمد بن علي الكاتب، كمال أدب الغناء، تح: غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط 1984، ص 117 .

<sup>2</sup> ينظر: أبوطالب الفضل بن سلمة النحوي اللغوي، كتاب الملاهي وأسماؤها من قبل الموسيقى، تح وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط 1984 م، ص 29-30.

<sup>3</sup> ينظر: عبد الحميد زاهيد، علم الموسيقى وعلم الأصوات، ص 21

<sup>4</sup> ابن جنيّ، الخصائص، ج 2/219.

<sup>5</sup> ينظر: الفارابي، الموسيقى الكبير، ص 86

أن تكون متساوية من حيث كمية الصوت، بل صفة هذا النغم هو اختلافه من حيث الحدة والثقل<sup>1</sup>، فإذا كانت النغمة عند الفارابي هي صوت لاثت زمانا واحد محسوسا ذا قدر في الجسم الذي فيه يوجد<sup>2</sup>، فهي تنطبق على نوع خاص من الأصوات بحسبه، وبحسب إسحاق الموصلي هذا النوع يتمثل في الحركات المدية: الألف والواو، والياء لأنها تلبث زمانا وتنفرد عن الصوامت بطول المدّة الزمنية، أي أن النغمة تكون في الحركة أو ما أسماه الفارابي بالحروف المستمرة<sup>3</sup>، إذا فاشترك النغمة والنبر كونهما على الحركة، فلا يمكن الحديث عن النبر دون الحديث عن الحركات لأنّ الضغط الذي نمارسه من خلال النبر إنما تتجلى آثاره على المكونات الفيزيائية للحركة من طاقة ودفق وتردد، وتبدو الإمالة بعكس ذلك، فإذا كان النبر يوحى بالعلو والوضوح، فالإمالة توحى بالاستفال والتلطيف، فكأننا حين النبر نبرز حركة واحدة، وحين الإمالة نخرج حركة بحركة بلطف، فينسب اللحن بوتيرة موسيقية متوازنة ومؤثرة على النفس .

وإذا كانت الحنجرة والتجويف الفموي والأنفي هي المرشحات التي تقوي الرنين، أي بمساعدة تحركات الحلق واللسان والشففتين ومنطقة سقف الحنك نستطيع أن نعدّل شكل التجاويف المختلفة وحجمها في جهازنا المصوّت، ومن هنا ينشأ التأثير الرنيني الذي تمارسه هذه الأعضاء على الصوت المركّب الناشئ في الحلق<sup>4</sup>، فتحصل بذلك أنغام ممدودة أو مقصورة أو متوسطة، والإمالة تتحمل من هذه الوجود الممدود والمقصور.

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحميد زاهيد، علم الموسيقى وعلم الأصوات، ص31

<sup>2</sup> ينظر: الفارابي، الموسيقى الكبير، ص241.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق، ص33.

<sup>4</sup> ينظر: برتيل مالبرج علم الأصوات، ترجمة عبد الصابور شاهين، مكتبة الشباب المنيرة، مصر، د ط، د ت، ص20-21

3 - اللحن بين علم الأصوات وعلم الموسيقى: يتبين مما سبق أن اللحن هو مجموعة من النغمات المؤتلفة فيما بينها وفقا لمجموعة من المعايير المضبوطة، فهذه الأصوات يجمعها نظام محكم يترتب عنه انسجام دقيق بينها، فيخلق لدى السامع لذة أو تخيلا أو انفعالا<sup>1</sup>، وعليه فاللحن والتنغيم يتحققان في شيء أكبر من المفردة، وما استعانة الإنسان بالغناء إلا للهروب من الإحساس بالزمن، فهو المساعد الذي يجعله يتخيل أنه يعيش خارج إطاره، ويعتبر الهم والحزن من العوامل التي تجعل الإنسان يتخيل طول الزمن ولا أدلّ من قول الشاعر على ذلك :

لَم يَطُلْ لَيْلِي وَلَكِنْ لَمْ أَنْمِ      وَنَفَى عَنِّي الْكَرَى طَيْفٌ أَلَمْ.<sup>2</sup>

فالإحساس بالزمن يتعقبه تخيل التعب أكثر، فتوهم طول الزمان .

وأكثر من ذلك إذا كانت الإمالة من لحون العرب وأصواتها، فإنه قد يتوصل بالألحان إلى خيرى الدنيا والآخرة، فمن ذلك أن تبعث على مكارم الأخلاق من اصطناع المعروف، وصلة الرحم، والذبّ عن الأعراض والتجاوز عن الذنوب، وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويرقق القلب من قسوته، ويتذكر نعيم الملكوت<sup>3</sup>، فهذه آثار تحصل جراء اللحن المصاحب للإمالة .

وعليه وإذا كانت الإمالة أصل في الألف، فإنما ذلك ربما واقع من جهة أن أندى الأصوات وألينها الألف، لأن جريان الصوت فيه يكون غفلا غير محصور<sup>4</sup>، فكأني به هو آله اللحن والنغم .

<sup>1</sup> ينظر: الفارابي، الموسيقى الكبير، ص80 وما بعدها

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص80.81.

<sup>3</sup> شهاب الدين بن عبد ربه، العقد الفريد، تقدم: خليل شرف الدين، منشورات دار مكتبة الهلال، ط1/1986م، ج6/05.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/22.

وإذا كان النبر والإمالة يقفان على طرفي تقابل بين علم الأصوات، وعلم الموسيقى، فلا يجوز أن يتصور أن حرفاً من الحروف حدث بعضه مضاماً لحرف<sup>1</sup>، ولكن يجوز أن تشرب الحركات بعضها ببعض .

وبهدي ما سبق يمكن أن نلخص عقد المقاربة والمشاكلة بين علم الأصوات وعلم الموسيقى على الجدول الآتي:

علم الصوت	علم الموسيقى	تعليل وجه المقاربة والمشاكلة
الصوت	الصوت	الصوت جوهر مشترك وهو مادة الدراسة
النبر	النعمة	النعمة منفردة في الصوت والنبر كذلك في المقطع، وهما يقعان في الحركة
الحرف بالصوت	النعمة بالصوت	النعمة تشكل موسيقى للصوت، والحرف تشكل كتابي للصوت
التنغيم	النغم	النغم حاصل مجموعة نغمات، والتنغيم حاصل مجموعة مقاطع منبورة
التنغيم	اللحن	اللحن حاصل ترتيب أصوات من نغم حاد أو نغم أثقل ترتيباً مكيفاً، بينما التنغيم حاصل مقاطع منبورة وليست بوتيرة متساوية في النبر
التجويد	الغناء	شروط القارئ الجيد هي نفسها شروط المغني المطرب، والتجويد يكون بمحكم الأحكام الشرعية والمنقولة بالتواتر، والمغني يلتزم بشروط الفصاحة اللغوية والصوتية.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/22.

ويضاف إلى هذا الإيقاع في الغناء والعروض في الشعر، حيث الإيقاع مرتبط بالزمن ويكون داخلا في أسباب لذة الألمان، وتلعب النقرات دورا أساسيا في تساوي أزمنة الإيقاع<sup>1</sup>، "ولكن يبقى بين النقرة والإيقاع فارق، وهو أن النقرة وحيدة الوقوع، والإيقاع مجموع من النقرات، وحينئذ تكون النقرة جزء من الإيقاع<sup>2</sup> .

وبهذا يكون الصوت جوهر يجمع كل هذه المتفرقات.

---

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحميد زاهيد، علم الأصوات وعلم الموسيقى، ص43.

<sup>2</sup> مكّي دارر، ملامح الدلالة الصوتية في المستويات الصوتية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، طبعة خاصة /2012م، ص160.

ثانياً- التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال :

إذا كان الإبدال جعل مطلق حرف مكان حرف آخر، لكن إذا تعلق الإبدال بحروف العلة (الألف، الواو، الياء) اصطلاح عليه النحويون بالإعلال ومن هنا فالإبدال عام والإعلال خاص<sup>1</sup> .

وجاء في النحو الوافي: الإعلال تغيير يطرأ على أحد أحرف العلة الثلاثة (و، ا، ي)، وما يلحق بها الهمزة بحيث يؤدي هذا التغيير إلى حذف الحرف أو تسكينه، أو قلبه حرف آخر من الأربعة<sup>2</sup> ولا نريد أن نأخذ في الحديث حول حشر الهمزة في هذا الموضع مع أصوات العلة لأن مبدأ الخلاف كان مع الخليل، ولا يزال صوت الهمزة عسيراً على التصنيف نظراً لكون وظيفته تعددية أو تباينية وليست تمييزية هذا من جهة، من جهة أخرى أننا مررنا بالهمزة في مبحث الإبدال اللغوي وقد أشرنا إلى قول ابن جني فيها، وأنها تبدل من خمسة أحرف وهي الألف، والياء والواو، والهاء والعين<sup>3</sup>، وعليه يكون حاصل الإعلال بالحروف الثلاثة (ا، و، ي) وهدفه هو التخفيف، ولتحقيقه طرق ثلاثة هي القلب والحذف والإسكان<sup>4</sup> .

إنّ الكشف عن وجه القرابة التشريحية، والقرابة المواصفائية بين أصوات العلة يقودنا إلى

التساؤلات التالية:

هل الحفّة هي الغاية الوحيدة للإعلال؟ هل هناك خصوص وعموم في الوظائف بين الإبدال

والإعلال والقلب والتعويض؟، هل للإعلال وظائف أخرى أدائية وبنائية ونحوية ودلالية؟

<sup>1</sup> خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن الكريم، ص 57.

<sup>2</sup> عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 410.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/86.

<sup>4</sup> ينظر: خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن، ص 57.

للإجابة عن هذه التساؤلات لابد من تتبع أثر التحليل الصوتي عند ابن جني، وقد بات معروفاً

أن أنواع الإعلال ثلاثة، وهي :

- **الإعلال بالقلب**: ومفاده تبادل المواقع بين الصوائت الثلاثة ( الألف والواو، والياء ) .

- **الإعلال بالتسكين (النقل)**: وهو يقوم على صورتين، الأولى منهما حذف حركة حرف العلة،

والثاني نقل حركة حرف العلة، فينجم عن النقل والتسكين التقاء ساكنين نحو: "مقول"، و "مبيع"

أصلهما ( مَقُول - مَبِيع )، وحين نقلت الحركتان التقى ساكنان فحذف أحدهما<sup>1</sup>.

- **الإعلال بالحذف** : الإعلال بحذف حرف العلة قياساً يكمن في ثلاثة مواضع هي :

1- أن يكون حرف مد ملتقياً بساكن بعده نحو: قُمْ وَخَفْ وَيَغْ<sup>2</sup> ونحوها .

2- أن يكون الفعل معلوماً مثلاً واوياً على وزن "يَفْعَلُ" المكسور العين في المضارع، فتحذف

فأؤه في المضارع والأمر ومن المصدر إذا عَوَّضَ عنها بتاء ك يَعِدُّ وَعَدَّ - وَعَدَّةٌ، أما إذا كان الفعل

مجهولاً لم تحذف ك: يوعد، وكذلك إذا كان مثلاً يائياً ك يسُرُّ ييسر، أو كان مثلاً واوياً على وزن

(يَفْعَلُ) المفتوح العين ك: يوجل، ويرحل، وشَدَّ : يدعُ ويدر، ويهبُ ويسع ويطأ ويقع بحذف الواو

أنها مفتوحة العين<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 416، 417.

<sup>2</sup> ينظر: مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، دار الإمام البخاري، القاهرة المنصورة ط1/1428هـ/2007م، ص235، 236.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه ص235 - 236.

3- أن يكون الفعل معتل الآخر، فيحذف آخره في أمر المفرد المذكور ك اخش، وادع، وارم، وفي المضارع المجزوم ك لم يخش، ولم يدع، ولم يرم، والحذف ها هنا لا للإعلال بل للنيابة عن سكون البناء في الأمر، وعن سكون الإعراب في المضارع<sup>1</sup>.

وما يهمنا أن الإعلال وافق الاسم أو الفعل احتاج إلى شرط اعتلال نتبعه من خلال العناصر

التالية :

- شرط الاعتلال .

-أوجه التحليل الصوتي التي يبسطها ابن جني،ومن قبله سيبويه .

-آراء، وتوجهات الدرس الصوتي القديم في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ونبدأ بأول مظاهر

الإعلال:

1-التحليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالنقل: وهو الذي أشرنا إليه بالحذف والإسكان وقد أسماه

سيبويه بذلك واقتصر أحياناً على الإسكان<sup>2</sup>، وتسمية الإعلال بالنقل حاصل ومستقر فيما بعد<sup>3</sup>،

ويعني نقل حركة حرف العلة الواو والياء إلى الحرف الساكن الصحيح قبلها مع بقاء الحرف المعتل إن

كانت الحركة تجانسه وقلبه حرفاً يجانسه إن كانت تُعايره، وإذا كان حرف العلة ألفاً فلا يحصل فيه

مثل هذا الإعلال، لأن الألف خفي ساكن لا يقبل الحركة<sup>4</sup>، وربما أكثر ارتباط الألف بالسكون متأماً

<sup>1</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 412-415 ومصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ص236.

<sup>2</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/491.

<sup>3</sup> ينظر : علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح أحمد عبد الستار الجوارى، وعبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد د ط /1986م، ص173.

<sup>4</sup> عبد الحق أحمد محمد، الإعلال في كتاب سيبويه في هدي الدراسات الصوتية الحديثة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد 1983م، ص50 وما بعدها.

من ميزان العروض، أما في الحقل اللغوي الصوتي فارتباطه بالهمزة وثيق، ونعلم ما للهمزة من وظائف تباينية .

إنّ قواعد وشروط هذا النوع من الإعلال تتحدّد كآلاتي<sup>1</sup> :

- أن يكون حرف العلة عيناً لـ ( فعل ) واوياً كان أو يائياً .
- أن يكون حرف العلة ( عين ) اسم يشبه المضارع في وزنه دون زيادته أو زيادته دون وزنه .
- أن يكون حرف العلة ( عين ) مصدر موازن لـ ( إفعال ) أو ( استفعال ) .
- أن يكون حرف العلة ( عيناً ) فيما يجيء على ( مفعول ) من اسم مفعول .

وتجدر الإشارة إلى اختيار موضع العين لأن العين هي مركز الصيغة ومنها إلى ما قبلها تنقل الحركة، ويتخذ الإعلال صوراً متعددة، فيكون أحياناً محضاً، وقد يتبعه إعلال بالقلب، أو الحذف، أو بالقلب والحذف معاً، وقد يكون بالنقل والقلب والحذف<sup>2</sup>، وفيما يلي التعليل الصوتي المرافق لأحكام الإعلال بالنقل، ونبدأ بأول قاعدة :

**تعليل القاعدة الأولى:** أن يكون حرف العلة عيناً (فعل): في باب ( ما كانت الياء والواو فيه ثانية، وهي موضع العين) قال سيبويه: " وإنما كان هذا الاعتلال في الياء والواو لكثرة ما ذكرت لك من استعمالهم إياها وكثرة دخولهما في الكلام، وأنه ليس يعرى منهما ومن الألف أو من بعضهن<sup>3</sup>، ثم يذكر العلة الموجبة لهذه الاعتلال، فيقول: " فلما اعتلت هذه الأحرف جعلت الحركة التي في العين

<sup>1</sup> ينظر: عبد الحق أحمد محمد، الإعلال في كتاب سيبويه في هدي الدراسات الصوتية الحديثة ص 89، 90، ثم جامع الدروس لمصطفى الغلابي، ص 242-244.

<sup>2</sup> ينظر: مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ص 242 و 243.

<sup>3</sup> سيبويه، الكتاب، ج 4/483.

محولة على الفاء، وكرهوا أن يُقَرَّوا حركة الأصل حيث اعتلت العين، كما أن "يفعل" من ( غَزَوْتُ ) لا تكون حركة عينه إلا من الواو، وكما أن " يَفْعَلُ " من ( رَمَيْتُ ) لا تكون حركة عينه إلا من الياء حيث اعتلت، فكَذَلِكَ هذه الحروف حيث اعتلت جعلت حركتهن على ما قبلهن كما جعلت من الواوو الياء حركة ما قبلها لثلاثا تكون في الاعتلال على حالها إذا لم تعتل<sup>1</sup>، ثم نضيف إلى هذا النص نصاً آخر لابن جني يقول فيه : ألا ترى أن الألف حرف يُنصرف إليه عن الياء والواو جميعاً فليس للألف خصوص بأحد حرفي العلة، فإذا قُلب واحد منهما إليه فكأنه مقرّر على بابه...، والألف لا تكون أصلاً أبداً فيهما...، ومما يدل على صحة الحال في ذلك أنهم قالوا : غزا يغزو، ورمى يرمي، فأعلوا الماضي بالقلب، ولم يقبلوا المضارع لما كان اعتلال لام الماضي إنما هو بقلبها ألفاً، والألف لدلائنها على ما قُلبت عنه كأنها هي هو<sup>2</sup>، ومن النصين تظهر الأمور التالية:

-تعليل كل من سيبويه، وابن جني اعتلال ( الألف والواو والياء ) بكثرة الاستعمال وكثرة دخولها في الكلام، حيث شاعت هي وأبعاضها ( الفتحة والكسرة والضمة )، إشارة واضحة على قدرة التناسل الصوتي الذي تتميز وتتمايز به هذه الأصوات .

- نقل الحركة من العين إلى الفاء متأة من علة ذاتية في هذه الأصوات ذاتها الأمر الذي يغرس في ذهن الناطق كراهة استقرار حركة الأصل والعين معتلة .

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/483.

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/321.

-حركة الفاء الواردة إليها من موضع العين هي من جنس الصوت الشاغل لهذا الموضع، حيث إذا كانت الياء تحركت الفاء بالكسر، وإذا كانت واواً تحركت الفاء بالضمّ .

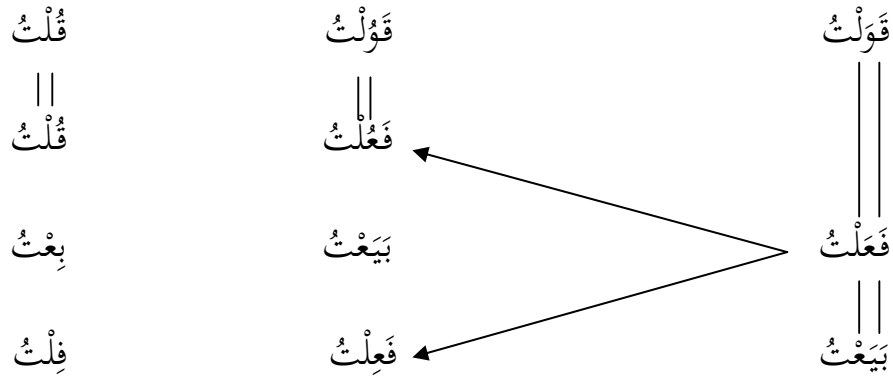
-الصراع والنزاع الحاصل بين الحركتين حركة الفاء وحركة العين يؤول إلى إسقاط حركة الفاء واستقرار الحركة المجانسة للصوت الشاغل للعين، وهذا ما يعبر عنه بالإعلال بالقلب المترتب على نقل الحركة من أجل التعرف على البنية الأصلية، وذلك كقولنا : " الأصل في قام، قَوْمَ وفي بَاعَ بيع، وفي طَالَ طَوَّل، وفي خاف ونَامَ وهاب خَوْفٍ ونَوْمٍ وهَيْب، وفي شَدَّ شَدَدًا، وفي استقام اسْتَقْوَمَ، وفي يستعين يَسْتَعِينُ، وفي يَسْتَعِدُّ يَسْتَعِدُّ، فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها مما يُدعى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه قد كان يقال مرّة<sup>1</sup>، أي أنهم كانوا يقولون في موضع : قَامَ زيدٌ قَوْمَ زيد، بل معنى الكلام أنه لوجاء مجيء الصحيح ولم يُعَلَلْ لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكر ذلك أنه لم يكن مع اللفظ به إلا ما تراه وتسمعه<sup>2</sup>، ونستطيع أن تمثل ما يجري في الأفعال المعتلة العين بعد تحليلها في ضوء الدرس الصوتي الحديث كالاتي :

قال ← قَوْلٌ ← بعد إسناد الفعل إلى المتكلم ← قُلْتُ  
 ↓  
 فَعَلٌ ← فَعَلٌ ← بعد إسناد الفعل إلى المتكلم ← قُلْتُ

أي أن " قُلْتُ " في الأصل، لوجاء مجيء الصحيح " قَوْلْتُ " = فَعَلْتُ، وأعلى الشكل الآتي:

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، ج 225/1.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه.



وإذا كان البناء على رأي الصرفيين يقتضي نقل حركة حرف العلة، فإن أصل يقول : يَقُولُ حيث نقلت ( حركة الواو) إلى القاف قبلها ومثلها ( يَبِيعُ )<sup>1</sup>، وقد علق عبد القادر عبد الجليل عن صورة الإعلال هذه أنها قائمة على أمرين : أولهما حذف حركة حرف العلة، وثانيهما نقل حركة حرف العلة<sup>2</sup>.

**العربية وتصنيف الأفعال:** يوجد أربعة وثلاثون صنفاً من الأفعال العربية حسب تركيبها الحركي وهي ترجع إلى صنفين كبيرين هما<sup>3</sup> :

**الأفعال العادية:** وسماها القدامى السالمة، حيث لا يطرأ على صيغها تبدلات من شأنها تغيير أوزانها وتمثل نسبة 60% من الأفعال العربية .

**الأفعال الخاصّة:** وهي تضم المضاعف والمهموز والمعتل بأنواعه المختلفة وباعتبار خاصيتين كعتلين في اللفيف أو علة وهمز نحصل على 33 تركيباً حرفياً مستعملاً، حيث يمثل الصنف الخاص 40%، وقد نقل البكوش عن الشريمي إحصاء يقارب هذا، ففي النص القرآني نجد 629 مادة فعلية

<sup>1</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص416.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر : الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط2/1987م، ص176.

## الفصل الثالث..... التحليل الصوتي للإمالة والإعلال

سالمة مقابل 556 مادة فعلية غير سالمة<sup>1</sup>، هذا إذا اعتبرنا الاعتلال بأنه تغيير يطرأ على الصيغة الأصلية، فإننا بذلك نوسع دائرة الاعتلال، فيشمل المضاعف والمهموز والمعتل، ويصبح لدينا صنفان من هذه الأفعال ذات العلة الواحدة، والأفعال ذات العلتين، ونفضل أن نورد هذه الإحصاءات في جدول :

الرقم	الفعل	عدد الأفعال الواردة فيه <sup>2</sup>	الرقم	الفعل	عدد الأفعال الواردة فيه
01	الفعل المضاعف	403	06	الأجوف اليائي	151
02	المثال الواوي	309	07	مهموز اللام	135
03	الناقص اليائي	266	08	مهموز العين	130
04	الناقص الواوي	248	09	مهموز الفاء	121
05	الأجوف الواوي	220	10	الأجوف المشترك	88
			11	المثال اليائي	19
					2090
					الجملة

قراءة في الجدول:

واضح أن الاعتلال يظهر ذو أهمية في هذا الجدول، حيث يقع الاعتلال بالهمز بمعدل

386 جذراً، والاعتلال بالياء والواو بمعدل 371 جذراً دون احتساب الأجوف المشترك، وهذا إن دل

<sup>1</sup> ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 176.

<sup>2</sup> الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 177. -

على شيء، فإنما يدل على حضور تنوع صوتي يتبعه حضور وظيفي، وبالتالي ثبوت القمة التمييزية لهذه الأفعال، ويبدو أن الاعتلال في الأجوف بالواو أهم من الاعتلال بالياء وإن كانت النسب لا تتفاوت كثيراً في مجموعها .

إذا ما قارنا الأفعال التي من نوع "قال" "قول" نجد أنه يقابلها في المضارع "يفعل" حوالي (200) صيغة فلا يوجد إلا العشر، أي (20) صيغة منها على وزن "فعل" "يفعل"، وقلة هذا الصنف ترجع إلى ثقل الواو المكسورة في مثل : خوف - يخوف، إلا أن الواو المضمومة أثقل يقول الطيب البكوش<sup>1</sup>، ويضيف إلى ذلك حكماً أو قاعدة صرفية مفادها أننا لا نجد مطلقاً أفعالاً على وزن "فعل" "يفعل" بل إن هذه الصفة استعوض عنها على "فعل" للدلالة على الحالات نفسها مثل "خاف"<sup>2</sup>، وإن كانت الواو أكثر استعمالاً في العربية إذا ما قارنا حضور الأجوف اليائي بالأجوف الواوي فقد يرجع هذا إلى طبيعة الواو الشفوية، أو إلى موضع العين الوسطي كمركز للصيغة، الأمر الذي يكسبها قوة ومناعة، ونترك حديث الفعل المضارع متى كانت عينه حرف علة إلى بابه، ونعرج على الاستثناء الذي أورده ابن جني في هذا حول العين، حيث كما كانت سبباً للاعتلال صارت على وجه آخر سبباً للتصحيح .

صحة الواو والياء فيما كان على ( فعل ): تكون العين ( عين فعل ) سبباً للإعلال كما أنها تكون وجهاً آخر وسبباً للتصحيح، وهذا وجه غريب يقول ابن جني<sup>3</sup>، لأنه ينبغي أن يضاف ويحتاط

<sup>1</sup> ينظر: الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 140

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر : ابن جني، الخصائص، ج3/36.

للاحتجاج بأن هذا قد خرج على أصله منبهاً على ما غير من أصل بابه، هذا الاستغراب صحيح واقع وذلك نحو قولهم : القود والحوكة، والحوكة، وروع، وحول وعور وعوز لوز، وشول<sup>1</sup>، قد ذكر ابن جني شيئاً من شعر الأعشى يقول فيه :

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي... شَاوِمِشَلُّ شَلُولُ شُلْشُلُ شُولُ<sup>2</sup>

والشول هو الذي يحمل الشيء يقال شلت به وأشلته، وقيل هو من يشول في حاجته، أي يعني بها ويتحرك والمعنى للتكثير<sup>3</sup>.

وملخص القول إن هذه الأفعال جاءت مقتضية للإعلال، إلا أنه صحيح والعلّة في ذلك أن عينه قد تحركت وهي معتلة وقبلها فتحة، وهذا يوجب قلبها ألفاً<sup>4</sup>، وذلك لأننا نقول في علة قلب الواو والياء ألفاً إنهما متى تحركتا حركة لازمة وانفتح ما قبلهما وعُري الموضع من اللبس، أو أن يكون في معنى لا بد من صحة الواو والياء فيه، أو أن يخرج على الصحة منبهاً على أصل بابه<sup>5</sup>، وقد ذكر ابن جني هذا التعليل فيما أسماه " باب في تخصيص العلل " <sup>6</sup>، والنص يكشف لنا عن الآتي :

- عموم العلة فيما تشابه، وما يقاس عليه، أو ما هو على نحوه، كقولنا: قال أصله قول، وباع أصله بيع، وقام أصله قوم .

<sup>1</sup> القود: قتل النفس بالنفس، الحوكة من حاك الثوب أي نسجه، روع أي مرتاع بمعنى خائف، وحول أخول العين عور، عوز وصف من عوز الرجل كفرع ولوز إتباع له، ينظر : ابن جني، الخصائص، ج3/36 ( الهامش ).

<sup>2</sup> الشنقيطي، شرح المعلقات العشر، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة، تح : أحمد أحمد شتيوى ط2007/1م، ص182.

<sup>3</sup> المرجع نفسه، ص182.

<sup>4</sup> ينظر : ابن جني، الخصائص، ج3/36.

<sup>5</sup> المرجع نفسه، ج1/141.

<sup>6</sup> المرجع نفسه، ج1/139.

- خصوص العلة يقتضي الإحاطة، والاحتياط لأن: قال، وقام، وباع، وصام، وصاغ اعتلت عينه وعور، وصيد، وحول، وشول صحت عينه .

لقد راح ابن جني يبحث عن العلل، وقوله مخافة اللبس، أي أن يلتبس الواحد بالثنائية، فتقلب

ألفين على هذا الشكل: <sup>1</sup>

غزوا ← غزا ← نحذف إحداهما فيصير اللفظ ← غزا

رميا ← رما ← نحذف إحداهما فيصير اللفظ ← رما ← رمي

أو أن يلتبس "فعالان" مما لامه حرف علة بـ "فعال" مما لامه نون في نحو: <sup>2</sup>

نَفيان ← تقلب الياء ألفاً فتصير ← نفا ان ← نحذف إحداهما ← نفا ان

نزوان ← تقلب الواو ألفاً فتصير ← نزا ان ← نحذف إحداهما ← نزا ان

وبذلك جاز هذا الفصل إلا أن معول التعليل في هذه الجزئية هو: ما العلة الداعية أو الموجبة

لصحة الواو والياء في نحو: عورَ وصيد؟ لأنه من ظاهر اللفظ جاز لنا أن نقول إنهما: من "عار" و"صاد"

وجواب ذلك يقول ابن جني إنهما في معنى ما لا بد من صحته، وهما من اعورَ واصيدَ، وكذلك

صحّت في نحو "اعتنونا" وازدوجوا" <sup>3</sup>، وما كان في نحو باب دار وعاب وناب...، له سبب صحة

طريف وذلك لأنهم شبهوا حركة العين التالية في نحو: عورَ وحول وشول بحرف اللين التابع لها فكأن

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/140.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/36، وينظر أيضا: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/308-309.

"فعلاً" "فعال" وكأن " فعلا " فعيل "، فكما يصح نحو جواب، وهيام، وطويل، وحويل<sup>1</sup>، وقد علم مضارعة الحركات لحروف اللين، وهذا أمر موجود في "قام" و"خاف" و"هاب" كوجوده في حَوْلَ وَعَوَرَ وصَيْدَ وعين، وصورَة عَوَرَ وصَيْدَ وَحَوْلَ كصورة حَوْفَ وهَيْبَ لفظاً، والفرق هو كون الحركة غير لازمة، وكون المعنى يقتضي صحتها لأن زينة الألفاظ مقصود بها تحصيل المعاني .

هناك من يرى بأن بعض توجهات القدامى الصرفية في هذا الباب غير منطقية، لأن الواو والياء صائتان طويلان يحرك بهما الصوت الواقع قبلهما، فكما يحرك الحرف بالصائت القصير كذلك يحرك بالصائت الطويل، ويعزو الخطأ إلى الكتابة العربية، كون أنه لا يوجد بالأساس حركة على الحرف الواقع قبل الصوائت الطويلة، لأنه لا يحق لتلك الأحرف أن تحرك بثلاث حركات متوالية مرة واحدة بالحركة القصيرة ومرتين بالطويلة<sup>2</sup>.

ويبدو أن هذا الذي ذهب إليه الباحث كون الكتابة العربية قاصرة عن أداء الرسالة العربية بجانب الصواب، لأننا نتساءل : هل رموز العربية قاصرة ؟ أم فكرنا نحن قاصر عن فهم الرموز وفكّها، ولنا أن نستدل بما ذكره مكي دارر، وهو يشير إلى الكتابة المصحفية أو العثمانية الوقفية، ويرى أنها الوحيدة في التراث العربي المعبرة عن مطابقة المكتوب للمنطوق<sup>3</sup>، ويذكر ويذكر أيضاً أن النص القرآني عند الوقوف على مرسومه نجد مكتوباً كتابة صوتية<sup>4</sup>، فاستحق منا بذلك أن نتخذه مرجعاً دينياً ودينياً .

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، الخصائص، ج3/36.

<sup>2</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 416-417.

<sup>3</sup> ينظر : مكي دارر، الجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، ص 94.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه.

وعليه نقول كيف يعزى الخطأ إلى الكتابة العربية في إثبات الفتحة قبل الألف والقرآن الكريم مملوء بهذه الكتابة؟، أي بإثبات الفتحة قبل الألف، وربما هذا لعله صوتية نجهلها، ضف إلى ذلك أن تمام حسان يرى أن الصرفيين حين نسبوا السكون إلى حرف المدّ عند الكلام عن التقاء الساكنين كما في: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾<sup>1</sup>، و﴿مُدَّهَا مَتَانِ﴾<sup>2</sup> لم يقصدوا أن حرف المدّ مشكل هنا بالسكون لأن المدّ والحركة لا يقبلان السكون ولا الحركة، وإنما قصد به شيئاً شبيهاً باعتبار العروضيين أن حرف المدّ يساوي من حيث الكمية الإيقاعية حركة متلوة بسكون<sup>3</sup>، ونعلم أننا إذا شبهنا شيئاً بشيء أو قربناه منه صار ليس هو هو، فحروف العلة تؤدي مهمة جليلة في العربية حيث تعتبر أساساً في قوة الإسماع الذي من خلاله يتم تصنيف الأصوات إلى صوامت وصوائت .

**التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالنقل في المزيد :** في هذا الباب يقول ابن جني: "واعلم أن الشيء إذا طرد في الاستعمال وشذ عن القياس فلا بدّ من إتباع السمع الوارد فيه نفسه لكنه لا يتخذ أصلاً يقاس عليه غيره"<sup>4</sup>، وهو بهذا يحدد منهجاً قياسياً نوعياً على غير قاعدة القياس المألوفة فالمسموع شرط أن يقاس عليه يجب ألا يشذّ عن قاعدة القياس، ثم يذكر بعد ذلك أفعالاً مضارعة منها: "استحوذ" و"استصوب"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفاتحة، الآية 07.

<sup>2</sup> سورة الرحمن، الآية 64.

<sup>3</sup> ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب د ط /1973 م، ص 71 .

<sup>4</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/101.

<sup>5</sup> ينظر : المرجع نفسه، وفي هذا نجد ابن جني يحدد أربعة أضرب للكلام من حيث الاطراد والشذوذ .

وقد علق سيبويه قبل ابن جني عن بعض ظواهر الإعلال بالنقل في الفعل المعتل المزيد فقال:  
"فإذا كان الحرف الذي قبل الحرف المعتل ساكناً في الأصل، ولم يكن ألفاً ولا واواً، ولا ياءً فإنك  
تُسكّن المعتل وتحوّل حركته على الساكن وذلك مطّرد في كلامهم<sup>1</sup>، وابن جني قد يقيس على ما يقلّ  
ويرفض القياس على ما هو أكثر منه<sup>2</sup> ما دام القياس يقبله، ولم يأت فيه شيء ينقضه .

يقول سيبويه: والذي دعاهم إلى نقل حركة حرف العلة إلى الساكن قبله أنهم أرادوا أن تعتل  
وما قبلها إذ لحق الحرف الزيادة كما اعتل ولا زيادة فيه، ولم يجعلوه معتلاً من تحوّل إليه كراهية أن  
يحوّل إلى ما ليس من كلامهم، ولو كان يخرج إلى ما هو من كلامهم لاستغني بذا، لأن ما قبل المعتل  
قد تغير عن حاله في الأصل كتغيّر " قُلت " ونحوه، وذلك: "أجاد" و" أقال " و" أبان " و  
"أخاف"، و" استراث"، و" استعاذ"<sup>3</sup>، ويقول ابن جني في قياس " استحوذ " وعدم القياس عليه  
لكن لا بد من قبوله يشير لأننا إنما ننطق بلغات العرب ونحتذي بأغلبهم، أما " استنوق الجمل "،  
و"استتيست الشاة"، و" استفيل الجمل"، فكأنه أسهل من " استحوذ"، وذلك أن "استحوذ" قد  
تقدمه الثلاثي معتلاً واستشهد بيت لرؤبة بن العجاج يقول فيه:

يحوذهنّ وله خوذي كما يحوذُ الفئة الكمي<sup>4</sup>

والنصان السابقان يكشفان عن الآتي :

<sup>1</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/488.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/115.

<sup>3</sup> المرجع السابق .

<sup>4</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/117.

- التسكين والنقل وإلقاء الحركة على الساكن المتقدم عليه في البنية، وقد ذكر ابن جني باباً أسماه " هجوم الحركات على الحركات "، وكيف أن الثانية تطراً على الأولى فتبتزها وتحلُّ محلها فتختلفان حكماً وتقديراً<sup>1</sup>.

- يكشف كل من سيوييه وابن جني عن علة الإعلال بالنقل للأفعال الثلاثية المزيدة، ولا سيما ما كان منها على وزن ( أفعل ) و( استَفْعَل ) نحو " أقال "، و " استعاذ"، والعلّة في ذلك حمل الأصل المعتل على الزائد أو المزيد المعتل، ويزيد ذلك وضوحاً أنّ الإعلال بالنقل في البنية المجردة على غرار المزيدة إذ لم يجر فيها تغيير في البنية حالة إسنادها إلى ضمير المتكلم.

- البنيتان ( أفعل ) و( استفعل ) تكفلتا بتوفير مناخ صوتي مناسب للتغيير الإعلالي، حيث الإعلال ظاهر في البنية الأصلية المجردة والبنية المزيدة إنما هي محمولة على ذلك<sup>2</sup>، ولنا أن نمثل لكل من التعليلين بالنحو الآتي : فعل ← أفْعَل ، قَوْل ← أقْوَل

والمعادلة الصوتية تكشف عن مسار النقل الحادث في الصيغة (أَقْوَل) : ء - ق / و - ل / حيث نلاحظ انتقال قمة المقطع الثاني (-) إلى القاعدة الثانية للمقطع الأول / ق / فيتحقق الإعلال بنقل الحركة إلى القاف الساكنة والساكن غير محصّن، وهذا الأمر هياً لمشكلة أخرى أدّت إلى قلب الواو ألفاً بدافع علة التخفيف لأنها ستكون إثر فتحة ونستطيع أن نمثل لذلك بعد التغيير المقطعي الذي أحدثه النقل بما يلي :

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/96 وما بعدها .

<sup>2</sup> ينظر: سيوييه، الكتاب، ج4/488.

## الفصل الثالث..... التحليل الصوتي للإمالة والإعلال

ءَ / قَ / و / لَ / و الساكن مما ثبت أنه إذا جاور الحركة أحلته كأنها فيه <sup>1</sup> ، والألف لا سبيل إلى النطق بها إلا أن يكون ما قبلها مفتوحاً، فصارت المعادلة على النحو الآتي :

ءَ / قَ / و / لَ / و . ← أقال

هذا عن الدرس الصوتي القديم، أما المظهر الإعلالي هذا في ضوء الدرس الصوتي الحديث، فله

توجه تصوري آخر، تمثل له بالجدول الآتي: <sup>2</sup>

المضارع			الماضي			
الكسرة	الفتحة	الضمة	التواتر	حركة العين	الصيغة	الرقم
/	/	200	200	الفتحة	ف ول	01
/	/	20	20	الكسرة		
/	/	06	06	الفتحة	ف وء	02
18	/	/	18	الفتحة	ف وى	03
/	16	/	16	الكسرة		
		09	09	الفتحة	ء ول	04
	02		02	الكسرة		
01			01	الفتحة	ء وى	05
<b>19</b>	<b>18</b>	<b>235</b>	<b>272</b>	<b>الجملة</b>		

مع مكونات الجدول :

ما كانت عينه واواً على وزن "فَعَلَ" مضارعة ( يَفْعُلُ )، وجاء عشره بكسر الواو، وهذا راجع

إلى ثقل الواو المكسورة، ولا توجد صيغة للأفعال على وزن فَعَلَ يَفْعُلُ، لأن الواو المضمومة أثقل، أما

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/69 .

<sup>2</sup> ينظر : الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص139.

في الليف المقرون نلاحظ المقابلة بين الحركتين القصيرتين ( 16/18) الفتحة والكسرة، وهذه الظاهرة قيمة تمييزية مطردة ف "فَعَلَ" يقابله دائماً "يَفْعَل" مثل : طَوَى يطْوِي، شَوَى، يشْوِي، و ( فَعَلَ ) يقابله ( يَفْعَل ) قَوِي - يَقْوِي، وتتجلى هذه الخاصية في أننا نُمَيِّز بين هَوَى بمعنى سَقَطَ، وهَوِي بمعنى أَحَبَّ<sup>1</sup>.

تسقط الواو في الماضي إذا كان على وزن ( فَعَلَ )، وذلك لوجودها بين حركتين قصيرتين متمثلتين :

أَقَالَ ← أَفْعَلَ .

ءَ - فَ / عَ - لَ / لَ - لَ

ءَ - قَ / وَ - لَ / لَ - لَ / تسقط الواو، وتدغم الحركتان، فتصبحان حركة طويلة<sup>2</sup>، هي فتحة طويلة هنا، فيعاد بناء الفعل على النحو الآتي : ءَ - قَ / لَ - لَ

تعليل القاعدة الثانية حين يكون حرف العلة عيناً لاسم يشبه المضارع في الوزن :

لما كان المضارع أصلاً محمولاً على الماضي، ولما لم يكن هناك فرق بين الأفعال المضارعة المعتلة وما اشتق منها من أسماء حملت عليها في إعلاها كالمصادر وأسماء الفاعلين، وأسماء المفعولين، وأسماء الزمان والمكان<sup>3</sup>، على أن يكون العمل بالقاعدة فيها ثابت حيث يجب إعلاها بتسكين حرف العلة فيها الواو أو الياء، ونقل حركته إلى الساكن قبله .

<sup>1</sup> ينظر : الطيب البكوش، التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، ص 140 .

<sup>2</sup> يبدو أن هذا الإدغام هو في حقيقة أمره حاصل بين صائت قصير (-) أي الفتحة التي هي قمة المقطع الثاني ونصف الصائت ( و ) القاعدة الثانية للمقطع الثاني .

<sup>3</sup> ينظر : نذير بيري الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص 269.

يقول ابن جني : قد أحطنا علماً بأن الفعل إنما يشتق من الحدث لا من الجوهر ألا ترى إلى قوله وهو يقصد سيبويه : وأما الفعل فأمثله أخذت من لفظ أحداث الأسماء<sup>1</sup>.

اسم الفاعل : المصنوع من الثلاثي المزيد في حال المضارع يشابهه في وزنه ويعتل كاعتلاله نحو ما يجيء على مثال: (أَفْعِلْ) مثل (مُقِيم) و(مُخِيف)، والأصل فيه (مَقُومٌ وَمُخَوِّفٌ)، والاسم هنا يكون على مثال (أَفْعِلْ) إذا كان هو الفاعل إلا أن موضع الألف ميم<sup>2</sup>، فيتضح أن (مُقِيم) من الفعل المضارع المصنوع من الثلاثي المزيد، أي أَقَامَ يُقِيمُ فهو مُقِيمٌ، حيث نلاحظ الآتي :

- ما أريد من الفعل ( أقام ) فعل مضارع على وزن ( يُفْعِلُ ) أعيد الفعل إلى أصله ( يُقُومُ ) أي :

ي ء ق / وـ / م ء /

وَمُخَوِّفٌ — ي ء ق / وـ / م ء / حيث نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها، فحدث الإعلال بالقلب واستبدلنا الياء في المضارع بـ (ميم) في الاسم .

ويحدث الإعلال بالنقل والقلب والحذف معاً في الأفعال الشبيهة بـ "أقام"، و"خاف" عند ما يأتي كلٌّ منها مضارعاً مجزوماً ( لم يُقِمْ، لم يَخَفْ )<sup>3</sup> :

المرحلة 1	المرحلة 2	المرحلة 3
لم يُقِوم	لَمْ يُقِيمِ	لم يُقِمِ
لم يَخَوِّفُ	لَمْ يَخَافُ	لم يَخَفُ

<sup>1</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/118.

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/492.

<sup>3</sup> ينظر: خالد حسين مصلح، الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن، ص 185.

إلا أن الذي يجري في مثل باب ( مُفْعِل ) وأوياً كان أو يائياً في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث هو حذف قاعدة المزدوج الصاعد المشكّل للمقطع الثاني، ومدّ الصوت بالمصّوت القصير ليكون مصوتاً طويلاً<sup>1</sup>، وعليه يجيء البناء المقطعي كالاتي: م ؤ ق / وـ / م ؤ ن

وبعد إسقاط قاعدة المقطع الصاعد / و / ومدّ الصائت القصير / ـ /

ليصبح ← / ـ / ← م ؤ ق / ـ / م ؤ ن

يقول ابن جني: كما أن الاسم إذا كان على فاعل كالكاهل والغارب إلا أن عينه حرف علة

لم يأت عنهم إلا مهموزاً، وإن لم يجر على فِعْل<sup>2</sup>.

فمثلاً: "الحائش" مهموز العين وهو اسم لا صفة، ولا هو جار مجرى "فِعْل" فأعلّوا عينه،

وهي في الأصل واو من الحوش، والحوش يطلق على ما حول الدّار<sup>3</sup>، والعلة في ذلك يقول ابن جني:

أنك جمعت بين العين وألف فاعل فيما كان من نحو ( قائم وبائع ) : ولم نجد إلى النطق بهما على ذلك

سبيلاً حركت العين فانقلبت همزة<sup>4</sup> خالصة، فالعلة ها هنا علة استثقال النطق .

اسم المكان معتل العين : يقول سيبويه : ويجرى ( مَفْعَلٌ ) مجرى ( يَفْعَل ) فيهما، فتعتلّ كما

اعتلّ فعلهما الذي على مثالهما، وزيادته في موضع زيادتها، فيجرى مجرى ( يَفْعَل ) في الاعتلال ...،

فكذلك اعتلّ هذا لأنهم لم يجاوزوا ذلك المثال المعتل، إلا أنهم وضعوا ميماً مكان ياءٍ وذلك قولهم :

<sup>1</sup> ينظر : حسام سعيد النعيمي، أبحاث في أصوات العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1/1998م، ص 58.

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/119.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج2/339.

مقام ومقال ومثابة، ومنازة<sup>1</sup>، وقد شبه دخول الميم على اسم المكان ها هنا كدخول الألف على الفعل والمصدر<sup>2</sup>، والعلّة في اعتلال اسم المكان متأتية من مشابته للفعل المضارع إذ أن الاسم لا يختلف عن الفعل المضارع ها هنا إلا بمقدار وضع الميم موضع الياء.

ف "مَقَام" مثلاً تكون بحسب البناء الصوتي والمقطعي على النحو الآتي :

مَ قَ / وَّ / مَ ؤُ ن

حيث نقلت الفتحة إلى الصامت السابق لها، فانقلبت الواو إلى ما يجانسها كآلآتي:<sup>3</sup>

مَ / قَ ؤُ / مَ ؤُ ن / ، أما صوتياً فهي كآلآتي: مَ قَ / وَّ / مَ ؤُ ن /

تسقط قاعدة المزدوج الصاعد / و / ويمدّ الصامت القصير

/ مَ / ← / مَ / ← / قَ ؤُ / مَ ؤُ ن /

وكثيراً ما يتبادر إلى ذهني وأن أتبع هذا الانتقال والإسقاط التساؤل الآتي: ما علمية نقل

الحركة؟ وما دواعي الإسقاط؟ والنطق ممكن بهذه الحال إذ لا كلفة فيه.

**اسم المفعول معتل العين:** إنّ اجتماع الأشباه في العربية واعتماد القياس كمنهج للتعليل،

وتتبع الصنعة والتأويل كإجراء للتحليل مكن لابن جني مناخاً قلماً توفر لسابقه، فهويرى أنّ لكل

قاعدة استثناء، وقد يحصل الاستثناء حتى في هذه الأشباه المجتمعة، فنراه في تخصيص العلة يقول: فإذا

<sup>1</sup> سيويه، الكتاب، ج4/432.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: عادل نذير يبرى الحساني، التحليل الصوتي عند العرب، ص 271.

جرت العلة في معلولها واستتبت على منهجها وأمّها، قَوِي حكمها واحتمى جانبها، ولم يتبع أحداً أن يعرض لها إلا بإخراجه شيئاً إن قدر على إخراجه منها<sup>1</sup>.

لقد رأينا أن الفعل الأجوف معتل العين قد تصحّ عينه في بعض الأحوال كـ "حَوْل"، و"عَوْرَ"، و"صَيْدَ"، والعلة في ذلك أنها جاءت في معنى "اعوّر"، و"اصيدّ"، وكذلك "اعتنونا"، و"اهتوشوا" لأنهما في معنى ما لا بد من صحته، أي تعاونوا وتهاوشوا<sup>2</sup>، فبات من ذلك أن العلة في الاعتلال ليست دائماً لطلب الخفة وقد يجري اسم الفاعل غير مجرى الفعل كجريان "قائم" و"قاعد" عليه وذلك كقولنا: عاقر من عقرت، وإنما هو اسم بمعنى النسب بمنزلة امرأة طاهر وحائض وطالق<sup>3</sup>.

قد تكون العلة حفاظاً على المعنى التداولي للألفاظ ربما جاءت خصيصاً لإحالتنا إلى أن هذه الرسوبيات قد استعملت في زمن ما ولم يمستّها التغيير الذي مسّ غيرها من أجل أن تبقى كشاهد على هذا التحوّل والتبدّل الصوتي.

وقد تكون العلة أيضاً تحاشياً لعدم اللبس واختلاط الأبواب من ذلك قوله: "و" فَعْلَ " لا يحتمل مضارعه الخلاف فمثلاً نحذف فاء "وعد" في " يعدّ " لوقوعها بين ياء وكسرة، ومع ذلك نُصَحِّح نحو "وَضُوءَ" و" وَطُؤُ" إذا قلنا "يُوضُؤُ" و" يَوطُؤُ"، وإن وقعت الواو بين ياء وضمّة، ومعلوم أن الضمة أثقل من الكسرة، ولكنه لما كان مضارع " فَعْلَ " لا يجيء مختلفاً لم يحدفوا

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/143.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/140 وينظر: أيضاً التعريف الملوكي، ص 28.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني الخصائص، ج1/326.

فاء " وَضُوْ " ولا " وَطُوْ " لئلا يختلف باب ليس من عادته أن يجيء مختلفاً<sup>1</sup>، فكأن العادة ها هنا جاءت علة .

يتضح ذلك من خلال تعبير سيبويه الذي يؤيد مذهبه ابن جني فيقول : " ويعتل (مفعول) منهما كما اعتل (فُعِل) لأن الاسم على (فُعِل) (مَفْعُول)، كما أن الاسم على ( فَعَل ) : (فاعل)، فنقول : مَزُوْرٌ، وَمَصُوْعٌ، وإنما كان الأصل : "مَزُوْرٌ"، فأسكنوا الواو الأولى كما أسكنوا في (يَفْعَل)، وحذفت واو (مفعول) لأنه لا يلتقي ساكنان<sup>2</sup>، ونقول فيما كان من بنات الياء : مَبِيْعٌ ومَهِيْبٌ أسكنا العين وأذهبنا واو (مفعول) لأنه لا يلتقي ساكنان، وجعلنا الفاء تابعة للياء حين أُسْكِنَتْ كما جعلناها تابعة في نحو (بيض)، وكان ذلك أخف عليهم من الواو والضمة، فلم يجعلوها تابعة للضمة، فصار هذا الوجه عندهم إذ من كلامهم أن يقلبوا الواو ياء ولا يتبعوها الضمة فراراً من الضمة، والواو إلى الياء لشبهها بالألف، وذلك قولهم "مَشُوْب" و"مَشِيْب"....، و"غارمنول"، و"منيل"، و"ملوم"، و"مليم"<sup>3</sup>.

يستقر لدينا من هذا النص أن اسم المفعول مثلاً من صاغ ← مصوغ

ومن زار ← مَزُوْرٌ، حيث أسكنوا الواو الأولى من ( مَصُوْعُ ) و ( مَزُوْرُ ) كما أسكنوا

في الفعل المضارع ( يَفْعَل ) وحذفت واو مفعول لأنه لا يلتقي ساكنان والتحليل الصوتي يحيل إلى

الآتي : مَ ص / وُ و / غُ ن /

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني الخصائص، ج322/1.

<sup>2</sup> سيبويه، الكتاب، ج4/491.

<sup>3</sup> المرجع نفسه .

ففي ضوء معطيات الدرس الصوتي القديم يمكن القول: إن بعد نقل الحركة ( حركة الواو) إلى الساكن (ص) التقى ساكنان سقطت على إثرها واو الصيغة، ويدعم هذا القول ابن جني وجماع ذلك التقاء الساكنين المعتلين في الحشو، وذلك كمفعول مما عينه حرف علة نحو: "مقول" و"مبيع"، ألا ترى أنك لما نقلت حركة العين من "مَقُول" و"مَبْيُوع" تصورت حالاً لا يمكنك النطق بها فاضطرت إلى حذف أحد الحرفين على اختلاف المذهبين<sup>1</sup>، والاختلاف هنا حول الواو هل واو مفعول؟ أم واو الصيغة؟ فصار التقدير:

مَ / ص / غ / ن / ← مَصُوع

أما في ضوء معطيات الدرس الصوتي الحديث، فإنه يمكن القول: إنه بعد تمرير الأصل (صَوَع) ضمن صيغة اسم المفعول (مفعول) نجم عن ذلك الآتي: مَ / ص / و / غ / ن /  
 وها هنا يدخل المذهبان إما أننا: نسقط القاعدة الأولى للمقطع الثاني / و / ويتحد الصائت القصير / ء / بنصف الصائت / و / للقاعدة الثانية للمقطع الثاني، ويتشكّل لدينا صائت طويل يكون مقطعاً مع القاعدة الثانية للمقطع الأول / ص / ويصبح كالاتي:

مَ / ص / غ / ن / ← مصوع .

والنتيجة من هذه الهيكلية الصوتية صيغة بزنة (مَقُول)، أي أننا أسقطنا من الأصل الواو التي هي عين الفعل، ويبدو أنه هو الأثبت في اللغة من واو الصيغة والرأي الثاني:

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/338.

إسقاط القاعدة الثانية للمقطع الثاني / و/ ويتحدّ المصوت القصير / ءُ / مع القاعدة الأولى للمقطع نفسه أي / و/ عين الفعل ليكون صائتاً طويلاً يشكل مع القاعدة الثانية للمقطع الأول /ص/ مقطعاً جديداً على النحو الآتي :

مَ صَ / وءُ / غَ ءُ ن<sup>1</sup> /

↓ إسقاط

مَ صَ / وءُ / غَ ءُ ن /

مَ صَ / وءُ / غَ ءُ ن / ← مَصُوغ

وبذلك تحتفظ الصيغة بالصوت المركزي ( العين )، وببقية الأصوات، وتصير على زنة (مَفْعَل) وهنا نتساءل إذا كانت العربية موسيقية تولد حتى اللحن الذي لا يظهر كأثر رمزي فكيف نقبل بسقوط حرف لعله التقاء الساكنين ؟ لأن ابن جني يقول : "ما نتصوره ونبّه عليه أبداً من تقدير (مفعول) مما عينه أحد حربي العلة وذلك نحو: مَبِيع، ومَكِيول، ومَكِيل، ومَقُول، ومَصُوغ، ألا تعلم أن الأصل مَبِيُوع، ومَكِيول، ومَقُوول، ومَصُوُوع، فنقلت الضمة من العين إلى الفاء فسكنت، وواو مفعول بعدها ساكنة فحذفت إحداهما على الخلاف فيهما لالتقاء الساكنين، فهذا جمع لهما تقديراً وحكماً...، فأما أن يمكن النطق بهما على حال فلا<sup>2</sup>، ضف إلى ذلك أن ابن جني يرى بضرورة أنه إذا اختلف الحرفان المعتلان جاز تكلف جمعهما حشواً نحو: قاوْت وقايت وقوُيت وقَيوت، فإن

<sup>1</sup> يقول سيبويه " الباء وبعدها الواو أخف عليهم من الواوو بعدها الواو"، للمزيد ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/493.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/227.

تأخّرت الألف في نحو هذا لم يمكن النطق بها في نحو: قَوَّاتٌ أوقِيَّاتٌ، وذلك لأن الألف لا سبيل للنطق بها إلا أن يكون ما قبلها مفتوحاً، وليست كذلك الواو والياء<sup>1</sup>.

إنّ القول عن مجيء اسم المفعول من شاكلة يختلف فيها الحرفان المعتلان كـ "مخيوط"، و"مبيوع" جائز لأن من العرب من يخرجها هكذا على أصله<sup>2</sup>، لأن ما يحدث في مثل: قِيَّاتٌ أوقُوَّاتٌ لا يخلو من أحد أمرين:

-الأول: مجيء الألف ساكنة بعد إثبات حكم للياء والواو أنهما ساكنين ومجيء الألف بعد ساكن وهذا ممتنع غير جائز يقول ابن جني<sup>3</sup>.

-الثاني: تُسقط حكم الياء والواو لسكوئهما وضعفهما، فتكون الألف كأنها تالية للكسرة والضمة، وهذا خطأ أيضاً يقول ابن جني<sup>4</sup>.

وبذلك يضاف إلى العلل السابقة علّة تداخل اللغات تختلف فيهما القبيلتان كالحجازية والتميمية كتصحیحهم ما كانت عينه واوًا، وهو نادر في نحو: "ثوب مصوون"، وقرسٌ مقوود، وهي لغة بني تميم<sup>5</sup>.

تعليق القاعدة الثالثة أن يكون حرف العلة (عين) مصدر موازن إفعال أو استفعال:

يحمل المصدر في هذه الحال على الفعل الذي اعتلت عينه، وبغض النظر عن المكون اللغوي الذي تصدر عنه التصاريف سواء أكان المصدر أو الفعل، لأن المسألة وإن كانت خلافية بين

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/339.

<sup>2</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/491.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع السابق نفسه.

<sup>5</sup> ينظر: مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص 244.

المدرستين، فلا تعدوها هنا أن تكون مجرد احتراز لما يواجهه المعايير الصوتية من إشكالات قد تطال منظومة القواعد اللغوية على مستوى الأصول .

ومجمل الذي يجري في إعلال المصدر مثلاً: "إقامة" أو "استقامة" في ضوء الفكر الصوتي عند

القدماء يمكن تحليله صوتياً كالاتي : استقوام ← استقامة، إقوام ← إقامة<sup>1</sup>

ءِ ق / وَّ + مَ / مَ /

تنقل حركة الواو إلى القاف، فيلتقي ساكنان يحذف على إثره الواو، ويعوض عنها في نهاية

المصدر بهاء، وابن جني قد خصّص باباً للفرق بين البدل والعوض، حيث البدل أشبه بالمبدل منه من

العوض بالمعوض منه، والبدل يقع في موضع المبدل منه بينهما العوض لا يلزم ذلك فيه، وكل عوض

بدل، وليس كل بدل عوض<sup>2</sup>، وبعد التعويض صار التقدير كالاتي :

ءِ ق / مَ / مَ /

أما في ضوء الدرس الصوتي الحديث فالمراحل كالاتي : إقوام ← إقامة

ءِ ق / وَّ / مَ /

تسقط قاعدة المقطع الثاني / و / ويشكل المصوت الطويل / مَ /

مع القاعدة الثانية للمقطع الأول / ق / مقطوعاً طويلاً مفتوحاً، ويعاد تشكيل المصدر كالاتي :

ءِ ق / مَ +

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 1/232، وينظر أيضاً: ابن جني، التصريف الملوكي، ص 44.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج 1/113.

وتغيرات هذه الشواهد تقوم على التقاء حرف العلة بساكن بعده، وحروف العلة في نظر القدامى يقول عبد القادر عبد الجليل : ساكنة وهذا خطأ يضيف متسائلاً كيف نشكل الحركات بالسكون؟، والذي حدث هو أن توالي أربع مقاطع صوتية يفضي إلى عدم تجانس كقولنا : وعد وَعِدَّةً، فتتدخل المخالفة الصوتية لفضّ هذا النزاع عن طريق تقليل عدد المقاطع، والمرشح لهذا الامتحان هو المقطع الأول بحجة عدم إخلاله بالبناء الدلالي للكلمة يقول<sup>1</sup>، ولم نلمس له تعليلاً صوتياً لذلك.

**2- التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالقلب :** ينتج عن التداخل الفونيمي بين أصوات العلة مظاهر صوتية متنوعة، ونستثني من ذلك كما ذكرنا في بداية هذا المبحث التعليل الصوتي لقلب الواو والياء همزة أو الهمزة حين تقلب إلى واو أو ياء لأننا ذكرنا هذا في باب إبدال الهمزة، إضافة إلى اتصاف الهمزة بوظائف تباينية تجعل منها باباً كبيراً يسمى الإهماز، ولأن كانت وما تزال عصية على المدرسين الصوتيين القديم والحديث، ونكتفي بالتحليل للظواهر التالية :

قلب الألف والواو ياء، قلب الألف والياء واو، قلب الياء والواو ألفاً .

**1- التعليل الصوتي لقلب الألف ياء :** تقلب الألف ياء في موضعين<sup>2</sup> :

■ إذا وقعت الألف بعد ياء التصغير انقلبت ياء وأدغمت في ياء التصغير ككتاب كتيّب وغزال

عُزَيْل<sup>3</sup> .

<sup>1</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 412، 413.

<sup>2</sup> ينظر : مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ص 241 وما بعدها .

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/ 231 للتعرف على أحكام حمل التصغير على التحقير.

■ والثاني : بعد كسرة لتناسب حركة ما قبلها.

1- جمع التكسير : فمثلا "مصباح" أصله ( مصباح )، وحين أريد من ذلك الأصل ( مفاعيل، أو مفاعل )، فعن هذه البنية يقول ابن جني : " وأما باب مفاعل فإنك إن اعتزمت تكسيروها لزمك حذف ألف تكسيروها، ونقض المشاهدة من صورتها واستئناف صيغة مجددة وصنعة مستحدثة<sup>1</sup>، وعلى هذا القول يمكن تمرير صيغة ( مصباح ) على النحو الآتي :

مَ / صَ / بَ / حَ ← مصباح

وتتطلب الصيغة ( مفاعيل ) أن ينكسر ما يلي الألف، وكسر الباء يتطلب أيضاً قلب الألف / مَ /

ياءً / مَ / لتحقيق التجانس الصوتي . مَ / صَ / بَ / حَ ← مصباح .

وعليه يمكن القول: إن العلة في مثل هذه المفردات هي متطلبات الصيغة .

2- الحالة الثانية ( حالة التصغير ) : فقد ذكر سيبويه أن ما كان على خمسة وكان

رابعه الواو أو الياء يصغر في ضوء جمعه جمع تكسير على أو زنة ( مفاعيل )<sup>2</sup>، وقياساً إلى ما ذكره ابن

جني أيضاً في تحقير رجل راجل رُويجل، وقولهم في جمع: " دافق " " دوافيق " كـ " ساياط " و " سوايط

"، ولا يحسن أن يكون زاد حرف اللين على المكسور العين منهما، لأنه كان يصير حينئذ إلى دافيق،

وهذا مثال معدوم عندهم<sup>3</sup>، أي أن المناخ الصوتي مثلاً لكلمة " مصباح " نتج عنه الآتي :

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/45.

<sup>2</sup> ينظر : سيبويه، الكتاب، ج4/556.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/84-85.

- أثرت ياء التصغير في الألف الأولى وشغلت محلها، أي أصبحت "مصباح"<sup>1</sup>.

- الألف الثانية ابتزتها كسرة الباء نظراً لأن الكسر ها هنا محتوم من قبل ما تقتضيه الصيغة (مفاعيل)

التي توجب أن يكون الحرف الثالث ألفاً زائدة يليها كسر، فتصبح: "مُصَيِّح".

يقول ابن جني: عن هذه الحال في دافق، ودوافيق، الصياريف، والمطافيل هذا تغيير متوهم كثير،

واستدرك بإجراء ثان هو أنك إذا شئت قلت: لما كسره فصار إلى "دوافق" أشبع الكسرة فصار

"دوافيق"<sup>2</sup>، أي يستقر لدينا أن:

-الكسرة وهي بعض الياء لها القدرة على إمالة الألف أو تحويلها إلى ياء، فأصبحت:

مَ / صُ / بٍ / ح ← مَ / صَ / ي / بٍ / ح

وإلا فمن باب أولى أن تكون القدرة لياء التصغير على قلب الألف ياء، وإن كان يحجزهما

حرف.

ونلاحظ أن هذا الانسجام الصوتي يحفظ التسلسل المنطقي للحركات:

ضممة و      فتحة      كسرة

2- التعليل الصوتي لقلب الواو ياء: قواعد هذا الباب أقرب ما نجد التفصيل

فيها عند سيبويه، أما ابن جني فإنه قد وزّع أبوابه توزيعاً لغوياً يصعب على الباحث أن يجد مادته في

باب مخصوص بل تراه ينثرها على شكل نتف.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/232 للتعرف أكثر على مراحل تحقير الاسم عند ابن جني.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج3/85.

إنّ ما يمكن أن نستخلصه من هذه القواعد أن الرابط العام في تعليل ظواهر قلب الواو ياء هو مبني في الأساس على مجيء الواو على إثر كسرة طلباً للانسجام الصوتي الذي يضيفي إلى العمل من وجه واحد، ضف إلى ذلك أن القلب وفق هذا المظهر الإعلالي كان هو الأوفى حظاً من حيث توفر العلة الصوتية المناسبة لتحقيق هذا القلب<sup>1</sup>، ومن ضمن السياقات اخترنا ما يلي:

مِيزان: يقول ابن جني: "الحرف القوي الأصيل إذا حُذِفَ لحق بالمعتل الضعيف"<sup>2</sup>.

يلتمس ابن جني التسمية أحياناً للتعليل وتدعيم توجهه، فيقول: "لوم يعلم تمكن هذه الحروف في الضعف إلا بتسميتهم إياها حروف العلة، لكان كافياً، وذلك أنها في أقوى أحوالها ضعيفة"<sup>3</sup>.

ونقول هذا لكي نبرز علة انقلاب الواو في أصل (ميزان) (مِوزان)، وتظهر في هذا الانقلاب كراهة لأنه في الكلام ضمة على إثر كسرة على حدّ تعبير سيبويه لذلك، فمن ذلك قولهم: الميزان والميعاد إنما كرهوا ذلك كما كرهوا الواو مع الياء في "ليّة"، و"سيّد"، ونحوهما، وكما يكرهون الضمة بعد الكسرة حتى إنه ليس في الكلام أن يكسروا أول حرف ويضمّوا الثاني نحو (فِعل) <sup>4</sup>.

يقول ابن جني في هذا الباب: إنما فعلوا ذلك بالواو لغلبة الياء عليها، أي قلبوا الواو ياءً وإن غلبت الياء على الواو لخفة الياء وثقل الواو، فهربوا إلى الأخف ولما وجبت هذه القضية في الواو والياء أجريت الضمة مجرى الواو والكسرة مجرى الياء، والسبب في ذلك يقول ابن جني: لأنهما بعضان

<sup>1</sup> ينظر: عادل نذير يبرى الحساني، التعليل الصوتي عند العرب في ضوء الدرس الصوتي الحديث، ص 309.

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج2/193.

<sup>3</sup> المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/479.

ونائبتان في كثير من المواضع عنهما<sup>1</sup>، ونرى ها هنا سيويه وابن جني يقدمان ما يجري في "ميزان" على ما يجري في "سيّد" و"قيّم"، وأن أصل كل واحد منها: "موزان" و"سيّود"، و"قيوم"، ومن النصّين تتبين لنا الاختيارات الصوتية لكل منهما على النحو الآتي:

- إن ترك الواو في "موزان" أثقل من قبل أنه ساكن، فليس يحجزه عن الكسر شيء، وقد عرفنا أن الساكن ليس بحاجز قوي ها هنا، وابن جني يقرّ أن الحركة إذا جاورت الساكن أحلته وصارت كأنها فيه<sup>2</sup>، ويدعم سيويه توجهه، فيقول: إن الكسر في "وتد" قوى البنيان، فإن نحن أسكنا التاء، فلا مهرب من الإدغام لأنه ليس بينهما حاجز، والواو والياء بمنزلة الحروف التي تدانت مخارجها<sup>3</sup>.

- لم يكن للواو أن تحذف وقد علقت بها الكسرة المتقدمة إذا وليتها مباشرة دون حاجز.  
- التقاء الإدغام بالإعلال من حيث الغاية، والتي هي الحفّة والعمل من وجه واحد، ولا بأس أن نتمثل ما يجري في "ميزان" من "موزان"، وذلك من خلال التحليل الصوتي الآتي:

م — و / ز — / ن، حيث هنا المقطع الأول تضمن مزدوج هابط، وهو / — و / ثمّ توالى فيه الكسر ونصف الصائت / و /، فلم يكن بُدّ من أن تنقلب الواو ياء تحت تأثير الكسرة ← ميزان ←  
بعد أن اتحد الصوتان (الكسر والواو) بانقلاب الواو ياء مديّة تجنبا لما هو مكروه الضمّ بعد الكسر

فأصبح التشكيل المقطعي على النحو الآتي: م — و / ز — ن /

وربما علة الثقل كامنة حين نقارن موزان — ميزان

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 2/233 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: سيويه، الكتاب، ج 4/479، وينظر أيضاً: ابن جني، سر صناعة الإعراب ج 2/233.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق، ج 1/93، وهذا مذهب سيويه، يجاربه عليه ابن جني.

موزان ← مـ / وـ / زـ / نـ بدأ بمقطع طويل مقفل / مـ / وـ /

ميزان ← مـ / زـ / نـ بدأ بمقطع طويل مفتوح / مـ /

والمقطع المفتوح أخف أداء من المزدوج المستكره، وعليه أيضاً يقاس "ميعاد" "موعد" لم تنقلب الواو إلى ما يجانس الفتحة المتقدمة لحفة الفتحة والألف، ويرى ابن جني أن أكثر انقلاب الألف إنما هو إلى الواو، وهذا المذهب عندهم كقولنا<sup>1</sup>:

في تحقير كتاب ← كُتَيْب ← وِغْزَال ← عَزَيْبُولُ وَغْرَاب ← عُرَيْبُوبُ

وخفة الألف متأتية من كونها ألا تحرك أبداً، وإنما هي بمنزلة النفس، فمن ثم لم تثقل ثقل الواو عليهم، ولا الياء<sup>2</sup>.

إنّ التنافس في طلب الحفّة قد انحصر بين الواو والياء وأبعاضهما، والألف بمنزلة النفس هي أخفّ، لكن نتساءل ها هنا في ضوء القاعدة الصوتية البارزة في أن الألف ما قبلها لا يكون إلا مفتوحاً، فلماذا جاز أن تقلب الواو ياء في "موزان"، ولم تكن الألف في "مّوعد"؟، فيبدو أن الألف بحكم خفتها خاصة على اللسان والشفة، فاللسان في أداء الألف يتخذ وضعاً حياًدياً، وهذه الحال تخالف طبيعة أداء الواو والياء، فلكل منهما حركة لسانية تباين الأخرى، حيث: "أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو"<sup>3</sup>، والعلة عزّاه ابن جني إلى كون الفم والحلق والشفتين تختلف تختلف أشكالها باختلاف الصدى المنبعث مع هذه الأحرف<sup>4</sup>، أي أنّ:

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/232.

<sup>2</sup> ينظر: سيبويه، الكتاب، ج4/479.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ج1/21.

<sup>4</sup> ينظر المرجع نفسه.

## الفصل الثالث..... التحليل الصوتي للإمالة والإعلال

المزدوج — و / ← يستدعي القلب، والمزدوج ← و / لم يقلب، والسياقات التي

جاءت في هذا الباب نبين بعضها على الجدول الآتي :<sup>1</sup>

الرقم	السياق	الصيغة الممكنة لأصل المفردة قبل الانقلاب
01	قيام - قِيم	قِوَامٌ وَقِيَوْمٌ
02	موسر	مُئَسِّرٌ وَفِي التَّحْقِيرِ نَقُولُ : مُئَسِّسٌ
03	موقن	مُئَيِّنٌ وَفِي التَّحْقِيرِ نَقُولُ : مُئَيِّقِنٌ
04	سيد وميت	سَيِّدٌ وَمَيِّتٌ
05	طيّاً وشياً	طَوَّيْتُ وَشَيَّيْتُ وَشَوَّيْتُ شَيْئاً
06	ريح وقيل، ديمة	أصلها رِيحٌ وَقَوْلٌ وَدِيمَةٌ <sup>2</sup>
07	سئيل	من سائلٍ وَتَقَلَّبَ قَلْباً غَيْرَ وَاجِبٍ عَلَى سُؤْيَلٍ
08	عئيل	من عائلٍ وَتَقَلَّبَ قَلْباً غَيْرَ وَاجِبٍ عَلَى عُؤْيَلٍ
09	اعلواط <sup>3</sup>	اعْلَوَّطٌ - اعْلَوَّاطاً
10	إجلوؤاد <sup>4</sup>	اجْلَوَّؤَدٌ - اجْلَوَّؤَاداً - اجْلَوَّؤَاداً .
11	اخرياطاً <sup>5</sup>	اخْرَوَّطٌ اخْرِيَوَّاطاً - اخْرِيَّاطاً
12	ثيرة	جاءت منها ثورٌ بمعنى الحيوان، وثورٌ من الأقط، ويقولون ثورة على القياس <sup>6</sup>

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، التصريف الملوكي، ص 30.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/21

<sup>3</sup> اعْلَوَّطْتُ الجمل، أي تعلقت بعنقه وعلوته، ينظر: ابن منظور لسان العرب مادة علط .

<sup>4</sup> اخْرَوَّطُ السفر بمعنى طال، طالع ابن منظور لسان العرب .

<sup>5</sup> إجْلَوَّؤَدٌ من الاجلؤاد المضاء والسرعة في السير، وقال سيبويه لا يستعمل إلا مزيداً، لسان العرب، مادة اجلؤد

<sup>6</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 2/236.

مع مكونات الجدول :

إن مفردة ( قِوَام )، وما يجري مجراها من المصادر الواوية العين هي الحاضن الصوتي للنسق الحركي ( — و — )، حيث أن هذا التابع لا يشكل نسقاً منطقياً يقتضيه التابع الحركي المرصود لأصوات العلة وأبعاضها الذي تراعي فيه الطبيعة الأدائية لكل من الألف والياء ثم الواو، وعليه فالتابع الوارد في " قِوَام " ( — و — ) يعدّ بمثابة الخرق الذي يحيل إلى الاستثقال وانتفاض عادة الصوت الذي يقول ابن جني إن من عاداته التقدم إلى صدر الفمّ، والنفوذ بين الشفتين لا بالتراجع إلى الوراء<sup>1</sup>، وعليه فإن قلب الواو ياء على إثر كسرة يُعدّ إنتاجاً ومقصداً لهذه الخفة ليكون العمل والصوت من وجه واحد، فمثلاً : في "سيّد" من "سيود" القاعدة المرافقة لهذا السياق هو أنه إذا التقى صوت الياء بالواو والسابق منهما ساكن قلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء، والغلبة للياء لأنها أخفّ لشبهها بالألف.

وبهدي ما سبق نستنتج أن :

-الحرف أقوى من الحركة، ونقصد بذلك الحرف حرف العلة، والحركة الحركة التي عليه، لأن "ميسر" من "أيسر" أصبحت مؤسر وميقن من أيقن أصبحت "موقن"، حيث قلبت الضمة الواو ياءً لما سكنت فقويت بذلك الحركتان وإن كانتا ضعيفتين على قلب الياء والواو<sup>2</sup>، وبإمعان النظر نجد ها هنا خرقاً للنسق الصوتي المألوف بسبب وجود الواو متلوة بكسر ومسبوقة بياء، وكلاهما، أي الكسر والياء من جنس واحد، ووجود الواو ها هنا محاصر يقتضي تطويعه لسببين :

1- لعلّة الإدغام، أي العمل من وجه واحد .

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/68.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج2/234.

2- النسق الصوتي يفرض قلبها أو يوقّر مناخاً صوتياً يوجب قلبها إلى جنس ذلك النسق، وقلنا : إن القاعدة أو العلة عند ابن جني لا تطرد دائماً، لأنه يقدم لكل سياق تعليلي مساحة متسعة من البعدين الصوتي والصرفي للمفردة، وفق الآتي:

- أن الياء تقلب الواو المتحركة في نحو " سيّد " و " قيّم " من " سيّود " و " قيّوم " .

- تقلب الكسرة الواو الساكنة في نحو: " ميقات " و " ميعاد " من " ميّقات " و " ميعاد " .

- تقلب الضمة الياء الساكنة في نحو " مؤسّر " من " ميّسر "، و " مؤقف " من " ميّقن "

فإذا كانت كل من الضمة والكسرة قادرتين على قلب الواو والياء الساكنتين دون المتحركين،

فما علة عدم الانقلاب في نحو " سُيّل " و " عُيّل " ؟ وما جرى مجراها كما علّوط واجلّوذ .

ترك الإجابة عن التساؤل إلى بابه وهو قلب الياء واوا، وما ورد حولها من تعليقات، حيث إن

هذه السياقات لا تخرج عن كون تعليقاتها الصوتية وليدة علاقات توحى بقدرة أصوات العلة على

تطويع السياق لمقتضى الحال.

والأنساق الصوتية الناتجة عن السابق هي كالاتي:

- ميّزان ← مؤّزان ← ( و )

- قيام ← قيوّام ← ( و )

- سيّد ← سيّود ← ( ي و )، وبمقارنة هذه الأنساق بما ورد في صيغة " صيود"،

و"طويل"، و"عَيّور" التي تتحصّن بالحركة وتقوى، ولم تقو الحركة على قلبهما<sup>1</sup>، رغم مجيء النسق

الصوتي لهذه السياقات ضمن موضع منطقي باعتبار التسلسل المنطقي لأصوات العلة .

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/237.

ففي "صَيُود" و"طويل" على ضوء الدرس الصوتي الحديث أنه لا وجود للحركة قبل صوت المدّ، بل إن الحرف يحرك بالصوائت الطويلة كما يحرك بالصوائت القصيرة، ولا وجود في الأساس لحركة على الحرف الواقع قبل الصوائت الطويلة<sup>1</sup>.

يظهر من خلال الصيغتين "طويل" و"صَيُود" أنها صحّت مراعاة للمعنى لأنها من طَوّل وصَيّد، حيث الصاد والطاء من أصوات الاستعلاء، وهذا الفضيلة منعت الياء من أن تطالها الكسرة، وحال النطق بهما إلى التعذر هذا من جهة، أما من جهة أخرى، فالكسر هو عكس الاستعلاء لأننا إذ كسرنا أجهفنا بحقها والاستعلاء والأطباق صفتان قويتان في الحرف، فهذه بحسب ما يظهر علّل منعت وحصّنت الواو من الانقلاب إلى الياء .

### 3- التعليل الصوتي لقلب الألف والياء واواً :

**3-1- التعليل الصوتي لقلب الألف واواً :** تقلب الألف واواً إذا انضم ما قبلها " كَبُوعِ " ، و"ضُورِب، وضُورِب<sup>2</sup> ، وقد ذكر سيويه أنه سأل الخليل عن "سُوَيْرَ وبُوعِ" ما منعهم من أن يقلبوا الواو ياء ؟، فقال : لأن هذه الواو ليست بلازمة ولا بأصل، وإنما صارت للضمة حين قُلت ( فُوعِلَ ) لأن ترى أنك تقول : ساير وُيساير، فلا تكون فيها الواو، وكذلك ( تُفُوعِلَ ) في نحو: ( تَبُوعِ ) لأنّ الواو ليست بلازمة، وإنما الأصل الألف<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر : عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص 417.

<sup>2</sup> ينظر : أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص 179.

<sup>3</sup> ينظر: سيويه، الكتاب، ج5/4.

يذكر ابن جني أن المذهب عند العرب في انقلاب الألف إنما هو إلى الواو أكثر منه إلى الياء نحو: ضارب وضَوَّارِب وضَوِّيرِب، فكما جاز أن تقلب في ضَوَّارِب ولا ضمة قبلها وكما في رَحَوِيٍّ وَعَصَوِيٍّ، وَفَتَوِيٍّ...، كذلك حكموا أيضاً أنها، أي الألف في نحو "غزال" و "عُرَاب" إنما قلبت في أول أحوالها واوا فصارت "عُرَيُول" و "عُرَيُوب"، ثم أبدلت الواو ياء في التحقير<sup>1</sup>.

وبالعودة إلى التحليل الصوتي لسياق "ساير" إذا أُريد المجهول منه قلنا: سُوير

فاعل ← ساير = س َ / ي َ / ر َ /

فُوعل ← سُوير = سُ ُ / ي ُ / ر ُ /

نلاحظ حدوث تغيير في البنية ( فوعل ) انطلاقاً من ( ساير ) على مقطعين، حيث تتحول قَمَّة المقطع الأول من س َ / أي من الألف المدية الى واومدية سُ /، وهذا يؤيد قول ابن جني السابق في كون انقلاب الألف في أول أحوالها هو إلى الألف وعملية الاستبدال واضحة بين ( فوعل ) و( فاعل ) في الزوائد، ثم التغيير الثاني الحاصل على مستوى المقطع الثاني / ي َ / تحول / ي ُ /، حيث استبدلت حركة الأصل / َ / بحركة الصيغة ( فُوعل ) / ُ / .

3-2- التحليل الصوتي لقلب الياء واواً : يقول ابن جني: تبدل الواو من الياء على ثلاثة أضرب

أصل وبدل وزائدة، فالأصل قولك من أيقن "وأيسر" و"أيدتُ إليه يداً" "مُوقِن" و"مُوسِر" و"مُودٍ"، وهو "يُوقِنُ" و"يُوسِرُ" و"يُودِي" <sup>2</sup>، حيث الرابط الذي يجمع أواصر أحكام هذا المظهر الإعلالي

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/232

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج2/233.

هو وجود الياء الساكنة مسبوقه بضمة، والشرط الاحترازي ها هنا هو سكون الياء لأنها إذا تحركت قويت على الحركة، فلم تقلبها لأن الياء إذا ضُمَّت صارت إلى تَشَرَّب الواو أكثر نحو "صَيُود".

ومن استثناءات هذه القاعدة ما ورد في نحو: "السُّيْل" و"العُيْل"، فرغم سكون الياء ووجود الضم قبلها إلا أنها لم تتقلب واوًا، وجواب ذلك أن الواو والياء إذا أُدْغِمَتَا بعدتا عن الاعتلال وشبه الألف، لأن الألف لا تدغم أبداً، وإذا قويتا بالإدغام لم تتسلط الحركتان قبلهما على قبلهما<sup>1</sup>، وهذه علة أخرى يضيفها ابن جني نستطيع وسمها بعلة الاحتياط .

ومن السياقات أيضاً اجْلَوْدًا ← اجْلِيوَاذا ← وجود الواو والياء وإحداهما مسبوقه بسكون هذه قاعدة توجب قلب الواو ياء ← إجْلِيادًا، والعلة ها هنا في منع القلب يقول ابن جني: من باب أن الألف الأولى عارضة وليست لازمة ولا واجبة، وإنما القلب لضرب من التخفيف .

إن مبدأ التوسع في العلة عند ابن جني يتجلى أكثر من خلال البعد الصرفي وذلك إننا قلنا متى سكنت الواو والياء قويت عليهما الحركتان وقلبتهما إلى جنسهما كما مرّ بنا : "ميزان" و"موسر" و"موقن" و"ميعاد"، لكن هذه العلة قد تختفي في السياق المائل أمامك كما في نحو "ثياب وحياض ورياض"، فالأصل أن تكون : ثَوَاب، حَوَاض وروَاض"، وإنما قلبت الواو ياء لسكونها في المفرد ثَوْب، حَوْض، رَوْضَة، ومجيئها في الجمع بعد كسرة وقبل ألف ولام الفعل فيها صحيح هي شروط يجب ذكرها مجتمعة وإلا فسدت العلة<sup>2</sup>، ومن العلل الموجبة للقلب أيضاً :

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/235

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج2/236

\*الموضع :

نقل الحروف إذا كانت ساكنة لكنها تتحرك أحياناً ورغم ذلك تُعَلِّ كما في : غازية، محنية، داعية، قاصية، عافية، واجبة لأنها من : "مَحْنَوَة" وَعَزْوُوت، وَحَنُوْتُ، دَاعِوَة، دَعَوْتُ، قاصوة، قَصَوْتُ، عَافَوَة، عَفَوْتُ، رَاجِوَة - رَجَوْتُ، وإنما أُعَلِّت رغم تحركها من قبل أنها لام الفعل فَضَعُف، والفاء والعين قويتان<sup>1</sup>، وموضع الطرف عرضة للتغيير، والحشو أو الوسط إنما يجتمى بالطرفين الابتداء والنهية.

\*الإدغام : أمّا ما كان من نحو: الفُتُو فأصله : الفُتُوَة والفُتُوِي، ولكنهم قلبوا الياء واواً للضمّة قبلها، ولم يعتدوا بالواو الساكنة حاجزاً لضعفها، ولما قلبوا الياء واو أدغموا<sup>2</sup> لعلّة أن يكثر ما يستحقون ويقلّ ما يستثقلون مع شرط ثبات المعنى مع إدراك الاستعمال اللغوي، وليس مجرد التقدير والتعسف<sup>3</sup>.

\*التعويض: أي تعويض الواو لا لعلّة سوى تعويضها عن قلبها ياءً لكثرة دخول الياء عليها، وذلك نحو قولهم : جَبَيْتُ جباوة والأصل أن تقول " جَبَايَة "، "حَيَوَة" أصلها " حِيَة "

\*توالي الأمثال : من ذلك "الحيوان" أصله الحَيَّان قلبت الياء الثانية ( لام ) واواً استكراها لتوالي الأمثال ليختلف الحرفان .

\*الفصل بين الصفة والاسم : في نحو ( فَعَلَى ) وذلك إذا كانت اسماً أبدلوا مكانها الواو نحو: الشَّروى، والفَتوى و، البَقوى، والتَّقوى وهذا أصله من شَوِيَا، وَفَتِيَا، وَبَغِيَا، وَوَقِيَا، فإذا كانت ( فَعَلَى )

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/ 237

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: رشيد حلیم، أصول النحو عند ابن جني، دراسة في كتابيه "الخصائص" و"المختص"، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، طبعة 2010، ص 208.

صفة لم تغير إذا وقعت لاماً، وذلك نحو صديا، ورَيَا، وخَزَيَا، والعلة في القلب ها هنا والإبقاء على الصفة دون تغيير لضرب من التعويض والتكافؤ<sup>1</sup>، لأنهم لما قلبوا في الأول لطلب التخفيف ولم يقلبوا في الصفة لتعويض الواو كثرة دخول الياء عليها .

4-التعليل الصوتي لقلب الياء والواو وألفاً: وذلك ما يجري في الأفعال الماضية من الثلاثي الأجوف وما يحمل عليها من المزيد وفي هذا الصدد يقول ابن جني: ألا ترى أن الألف حرف يُنصرف إليه عن الياء والواو جميعاً، فليس للألف خصوص بأحد حرفي العلة<sup>2</sup>، ونعلم أن الياء والواو متى تحركتا وانفتح ما قبلها قلبتا ألفاً وذلك نحو: قال وباع باعتبار بنية الأصل ( قَوْل، بَيْع )، وكذلك طَالَ، خَاف، هَابَ الأصل فيها طُول - خَوْفَ وَهَيْبَ، ويحتاط ابن جني لهذا الانقلاب بقوله: " إلا إن شدَّ شيء أو يُخَاف لُبس أو يكون التصحيح أمانة " <sup>3</sup>.

وفي ضوء الدرس الصوتي الحديث تجيء هذه الأفعال وأمثالها على النحو الآتي :

قَـ / وَـ / لَـ / ، بَـ / يَـ / عَـ /

حيث تتشكل هذه الأفعال من ثلاثة مقاطع فيحذف المقطع الثاني لكل منها وهو المزدوج

الصاعد في / وَـ / و / يَـ / ، ويجري مدّ مصوّت المقطع الأول / ـَ / حتى يصبح ألفاً .

ونتساءل لماذا هذا السقوط ؟ لأن ما حذفته في مادة يجب أن يطرد في جميع اشتقاقاتها حتى

تجري المثل عندنا مجرى المثال الواحد .

<sup>1</sup> ينظر : ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/239، وينظر أيضا : سر صناعة الإعراب، ج1/102-103.

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج1/321.

<sup>3</sup> ابن جني، التعريف الملوكي، ص 26.

4- التحليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالحذف : الإعلال بالحذف مسمى يوحى بإسقاط حرف

من الحروف الأصول ويكون في ثلاثة مواضع<sup>1</sup> :

الأول : أن يكون حرف مدّ ملتقياً بساكن بعده: ك : قُمْ وَخَفْ وَبِعْ وَالْأَصْلُ قَوْمٌ - خَافٌ - بِيَعٌ

ويستثنى من ذلك حرف العلة المدغم فيما بعده كقولنا : شَادَّ وَيَشَادُّ وَشَوَّدَ فَلَا حَذْفَ فِيهِ .

الثاني : أن يكون الفعل معلوماً مثلاً واوياً على وزن " يَفْعَلُ " المكسور العين في المضارع فتحذف

فأؤه في المضارع والأمر والمصدر أيضاً إذا عوض عنها بالتاء ك : يَعِدُ، وَعَدَ - عِدَّةٌ

الثالث : أن يكون الفعل معتل الآخر فنحده آخره في أمر المفرد المذكر ك : اخْشَ - ادْعُ - اِرْمِ فِي

المضارع المجزوم الذي لم يتصل بآخره شيء ك : لَمْ يَخْشَ - لَمْ يَدْعُ - لَمْ يَرْمِ، ويقول الصرفيون: إن

الحذف في هذا النوع لا للإعلال بل للتعويض عن سكون البناء للأمر، وعن سكون الإعراب في

المضارع<sup>2</sup>، وعلّة الحذف على العموم متأتية من كثرة الاستعمال لهذه الظواهر الصوتية، وقد ترتب عن

هذا أن البنى الصوتية الأكثر حضوراً وتردداً في الكلام تكون عرضة لظواهر لغوية، نسميها أحياناً

إبدالاً، وحيناً آخر إدغاماً، وقد تعرض للسقط من الكلام<sup>3</sup> ويصير الحديث إلى أول وجه من أوجه

الإعلال بالحذف .

4-1- التحليل الصوتي لحذف حرف المدّ : يظل الصامت ساكناً حال تجريده من المصوت، ولكن

حاجة الناطق إلى الصامت تزداد إذا توالى المصوتات خاصة ما كان منها على جنس واحد، فهذا هو

<sup>1</sup> مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ص235، وينظر أيضاً: خالد حسين مصلح الإبدال والإعلال في ألفاظ القرآن، ص137 وما بعدها

<sup>2</sup> ينظر: مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ص236.

<sup>3</sup> ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص223، 224.

ابن جني يعلل لورود الواوين أو الضمتين متواليتين وذلك في نحو طُنْب، وَعُنُق، وَفُنُق، وَحُسُد  
و...، وقلة نحو، إِبِل على الرغم من ثقل الضمة مقارنة بالكسرة، إلا أن ما جاء على وجه الضم أكثر  
لأن العلة في هذا ليست مسألة ثقل بل يردها ابن جني في كون المفرد يشبه الجملة وبينهما مقاربات  
منها أن توالي الضمات في نحو سُجج وَعُطَّ شبه تواليهما في نحو "زيد قائم"<sup>1</sup>، والجر لا يتوالى في  
الجملة كتواليه في الرفع، وعليه يكون الفتح أخف، ومما سبق تكون الأصناف كالاتي:

ـ . ـ / ثقيل يتطلب التخفيف إلا أنه وارد بكثرة .

ـ ـ / أخف من السابق، إلا أنه وارد بصفة أقل .

ـ ـ / أصل الخفة منه .

مثلاً لو قلنا: طُنْب على النحو الآتي : طُنْب : ط ـ / ن ـ / ب ـ ن .

توالى تصنيف من النوع الأول، وهذا يحتاج إلى تخفيف يحذف القمة الثانية من المقطع الثاني،  
ويصبح على الشكل الآتي :

ط ـ ن / ب ـ ن، ويكون حذف قمة المقطع الثاني كسر الرتابة في توالى الأجناس، والأمثلة

الواردة في هذا الباب كثيرة نقتصر على بعضها من خلال الآتي:

قُم الأصل فيه قام — يُقُوم — قُوم — قُم حيث التقى ساكنان نكسر السابق ونحذف

حرف العلة لأنه موصوف بالضعف وبقي ما يدل عليه وهو ضمة القاف<sup>2</sup>، وفي هذا الصدد يورد

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني الخصائص، ج3-126-127.

<sup>2</sup> ينظر: إبراهيم قلاني، قصة الإعراب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة 2009 م، ص 506.

ابن جني مساءلة دارت بين الفراء وأبي عمر الجرمي فسأل أبو عمر أبا زكريا عن أصل "قُم"، فقال

"أقُوم"، فقال : فصنعوا ماذا ؟ قال استثقلوا الضمة على الواو فأسكنوها ونقلوها إلى القاف : فقال له

أبو عمر : هذا خطأ، الواو إذا سكن ما قبلها جرت مجرى الصحيح، ولم تستثقل الحركات فيها<sup>1</sup>.

وحكم ابن جني على صحة مذهب أبي عمر بقوله : إسكانهم إياها وهي مفتوحة في نحو:

"يخاف" و"ينام"، أي أن أصلها "يخُوفٌ، يَنُومٌ، وإنما إعلال المضارع هنا محمول عن إعلال الماضي<sup>2</sup>.

ومن الأفعال الواردة في هذا الباب أيضاً:

- ترميون : يقول ابن جني ألا تراك تقول في العين المكسورة بنقل الضمة إليها مكان كسرتها، ويسمى

هذا هجوم الحركة الثانية الحادثة على الأولى الراجعة<sup>3</sup>، أي أننا نقلنا حركة الياء (الضمة) إلى الميم

فابتزت الضمة الميم كسرتها وحلت محلها<sup>4</sup>، فصار التقدير : يَرْمِيُونَ — يَرْمُونُ، ونستطيع عرض

تصور القدماء في فهم هذه المسألة على النحو الآتي: حيث بعد إسناد رمى إلى واو الجماعة يصبح:

رَمِيؤُ:

رَ — / م — / ي — + — /، فتحذف قمة المقطع الثالث وهو مزدوج صاعد فيلتنقي ساكنان

تحذف الياء ثم تستبدل قمة المقطع الثاني بالضم / م — / — / لتجانس واو الجماعة، ويعاد

تشكيل البناء بعد حذف مقطع كامل / ي — / فيصبح / — / م — + — .

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/213.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/213.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

#### 2\_4 التحليل الصوتي للقاعدة الثانية : وتعلق بحذف فاء المضارع والأمر والمصدر من المثال الواوي

على وزن ( يفعل ) بكسر العين، وتأتى هذه القاعدة إثر سياقات ثقيلة، وجاء منها فعلان اثنان

هما: "وَجَلَّ" و "وَعَدَّ"، حيث الأول لا تحذف فاؤه والثاني تحذف فاؤه على النحو الآتي<sup>1</sup>:

وَجَلَّ — يُوَجِّلُ — أُوَجِّلُ — وَجَلَّ وَوَجَلَّةً .

وَعَدَّ — يَعِدُ — عِدَّ — عِدَّةً، والأصل في يَعِدُ "يُوَعِدُ" .

ويرجع ابن جني العلة في هذا الحذف أن الواو متى كانت فاء للفعل وكان ماضيه على "فَعَلَّ"

ومضارعه "يَفْعَلُ"، ففاؤه التي هي واو محذوفة، والسبب في ذلك لوقوعها بين ياء وكسرة<sup>2</sup>، فكأنها قد

وقعت بين عدوين الكسرة والياء مما يحيل إلى القول إنها في "يُوَجِّلُ" و "يُوَجِّلُ" وقعت بين فتحيتين

وبين ضمة وفتحة، وهذا سياق فيه خفة متأصلة فلم تحذف، وكذلك حذفوا الواو من المصدر فقالوا :

عِدَّةً و "زِنَّةً" حيث استثقلوا الكسرة على الواو في ( وَعِدَّةً ) و ( وَزِنَّةً ) فنقلوها إلى ما بعدها، حذف

الواو تخفيفاً قياساً إلى حذفها في فعل المصدر "أَعِدُّ" و "أَزِنُّ"<sup>3</sup>، وعليه يكون النسق الصوتي

كالآتي:

- يَ عَ / وِ / دُ / — ← يُوَعِدُ .

- يَ جَ / وِ / لُ / — ← يُوَجِّلُ .

<sup>1</sup> ينظر: إبراهيم قلاني، قصة الإعراب، ص 503.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، التصريف الملوكي، ص 43-44.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

وجاءت أفعال أخرى على نمط "يوجل"، لكنها حذفت فاؤها، ومن هذه الأفعال يدع، يذر، يهب، يَسْعُ، يَضْعُ، يَطَأُ ويقع<sup>1</sup>، والسبب في هذا أنّ من شروط الحذف ثلاثاً، الثاني منها أنها إذا فتحت امتنع الحذف، إلا أن "يقع ويَضْعُ" أصلها كسر العين، لأن الماضي منهما على (فَعَلَ) فاعتُبر كسراً مقدراً في المضارع / لأن القياس "يَفْعِلُ"<sup>2</sup>، وقد علمنا كراهية العرب للواو بين ياء وكسرة، وعليه يمكن القول إن هذه الأصوات لها من الحركية بحيث تعود المفردات إلى الاستغناء عن أبنيتها الأصول إلى أبنية أخرى .

#### 4-3 التعليل الصوتي لحذف آخر الفعل المعتل :

يقول ابن جني " والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبدولان للعوارض دونها، ولذلك نجد الإعلال بالحذف فيهما دونها "<sup>3</sup>، وهذا دليل على قلة الحذف في العين .

ولو أخذنا بعض الأنساق الصوتية التي يعرض لها الحذف وأردنا مقارنتها في حالتها الرفع والنصب لأمكنا تصور الآتي:

1 يغزؤو = يَغزؤو، والنسق الصوتي منه :

في حالة الرفع : / ُ / ُ / ← يَغزؤو ← ي \_ غ / ز ُ / و ُ / بعد الإسكان ونقل

الحركة الى الساكن قبلها نتج عن ذلك سقوط قمة المقطع الأخير مما أدى إلى اتحاد نصف الصائت

(و) مع قمة المقطع الثاني / ز ُ / ليكون صائتاً طويلاً / ُ / وتعاد هيكلته على الآتي :

<sup>1</sup> ينظر: مصطفى الغلابي، جامع الدروس العربية، ص 236.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، التصريف الملوكي، ( الهامش )، ص 43.

<sup>3</sup> ابن جني، الخصائص، ج 2/102-103.

يغزو — / يَ غَ / زُ / ومجيء الواو موضع اللام إنما هو يقول الصرفيون موضع إعراب  
وعليه ينتابها الضعف لأنها في موضع اللام، والثاني أنها معتلة، يمكن القول إن ساحة الواو في المقطع  
الأخير قد أفرغت من قمتها / ُ / في حالة الرفع، وشكلت مع حركة الصيغة ( يفعل ) السابقة  
صائتاً طويلاً / ُ / حيث هذا الأخير له القدرة على الانشطار ليعيد الواو إلى ما كانت عليه،  
وذلك في حالة النصب على النحو الآتي :

يَغْزُو ← يَ غَ / زُ / يحدث من الانشطار في حالة النصب حيث قمة المقطع الثاني  
/ ُ / تتحول إلى / ُ / والصائت هنا يبقى قمة المقطع الثاني أما نصف الصائت / و / فسوف  
يكون قاعدة لمقطع جديد في حالة النصب قمته الفتحة ويعاد على الشكل الآتي :

يَغْزُو ← يَ غَ / زُ / وِ / متأثراً بالنواصب والجوازم التي تشبعه ومنتهياً بفتحة وهي  
بعض الألف التي فيها من الخفة ما يجعلها أشبه بالنفس<sup>1</sup>.

2 - يَرْمِي : في حالة الرفع : يَ رَ / مِ / يَ / توفر نسق صوتي في المقطع الأخير  
مستثقل فتحذف قمة المقطع الأخير / ُ / وتشكل قاعدته / يَ / نصف الصائت مع قمة المقطع  
السابق / مِ / صائتاً طويلاً على النحو الآتي : يَ رَ / مِ / ، وعليه تكون ساحة الياء قد  
أفرغت من قمتها لأنها في موضع اللام ولأنها معتلة، وشكلت مع حركة الصيغة ( يَفْعِلُ ) حالة لا  
تصنف نحوياً فكان الجرّ وارد ها هنا، ولو أن الفعل لا يجرّ، وهذا الصائت الطويل المشكل / مِ / له

<sup>1</sup> ينظر : سيبويه، الكتاب، ج4/479.

القدرة على الانشطار وإعادة الهيكلة المقطعية إلى سابق أصلها ( يرمي ) إذا أريد له النصب، وهذا الإلحاق ترتب عليه متغيرات صوتية :

-وجود الكسرة ( ـِ ) مع / م / في موضع اللام أعطى النسق الصوتي الآتي :

( ـِ ي ـِ ) وهو مستثقل لوجود متواليات متجانسة، حيث الحركة سواء مع ( يغزو ) في حالة الرفع أو مع ( يرمي ) حالة الجزم قد اعترها نوع من الإخفاء، لأن ابن جني يقول: الحركتان المتفتقتان نحو " يغزون " و " يدعون " وأصله " يغزؤون " و " يدعوون " فكأن الضمة أخفيت في الواو<sup>1</sup>، وكذلك يجوز لنا أن نقول: إن الكسرة تخفى في الياء إذا كُسِرت، والياء والواو إنما يتبعان في حكم الاعتلال ما هو منهما<sup>2</sup>، وبهذا يكون الحذف ها هنا غير متحقق وينتج عن هذا النسق الآتي :

-يرمي / — ي — ر / م — / ي — /، وهو نسق تسمح به العربية لأن الياء ونوعي الكسر والفتح متجاورين أماميين متقاربين، وخصوصاً أنه ينتهي بالفتحة التي هي بعض الألف، والتي هي من الخفة بمكان حتى صارت إلى النفس أشبه<sup>3</sup>، والأمر الثاني هو أن القمة الأخيرة / — /

لهذا النسق ( ـِ ي ـِ ) تعدُّ خرقاً للرتابة الموجودة في النسق الثقيل / — ي — /

وعلة الحذف قد تكون للجزم، أو للاستخفاف كما تحذف الحركة يقول ابن جني نظير حذف هذه

الحروف للتخفيف حذف الحركات أيضاً<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/96.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/196.

<sup>3</sup> ينظر : سيبويه، الكتاب، ج4/479.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/211.

وخلاصة هذا المبحث هو أن التحليل لمظاهر الاعتلال الصوتي جاء لسببين:

- لتثبيت حركية الصوائت وأشباه الصوائت في التبدلات الصوتية الاعلالية .

- الطريقة التي يستند إليها الأوائل تعتمد أولاً على رصد الظاهرة، ثم تشفيها بتعليلات الهدف منها

تتبع مواطن الصنعة والتأويل، والثاني ترسيخ هذه القواعد الصوتية، وجعلها أدوات لتبرير المقابلات بين

الأصول والفروع، أو المادة ومشتقاتها، وابن جني واحد من هؤلاء، لكنّه تميز عن غيره بخاصية التبرير

العقلي التي تعدّ بوابة تؤسس لنظرية صوتية، تحيل إلى التكامل بين النحو والصرف والصوت والدلالة،

وتتجاوز حدود الزمان والمكان.

# الفصل الرابع

التَّعْلِيلُ الصَّوْتِيُّ لِلْقَرَاءَاتِ

المتواترة والشاذة

### أولاً- القراءة المقبولة والمردودة :

يحتوي كتاب النشر في القراءات العشر على أصدق المناشير وأوضح الأدلة على نباهة مؤلفه وسمو مرتبته في هذا الفن الجليل<sup>1</sup>، فق ذكر العلماء أنّ القراءة المقبولة قاعدتها كل قراءة وافقت اللغة العربية، ووافقت رسم أحد المصاحف العثمانية، وثبتت بطريق التواتر<sup>2</sup>، فموافقة العربية ولو بوجه، وموافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها، ومتى احتل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة<sup>3</sup>.

وينبغي أن يعلم أنه من أهمّ هذه الأركان هو الركن الثالث، وما بقي لازمان له، إذ أنه متى تحقق تواتر القراءة لزم أن تكون موافقة للغة العرب، ولأحد المصاحف العثمانية، فالعمدة هو التواتر<sup>4</sup>.  
فما مدى مفهومية الشرطين الأولين؟ موافقة العربية وموافقة الرسم العثماني :

**1- موافقة العربية:** أي أن توافق وجهه من وجوه النحو سواء أكان أفصح أم فصيحاً، والعيار في ذلك ليس الأفشى والأقيس، بل الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية<sup>5</sup>، والعلة في ذلك أن القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها .

**2- موافقة أحد المصاحف العثمانية:** أن تثبت ولو في بعضها كقراءة ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾ بحذف الواو التي قبل السين ثابتة في المصحف المدني والشامي، وكزيادة الباءين في ﴿وبالزبر وبالكتاب المنير﴾ ثابتة في المصحف الشامي<sup>6</sup>، فالموافقة على هذا نوعين :

<sup>1</sup> ابن الجزري النشر في القراءات العشر، ج1/د.

<sup>2</sup> عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط، 1981م/1401هـ، ص 07.

<sup>3</sup> ينظر : ابن الجزري النشر في القراءات العشر، ج1/09.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع السابق .

<sup>5</sup> ينظر : المرجع السابق، ص07 وما بعدها، وينظر أيضاً: النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج1/11.

<sup>6</sup> ينظر : عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص 08.

تحقيقية: موافقة صريحة كقراءة ﴿ مالك يوم الدين ﴾ بحذف الألف في سائر المصاحف<sup>1</sup>.

تقديرية: وهي الموافقة احتمالاً، فقد حولف صريح الرسم في مواضع إجماعاً نحو ( السموات والصلحت والليل والصلوة والزكوة والربوا )<sup>2</sup>، ومن هنا نتج لنا أن القراءات قسّمت إلى ثلاثة أقسام :

1-المجمع عليها : الصحيحة المستوفية لأركان الصحة الثلاثة السابقة<sup>3</sup>.

2- ما صحّ نقله عن الأحاد وصحّ وجهه في العربية، وخالف لفظه خط المصحف، وهذا القسم يقبل، ولا يقرأ به لأمرين الأول منهما أنه لم ينقل بإجماع، والقرآن لا يثبت بخبر الواحد، والثاني لأنه مخالف لما أجمع عليه، فلا يقطع بصحته، فهو شاذ لا يقرأ به<sup>4</sup>.

3- ما نقله ثقة أو غير ثقة، ولا وجه له في العربية، فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف<sup>5</sup>.

ويبقى التواتر شرط في صحة القراءة، حتى وإن وافقت القراءة رسم المصاحف والعربية، ولا خلاف بين العلماء في أن القراءات السبعة متواترة .

القراءات القرآنية منهج لساني معاصر :

لقد أفرد سمير شريف استيتية كتاباً تناول فيه الظواهر الصوتية في اثنتي عشرة قراءة، وأول سبع منها هي القراءات السبع المتواترة، ثم القراءات الثلاث المكملة للعشرة، وهي أيضاً متواترة<sup>6</sup>، ومهما

<sup>1</sup> ينظر : عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ،ص 08 .

<sup>2</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/11.

<sup>3</sup> ينظر : فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، عالم الكتب الحديث، وإربد، الأردن، ط2012/1م، ص10.

<sup>4</sup> الإبانة عن معاني القراءات، ص 51، وإبراز المعاني، ص 07، تقلا عن فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 11.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع السابق، ص11.

<sup>6</sup> ينظر، سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، إربد د ط، 2005، ص10

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

قيل في القراءات الشواذ، فنحن إذا ندرسها نستظهر جوانب التعليق والاختيار منها لما ذكره ابن جني خاصة في مؤلفه "المحتسب"، فنقبل ما يقبله التواتر ونرفض متبعين لا مبتدعين ما رده علماءنا الأفاضل.

**التواتر والسند:** التواتر نقل جماعية يمتنع تواطؤهم على الكذب من البداية إلى النهاية أو عن جماعة كذلك من أول السند إلى منتهاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>1</sup>، وقد جنح الشيخ مكّي بن أبي طالب وتبعه المحقق ابن الجزري إلى الاكتفاء بصحة السند وجعله مكان التواتر، وقد نقل عبد الفتاح القاضي قولاً للإمام النووي في شرح الطيبة، في هذا الصدد فقال معلقاً: وهذا قول حادث (أي الاكتفاء بصحة السند دون التواتر) مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين وغيرهم، لأن القرآن عند الجمهور من أئمة المذاهب وغيرهم، هو ما نقل بين دفتي المصحف نقلاً متواتراً<sup>2</sup>.

أي أن التواتر جزء الحد فلا تتصور ماهية القرآن إلا به، وعليه فابن الجزري لا أظن أنه يغفل مسألة كهذه خاصة وأنه بني عليه مؤلفه النشر في القراءات العشر، وإلا فما دلالة إجماع الجمهور على تواتر القراءات العشرية التي أوردها ابن الجزري؟، فقد تضمنت صحة السند وارتفاعه إلى رسول الله ضابط التواتر الذي لا يتصور القرآن إلا به، ولست أزعّم أو أبدي رأياً في أمر عظيم هو أمر القرآن، والدّين بقدر ما أتمس التسليم، لأن الدّين لا يأخذ لا بالعقل، ولا بالمنطق، ولن يكون العقل حكماً على النص المنقول، لأن المنقول من أمر الغيب، وهو وحي، والعقل حكم الواقع.

<sup>1</sup> ينظر: فوزي حسن الشايب قراءات وأصوات، ص12، وينظر أيضاً، عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب ص08.

<sup>2</sup> ينظر: عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص09.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

وعلى هذا فكل قراءة وراء القراءات العشر لا يحكم بقرآنتها، فهي قراءة شاذة، والله أعلم .

القراءات السبع وأصحابها<sup>1</sup> :

الرقم	القارئ	تاريخ وفاته	مكانه
01	عبد الله بن كثير	120هـ	قارئ بمكة
02	نافع بن أبي رويم	169هـ	قارئ بالمدينة المنورة
03	أبو عمر بن العلاء	154هـ	قارئ بالبصرة
04	عاصم بن أبي النجود	127هـ	قارئ بالكوفة
05	حمزة بن حبيب الزيات	156هـ	قارئ بالكوفة
06	علي بن حمزة الكسائي	189هـ	قارئ بالكوفة
07	عبد الله بن عامر	118هـ	قارئ حاضرة الشام

مع مكونات الجدول :

رتب القراء ليس بحسب تاريخ الوفاة، إنما يحسب أهمية المكان بدءاً بمكة ووصولاً إلى الشام، ومن خلال الجدول تبين اختلاف الأمصار واختلاف القراء، لأن في الأمر فائدة أو بالأحرى فوائد نذكر منها :

- التسيير على الأمة التي شوفت بالقرآن الكريم، فقد نزل القرآن باللسان العربي .
- والعرب يومئذ قبائل كثيرة مختلفة اللهجات، فواكب القرآن هذا التعدد والتنوع دفعاً للمشقة وبذلاً لليسير .

<sup>1</sup> ينظر : فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 13.

■ كل قراءة مع القراءة الأخرى بمنزلة الآية للآية مؤكدة لها أو موضحة أو مضيئة إليها معنى جديداً<sup>1</sup>.

■ لا تباين في المعاني، وبالتالي لا تضاد في الألفاظ .

وهناك بعض الفوائد التي نعملها في باب الأحكام الشرعية .

■ الجمع بين حكمتين مختلفتين كما في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا

تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾<sup>2</sup>، حيث قرئت ( يطهرن ) بتخفيف الطاء وتشديدها، ومجموع

القراءتين يفيد أن الحائض لا يجوز أن يقربها زوجها إلا إذا طهرت بأمرين انقطاع الدم، والاعتسال<sup>3</sup> .

■ الدلالة على حكمين شرعيين في حالتين مختلفتين كقوله تعالى ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ

وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾<sup>4</sup>، حيث قرئت

(أرجلكم) بالنصب عطفاً على ( وجوهكم )، وهي تقتضي غسل الأرجل لعطفها على

مغسول وهي الوجوه، وقرئت ( أرجلكم ) بالجرّ عطفاً على رءوسكم ) وهي تقتضي مسح

الأرجل لعطفها على ممسوح وهو الرؤوس، وفي ذلك إقرار لحكم المسح على الخفين<sup>5</sup> .

<sup>1</sup> أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن . ط1/2013م، ص358 وما بعدها .

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 222.

<sup>3</sup> طالع: المرجع نفسه، ص 360.

<sup>4</sup> سورة المائدة، الآية 06.

<sup>5</sup> بالنصب قراءة نافع، والكسائي، وابن عامر، وحفص وقرأ الباقون بالجرّ، ينظر: ابن الباش أحمد بن علي، الإقناع في القراءات السبع، تح عبد المجيد قطامش، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، د ط، 2001، ج634/2.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

اتصال سند هذه القراءات علامة على اتصال الأمة بالسند الإلهي، فكان ذلك تخصيصاً بالفضل لهذه الأمة.

وعليه فإنّ القراءات القرآنية توفر لنا بيئة خصبة لدراسة الظواهر الصوتية، الصرفية والنحوية للغة للعربية، وأوجه الاختيار فيها خاصة اللهجات منها لأن العربية في بدء تطورها هي صدى لهذه اللهجات، أقول هذا لأربط العلاقة بين المتواتر والشائع وبين الشاذ والمردود، فما حقيقة القراءات الشاذة؟

**القراءات الشاذة:** لم يشتهر من القراءات الكثيرة سوى السبع، وهذه القراءات في مجملها صدى للهجات العربية، وأي مسعى لتحديد التأريخ الدقيق لبداية ظهور هذه اللهجات يبدو أنّه من الصعوبة بمكان، لأن هذه اللهجة في حد ذاتها لا تكون شائعة إلا في المحادثات والمخاطبات اليومية العادية بين الأفراد.

بالقياس إلى أركان القراءة الصحيحة المتواترة إذا لم تثبت القراءة بطريق التواتر صارت شاذة، وعند مكّي ومن وافقه ما خالف الرسم أو العربية، ولو كان منقولاً عن الثقات، أو ما وافق الرسم والعربية ونقله غير ثقة أو نقله ثقة، ولكن لم يتلق بالقبول ولم يبلغ درجة الاستفاضة والشهرة<sup>1</sup>.  
بناء على هذا يستقر لدينا :

إنّ قراءة الأئمة الأربعة أو أحدهم أورا ومن رواهم لا تجوز القراءة بها مطلقاً على رأي الجمهور، ولو وافقت العربية والرسم، لأنها لم تنقل بطريق التواتر<sup>2</sup>، بمعنى أنه انتهى زمن الترخيص

<sup>1</sup> ينظر : عبد الفتاح القاضي، القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، ص 10.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه .

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

الممنوح لهم في قراءتهم لأن الألسنة قد تدرت، والأفئدة قد لانت، والحمية قد زالت، وحن الالتزام بسنة القراءة المشروعة، وعدم الخضوع لأي هوى متبع أو قصد جائر<sup>1</sup>.

الأئمة الأربعة ورواتهم وطرقهم<sup>2</sup>:

الرقم	الإمام	راويــــــــاه
01	ابن محيـصن	البزي وابن شنبوذ بسندهما إلى شبل عنه
02	يحي اليزيدي	سليمان بن الحكم عنه، ورواية أحمد بن فرح عن الدوري عنه.
03	الحسن البصري	شجاع عن عيسى الثقفي عنه، ورواية الدوري عن شجاع عن عيسى الثقفي عنه
04	الأعمش	الشنبوزي والمطوعي بسندهما إلى ابن قدامة عنه .

مع مكونات الجدول :

كل قارئ من هؤلاء لو تصفحت كتب السير والتراجم لوجدت أنه عالم بالعربية محقق ضابط، حجة، طواف، صالح متبحر إلا أنه أحياناً يعلو العلم على العقل، فيخرج الواحد منهم عن إجماع أهل العلم، فيصنع لنفسه اختياراً في القراءة على مذهب العربية ومقاييسها، ناسياً أن اللغة ما كانت أن تكون مجالاً للدراسة بعيداً عن الوحي، وهذه الاختيارات باعدت بعض الجوانب الموسيقية للغة، التي منها على سبيل الذكر لا الحصر :

<sup>1</sup> طالع: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 26 إلى 29.

<sup>2</sup> طالع : سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص 05-06

### 1- النغم في اللغة العربية :

يقول الجاحظ " الصوت هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً موزوناً، ولا منشوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف<sup>1</sup>، قيل لعبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي: لم تؤثر السجع على المنشور وتلزم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إن كلامي لو كنت لا أمل فيه إلا سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكني أريد الغائب والحاضر والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحق بالتقييد، وبقلة التفلت، وما تكلمت به العرب من جيد المنشور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون، فلم يحفظ من المنشور عشرة ولا ضاع من الموزون عشره<sup>2</sup>.

ولعلّ الحكمة كامنة في هذا الانسجام الذي يدرك به المرء سرّاً في توالي أجزائه، لأنّ الكلام الموزون ذو النغم الموسيقي يثير فينا انتباهاً عجبياً، حيث تتخذ الخرزة من خرزاته في موضع ما شكلاً خاصاً وحجماً خاصاً ولوناً خاصاً<sup>3</sup>.

إنّ حسن النغم وعدوبة القول يزيد الكلام حسناً على السمع وهذه سمة تميزت بها اللغة العربية، فأصواتها ذات جرس موسيقي مؤثر.

### 2 - التحليل الصوتي والظواهر الموسيقية في اللغة العربية: لقد اعتمد القوم أول الحال على

مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتسبت الآذان المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة،

<sup>1</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج1/79.

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج1/288.

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، القاهرة، ط1/1988م، ص 05

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

وأصبحت مرهفة تستريح إلى كلام لحسن وقعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لنبوه أو لأنه كما يعبر أهل الموسيقى نشاز .

إنّ الصوت له قيمة سمعية ، فكل حرف له صوت ترجع طبقته من التنغيم إلى مخرجه من جهاز النطق، فكأن المخارج أوتار يعزف عليها اللسان ، فيخرج من كل وتر صوت، وتأليف الكلمة من حروفها كتأليف اللحن من نقراته، والتعبير تحسّه الآذان ويفسره العقل والوجدان التفسير اللائق بإيقاعه<sup>1</sup>، وكلما كان تعديل الحروف في التأليف زاد التلاؤم .

إنّ الحروف التي هي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، حيث أنك تجد لبعض النغم والألوان حسناً يتصور في النفس، ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه، كلّ ذلك لوجه يقع في التأليف<sup>2</sup>، وحسن التأليف إنما يحصل من حسن العناية بالجرس، لأن الألفاظ خدم المعاني، فقد حدث وأن أنكر أعرابي حين شكا إلى عامل الماء بقوله: حلأت ركابي، وشققت ثيابي، وضربت صحابي، فقال له العامل: "أو سجع أيضا"، فإنكار العامل السجع حتى قال: فكيف أقول؟، وذلك أنه لم يعلم أصلح لما أراد من هذه الألفاظ، ولم يره بالسجع مخللاً بالمعنى أو محدثاً في الكلام استكراهاً أو خارجاً إلى تكلف، واستعمال لما ليس بمعتاد في غرضه<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: عز الدين السيد، التكرير بين المثير والتأثير، ص11 نقلا عن محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص06

<sup>2</sup> ينظر: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص55

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص11.

فلوقال مثلاً: حلاّت إبلي أو جمالي أو نوقي أو بعراني أو صرمتي، لكان لم يعبر ما خفي معناه<sup>1</sup>، فكأن المعنى قاده إلى ذلك، ولو رام ترك ذلك فقد رام من عقوق المعنى وإدخال الوحشة ما يستكره به كلامه أو سجعه، وإن كان في الكلام المنثور والشعر الموزون ما يكسب اللفظة أبهة ويكسوها رونقا وديباجة، ويزيدها طلاوة، فإن الشعر محال وهيئات أن يبلغ شأو القرآن الكريم .

### 3- النسق القرآني الكريم:

إن جميع الفنون التفسيرية عند العرب لا تعدو أن تكون نظماً أو نثراً، وللنظم أعاريض وأوزان محددة معروفة، وللنثر طرائق من السجع والإرسال، وغيرهما مبينة ومعلومة، لكن القرآن الكريم ليس على أعاريض الشعر، وليس على سنن النثر المعروفة في إرساله، ولا في تسجيعة، فكان القرآن العظيم غير لاحق بالمعهد من طرائقهم، فانتهوا إلى أنه منزل من رب العالمين<sup>2</sup>، لذلك من جاء بغير المعروف في الطباع، فهو المعجز بحق، وهذا هو ديدن القرآن العظيم.

يقول الزرقاني: هذا الجمال الصوتي، أو النظام التوقيفي هو أول شيء أحسسته الآذان العربية أيام نزول القرآن الكريم<sup>3</sup>.

إن تميز المفردة الواحدة في النص القرآني يوحى بجمال حسي، تصويري صوتي فكري معنوي، يوجز المعاني الكثيرة، يرتفع بالخطاب للإنسان، فيستوعب الموضوع، حيث تصافح فيه المفردة الوجدان والسمع وتطرق باب المشاعر، إنه بحق جمال فني، والمتبع لأوجه التعليق الصوتي عند ابن جني خاصة

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص12 وما بعدها .

<sup>2</sup> ينظر: عبد القاهر الجرجاني، الإعجاز في نظم القرآن، ص66.

<sup>3</sup> ينظر: عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ط3/1943م، ج2/206.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

فيما تعلق بالقراءات الشاذة فرغم أنه قد قوى بعض الوجوه منها، لأنه أو غيره من النحويين واللغويين وجهوا القراءات القرآنية توجيهاً لغوياً<sup>1</sup>، إلا أنه يبدو مستبعداً أن يكون في اعتقاد ابن جني أن القراءات أديت تنبثق عن أصحابها .

يقف ابن جني في تأليف المحتسب هو و أبو حيان الأندلسي على طرفي نقيض، فهذا الأخير قد انبرى للدفاع والمنافحة عن القراءات المطعون فيها، وقد أسند موقفه هذا على أربعة ركائز<sup>2</sup> :

1. أن القراءات متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز الطعن فيها .

2. رواها أهل ثقة، ولا يصح الطعن بهم ولا بقراءتهم .

3. هذه القراءات أجازها مشاهير النحاة .

4. تمثل هذه القراءات لهجات العرب، واللهجات كلها حجة<sup>3</sup> بحسب ابن جني .

أهمّ الركائز التواتر، أما ما بقي منها لازم بالضرورة لأنّ القراءة كما ذكر علماءنا إذا ثبتت بالتواتر لا سبيل لردّها، ثمّ إذا كانت هذه القراءات سنة، فيجب اعتمادها كدعامة للقياس عليها لا إخضاعها هي للحدّ النحوي، لأنّ السنّة يجب أن تتبع بدليل ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا

نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا<sup>4</sup> .

3 ينظر: علي الهروط، أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات القرآنية، كلية الآداب جامعة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد 6، العدد الأول 1943، ص 97.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 97.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 10/2.

<sup>4</sup> سورة الحشر، الآية 07.

ونحن إذ نتحدث عن المذهب النحوي أو التوجه نجد ابن جني يبسط فكره الصوتي على أبوابه التأليفية، فقد جاء له باب أسماء " الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى"<sup>1</sup>، يذكر فيه: هذا الموضوع كثيراً ما يستهوي من يضعف نظره إلى أن يقوده إلى إفساد الصنعة، وذلك كقولهم في تفسير قولنا (أهلك والليل) معناه (ألق أهلك قبل الليل)، فيجّر لفظه (الليل)، إنما تقديره (الحق أهلك وسابق الليل)<sup>2</sup>، ويذكر لمواضع تصور الجرّ في موضع الرفع والرفع في موضع الجرّ أمثلة ويعلل لها، من ذلك قول الشاعر:

في جفانٍ تعترّي نادينا      وسديف حين هاج الصنبر<sup>3</sup>

حيث "الصنبر" هو الماء البارد، و"السديف" هو السنام المقطع، والشاهد في هذا جرّ الفاعل بالفعل، حيث لما احتاج يقول ابن جني إلى القافية ترك الباء فتطرق إلى ذلك بنقل حركة الإعراب إليها تشبيهاً بباب قولهم: هذا بكر، وممرّت بيكر، وكان يجب على هذا أن يضمّ الباء لأنّ الرء مضمونة فيقول: (الصنبر) إلا أنه تصور معنى إضافة الظرف للفعل فصار إلى أنه كأنه قال: "حين هيج الصنبر"، فلما احتاج إلى حركة الباء تصور معنى الجرّ فكسر الباء، أي كأنه نقل الكسرة عن الرء إليها<sup>4</sup>، فهذا أبين في الصنعة من أن نقول: إن الشاعر حرّف القافية للضرورة.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/243.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/243.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/244، والبيت لطرفة.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ويستمر ابن جني في عرض فكره الصوتي، فيجيز بحكم الصنعة مالا تميزه حتى القاعدة النحوية، ففي قولنا: حين هاج الصنبر إنما الإضافة هنا إلى الفعل لا إلى الفاعل، فكيف حرّف ابن جني غير المضاف إليه؟، فيجيب بعلّة أقوى الجزأين منهما، أي الفعل والفاعل حيث الفعل والفاعل كالجاء الواحد، وأقواهما هو الفاعل، فكأن الإضافة إنما هي إليه لا إلى الفعل<sup>1</sup>، فهذا مذهب وتوجه فكري صوتي نحوي مازج فيه ابن جني بين الصوت والنحو والدلالة، لأنك متى تصورت في المجرور معنى الرفع كذلك تمت حالة الشبه بينهما، وبحق هو تبرير رائع نقل من خلاله ابن جني النحو من القاعدة التقليدية إلى مجال التنظير العقلي، إذ نتصور في المرفوع معنى الجرّ، وهذا كلّه يقول تفعله العرب<sup>2</sup>، ومن ذلك أيضاً قول العرب، كلّ رجلٍ وصنعتّه، وأنت وشأنك، ومعناه (أنت مع شأنك)، و(كل رجل مع صنعتّه)، فهذا يوهّم أن الثاني خبر عن الأوّل، كما أنه إذ قال: أنت مع شأنك فإن قوله (مع شأنك) خبر عن أنت، وليس الأمر كذلك، حيث المعنى عليه، وتقدير الإعراب على غيره، إنما (شأنك) معطوف على (أنت)، والخبر محذوف للحمل على المعنى، فكأنه قال: "كل رجل وصنعتّه مقرونان"، و"أنت وشأنك مصطحبان"<sup>3</sup>.

ويسترسل ابن جني في تحديد الاختيار واستحسان اختيار الوجه الأنسب، فيرى أنه متى أمكننا تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى، فهو ما لا به غاية وراءه من ذلك قولهم: عليك زيداً حيث معناه خذ زيداً إذ أن (زيداً) الآن إنما هو منصوب بنفس (عليك) من حيث كان اسماً لفعل

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص ج1/245.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/246.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

متعدٍ، لا أنه منصوب بـ ( خذ)، وقد يخالف تقدير الإعراب تفسير المعنى كما في قول العرب: " أنت ظالم إن فعلت " حيث يقولون في معناه: "إن فعلت فأنت ظالم"، فيوهم هذا بأن ( أنت ظالم ) جواب مقدم، والجواب لا يتقدم على شرطه، إنما (أنت ظالم) دال على الجواب، وساد مسدده، أما أن يكون هو الجواب فلا<sup>1</sup>.

إنّ التوجه النحوي من خلال كلام العرب غير لا حق بالنص القرآني لأن النص القرآني يحمل الدلالات الدقيقة عن معاني الألفاظ مع الحفاظ على جمالية النظم والتناسب الصوتي لهذه الألفاظ، فلنلق نظرة على هذا الجانب من حيث :

**\*البناء الصوتي في القرآن الكريم :**

انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ ﴾<sup>2</sup>، ألا ترى إلى موقف الكفار من القرآن الكريم، وهم يبعدون الناس عنه كما يبعدون أنفسهم عنه، فعبر القرآن الكريم عن ذلك بمفردتين متقاربتين يشعر قريهما بقرب معنييهما .

ثم قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾<sup>3</sup>، حيث النهي عن القهر جاء إلى جانب اليتيم، بمعنى الغلبة عليه والاستيلاء على ماله، وأما السائل فقد نهى عن نهره وإذلاله، ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾<sup>4</sup>، أي مشرقة وإشراقها عن نظرها إلى ربها، وقد توازنت المفردتين لما بينهما من صلة السبب بالمسبب<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/247.

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية 26.

<sup>3</sup> سورة الضحى، الآيتان 9-10.

<sup>4</sup> سورة القيامة، الآيتان 22-23.

<sup>5</sup> ينظر: محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 97.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ثم انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ<sup>1</sup> واختيار المساق في الآية الثانية لتصوير الرحلة التي ينتقل فيها المرء من الدنيا إلى الآخرة فكأنه سوق مسافر ينتهي به السفر إلى الله جلّ وعلا<sup>2</sup>، وإيثار كلمة النبأ في قوله تعالى: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾<sup>3</sup> لما فيها من معنى القوة، لأن هذه المادة تدل على الارتفاع والتواء والبروز والظهور، فناسب مجيئها هنا وصف النبأ تأكيداً لقوته باليقين<sup>4</sup>، فلماذا "المساق" وليس "المنتهي"؟ ولماذا النبأ وليس الخبر؟

إنّ التراكيب اللغوية القرآنية كاملة لاكتمال عناصرها، ونحوها أيضاً مكتمل الجوانب سواء فيما تعلق بنحو الجملة أو نحو النص، لأن النص القرآني يتميز بظاهرة خرق المستويات اللسانية وغير اللسانية مراعاة إما لإيقاع الفاصلة القرآنية، أو مراعاة للإيقاع اللفظي دونما إخلال بالمعنى<sup>5</sup>، ولأنه دقة في الصنعة والتناسق من أوله إلى آخره حرف بحرف وسورة بسورة وآية بأية ورقم برقم، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿سَخَّافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾<sup>6</sup>، فجونس بالقلوب تتقلب والأصل والأصل واحد، فالقلوب تتقلب بالخواطر والأبصار تتقلب في المناظر، والأصل التصرف<sup>7</sup>، وانظر إلى إلى الجناس في الآيات الكريمة :

<sup>1</sup> سورة القيامة، الآيتان 29-30.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه.

<sup>3</sup> سورة النمل، الآية 22

<sup>4</sup> ينظر : أحمد بدوي، من بلاغة القرآن الكريم ، ص 183 نقلا عن :محمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص 98.

<sup>5</sup> ينظر : أحمد البايي، القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، ج2/247 وما بعدها .

<sup>6</sup> سورة النور، الآية 37.

<sup>7</sup> ينظر : أحمد حسن شرشر، البناء الصوتي في البيان القرآني، ص98.

- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا﴾<sup>1</sup>
- ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾<sup>2</sup>
- ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾<sup>3</sup>
- ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾<sup>4</sup>
- ﴿ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾<sup>5</sup>
- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾<sup>6</sup>
- ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>7</sup>

فهذا المحسن البديعي يهدف إلى ناحيتين :

- الأولى: صوتية وهي توفير نوع خاص من الانسجام في النغم والتقارب في الأصوات، وقد بكى ماسرجويه من قراءة أبي الخوخ، فقليل له: كيف بكيت من كتاب الله ولا تصدق به؟ فقال: إنما أبكاني

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية 79.

<sup>2</sup> سورة الواقعة، الآية 89.

<sup>3</sup> سورة الرحمن، الآية 54.

<sup>4</sup> سورة العاديات، الآية 11.

<sup>5</sup> سورة النحل، الآية 69.

<sup>6</sup> سورة العاديات، الآية 07-08.

<sup>7</sup> سورة النمل، الآية 44.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

الشجا<sup>1</sup>، ويؤكد الجاحظ حجته هذه فيضيف إليها حجة أخرى، فيقول: "وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال"<sup>2</sup>، ولم يقل بالمعاني، لأن الأطفال في كثير من ذلك لا يفهمون من المناغاة شيئاً .

أما الناحية الثانية: فتتمثل في كونها معنوية، وهي سرعة الاستدعاء اللفظي للمعنى المراد التعبير عنه، فانظر لحوالنا تأمل الآية الكريمة: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾<sup>3</sup> بإثبات الضمير وحذفه، ولتأمل سياق الآية بدون ضمير ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ألا نلمح هنا انتظاراً للمعنى المكمل فنسأل : نعم إن الله الغني الحميد ماذا ؟ أهو أغنى الأغنياء ؟ أم ماذا ؟ هنا انتظارٌ دلالي لمعنى يتخلق في الذهن ولم يكتمل، وهو ما يعبر عنه في نظريات التلقي الحديثة بأفق التوقعات، فإذا ما أرجعنا الضمير إلى نسق الآية الكريمة على قراءة الجمهور، فإن الدلالة تتسق مع معطيات السياق القبلي والبعدي، وتتعاقد لإفادة معنى القصر، أي أن الله عزّ وجلّ هو وحده الغني الحميد<sup>4</sup>، والقراءة بالوجهين بحذف الضمير وإثباته تدور في فلك أن الله سبحانه وتعالى هو الغني دون الخلائق لأن كل غني إنما يغنيه الله، وكل غني من الخلق فقير إلى رحمة الله هذا فيما قرأ ( فإن الله هو) (هو) عماد، ويسميه البصريون فصلاً، أما من قرأ: ( فإن الله الغني الحميد ) فمعناه أن الله الذي لا يفتقر إلى أحد<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط1969/2م، ج191/4-192.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه ، ج191/4-192.

<sup>3</sup> سورة الحديد، الآية 24

<sup>4</sup> ينظر : أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، ص 378.

<sup>5</sup> الأزهرى، معاني القراءات، ج57/3 نقلاً عن أسامة عبد العزيز جاب الله، جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، ص 387-388.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

يشير القرآن إلى المعنى بلفظين حيث كلّ منهما أنسب لمكانه وموضعه وزمانه، من ذلك أنه يستعمل ( جاء ) لما هو أصعب وأشقّ، ويستعمل ( أتى ) لما هو أخف وأيسر، ولعل من أسباب ذلك أن الفعل ( جاء ) أثقل من ( أتى ) في اللفظ بدليل أنه لم يرد في القرآن فعل مضارع لـ ( جاء ) ولا أمر ولا اسم فاعل، ولا اسم مفعول، ولم يرد إلا الماضي وحده بخلاف ( أتى ) الذي وردت كل تصاريفه، فناسب بين ثقل اللفظ وثقل الموقف في جاء، وخفة اللفظ وخفة الموقف في ( أتى )، والله أعلم<sup>1</sup>، فقال تعالى في سورة النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾<sup>2</sup>، وقال أيضاً في سورة القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾<sup>3</sup> ذلك أن ما قطعه موسى على نفسه في سورة النمل أصعب مما قطعه على نفسه في سورة القصص، فقد قطع في النمل على نفسه أن يأتيهم بخبر أوشهاب قبس، أي أنه سيأتي بالشهاب مقبوساً من النار، والشهاب يدفع أكثر من الجمرّة لما فيه من اللهب الساطع، في حين ترجى ذلك في سورة القصص، والقطع أشقّ وأصعب من الترجي، والترجي تمثل في أن يأتيهم بجمرة من النار والأولى أصعب، وقابل ذلك مهمة كانت أصعب وأشقّ أيضاً في النمل مما في القصص، حيث طلب إليه في النمل أن يبلغ فرعون وقومه رسالة ربّه، في حين طلب إليه في القصص أن يبلغ فرعون وملاه، وتبلغ القوم أوسع وأصعب من تبليغ الملأ، ذلك أن دائرة الملأ ضيقة، وهم المحيطون بفرعون، في حين دائرة

<sup>1</sup> ينظر : فاضل صالح السامرائي، مسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط1437/2هـ-2016م، ص122 وما بعدها.

<sup>2</sup> سورة النمل، الآية 08

<sup>3</sup> سورة القصص، الآية30.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

القوم واسعة لأنهم منتشرون في المدن والقرى<sup>1</sup>، والفرق واضح بين تبليغ المأ والقوم، فهو يستعمل (جاء) لما أرسله إلى فرعون وقومه، واستعمل (أتى) لما أرسله إلى فرعون وملائه .

إنّ للتعبير القرآني خصوصية يختلف بها عن غيره من لاحق كلام العرب والتأمل على حدّ قول ابن جني يوضحها ويمكنك منها لتعرف عن شجاعة العربية<sup>2</sup>.

إنّ الحذف لا يخصّ الحرف وحده، بل إنّ معظم شجاعة العربية على ذلك إلى جانب الزيادة والتقديم والتأخير، الحمل على المعنى والتحريف، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه<sup>3</sup>، ومن الحذف أيضا حذف الحرف والحركة والجملة والمفردة<sup>4</sup>، وليس المقام هنا مقام تفصيل في ذلك.

إنّ قيمة المفردة الجمالية في النص القرآني تتجلى من خلال السياق الذي جاءت فيه حيث نلمس الانسجام بين موسيقى اللفظ ومعناه من خلال ما يتركه الإيقاع من إيجاء نفسي مستفاد من شدة الصوت وضعفه، أي من خلال تنوعه النغمي، فلو عرضنا مثلاً لفظتي: **المطر والغيث** على غرار المثال السابق من خلال (جاء) و(أتى)، وتأمّلنا المفردتين (المطر) و(الغيث) داخل السياقات الدلالية (الصوتية، الاجتماعية، الإيحائية، الهامشية)<sup>5</sup> لمسنا أثر التطور الذي يحصل في المفردة القرآنية مسايرة للتطور الزمني والم

كاتب، فكلّمة مطر تعني في اللغة الماء المنسكب من السحاب، والجمع (أمطار)<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، ص 123-124.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/243.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>5</sup> ينظر : جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني جامعة بغداد، كلية التربية، 2005م، ص 97.

<sup>6</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2/964.

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

يقال أمطرهم الله مطراً أو عذاباً شديداً، وأمطرهم الله في العذاب خاصة<sup>1</sup>، كقوله تعالى: ﴿أَمْطَرْنَا

عَلَيْهِمْ مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذِرِينَ﴾<sup>2</sup>، ﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا سَوْءَ مَطَرٍ﴾<sup>3</sup>،

فهي ها هنا من خلال هذه الأدلة تعني العذاب والنقمة، أي بمعنى جديد لم تألفه العرب لأن مفردة

المطر كانت ترادف الغيث<sup>4</sup>، فحدث هذا التطور من الترادف بين المطر والغيث إلى التضاد، لأن

الغيث تعني في اللغة غثتم بكسر الغين، أي سقيتم الغيث وهو المطر<sup>5</sup>، وقد وردت لفظة الغيث كلها

بمعنى الماء المنزل من السماء رحمة للعباد، وسبب للخير والنماء كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

يُنزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾<sup>6</sup>، فهذا الاختلاف الدلالي في لفظتي (الغيث)

و(المطر) مظهر من مظاهر الإعجاز في التعبير القرآني .

(الغيث) كلمة انسجمت أصواتها مع معناها، حيث الغين حرف مستعلي يبدأ من مؤخرة

اللسان مع الحنك الأعلى ثم يبدأ الانخفاض والانحدار باتجاه الياء ثم الثاء في حركة تمثل تلاؤماً مع

منظر نزول المطر من السماء، بينما لو تأملنا لفظة "المطر" وجدناها أيضاً تسائر مشاهد العذاب

والنقمة المنزلين على الكافرين، حيث الطاء صوت مقلقل والراء حرف تكريري ارتعادي، والميم صوت

أغن أنيني يوحى بقوة العذاب ويزيد في الجرس والإيجاء .

<sup>1</sup> ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج2/964 .

<sup>2</sup> سورة الشعراء، الآية 173 .

<sup>3</sup> سورة الفرقان، الآية 40 .

<sup>4</sup> ينظر: جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص99 .

<sup>5</sup> ينظر : ابن منظور، لسان العرب ، ج1/702 .

<sup>6</sup> سورة الشورى، الآية 28 .

إنّ الربط بين الكلام وبين الصورة المقصودة عقلياً يستهدف زيادة في توصيل المعنى لا تتوفر في الكلام المعهود، وهذا أمر يميلنا إلى الحديث عن مفهومي ثنائية الدلالة .

### الدلالة المركزية والهامشية :

إنّ الدلالة المركزية هي المعنى الحقيقي المتفق عليه، وأهي القدر المشترك من الدلالة الذي يسجله اللغوي في معجمه، أما المعاني المتفرعة الأخرى التي يضيفها المتلقي على المعنى الأصلي فهي الدلالة الهامشية<sup>1</sup>، بمعنى أن ارتباط الدلالة الهامشية بالمتلقي يجعلها ذاتية، بينما يراعي فيها النحوي جانبي الاستعمال القياسي أو السماعي، ورأينا من خلال ما مرّ بنا من أمثلة ظاهرة التطور اللغوي الذي يحدث في الألفاظ، فقد ذكر ابن جني باباً أسماه "باب المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة"<sup>2</sup>.

يرى ابن جني أن أكثر اللغة مع تأمله مجاز لا حقيقة ويخصّ به الأفعال عامة، فمثلاً لو قلنا : ضربت زيداً لعلك إنما ضربت يده أو إصبعه أو ناحية من نواحي جسده، فاحتاط بالتوكيد على موضع الضرب فنقول: ضربت رأسه ومن رأسه نقول ونحتاط: ضربت ناحية من رأسه لا رأسه كله، فوقع التوكيد في اللغة علّة ودليل على شياع المجاز فيها واشتمالها عليه<sup>3</sup>، ويستشهد ابن جني بآيات قرآنية للتفريق بين مواطن الحقيقة والمجاز فيقول : أما قول الله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾<sup>4</sup>، فليس من باب المجاز في الكلام بل هو حقيقة، ويستدل بقول أبي الحسن بأن الكلام واقع لأن المتكلم منا إنما يستحق هذه الصفة بكونه متكلماً لا غير، لا لأنه أحدثه في آلة نطقه، وإن

<sup>1</sup> إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلوالمصرية، ط2/1963م، ص106.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/308.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/210 إلى 212.

<sup>4</sup> سورة النساء، الآية 164.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

كان لا يكون متكلماً حتى يحرك به آلات نطقه، ذاك لو أن أحداً صنع آلة مصوتة وحركها واحتدى بأصواتها أصوات الحروف المقطعة المسموعة في كلامنا، هل نسميه متكلماً؟ وهل نسمي تلك الأصوات كلاماً؟، وكأني بها إشارة إلى علة يقدمها ابن جني أمام ثورة البرامج الحاسوبية الصوتية، لأنه ضمن جوابه مقارنة ومقاربة دقيقة، فهو ينفي أن تكون تلك الأصوات كلاماً، ولا المصوت بها متكلماً لأنه ليس في قوة البشر أن يوردوه بالآلات المصنوعة على سمت الحروف المنطوق بها وصورتها في النفس<sup>1</sup>، زدّ على ذلك إنما الإنسان مصوّر وحاكٍ ومشبه حين يصوّر الحيوان أو يجسمه، بل الخالق هو الله سبحانه وتعالى، وهو القادر على إحداث الكلام على صورته الحقيقية كما يشاء<sup>2</sup>.

**خلاصة صوتية:** إنك نستطيع أن تنقل إلى الآلة صوتاً لكن لا تستطيع أن تنقل إليها إحساساً أو وجدانا أو عاطفة، أو حالة نفسية من حالات وجودك كإنسان، وإلا فلما خصّ القرآن بالحفظ والنقل مشافهة وتواتراً؟ ومن الحقيقة لا المجاز أيضاً قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾<sup>3</sup> وذلك أنه سبحانه ليس عالماً يعلم، فهو إذاً العليم الذي فوق ذوي العلوم أجمعين، ولذلك لم يقل: (فوق كل عالم عليم) لأنه سبحانه وتعالى عالم ولا عالم فوقه<sup>4</sup>.

لو تأملنا لفظي (النور) و(الظلمات) لأمكننا أن نستوحي كثيراً من الدلالات، فلفظة (النور) توحى بكل ما يحقق السعادة للإنسان مثل (الإيمان، والخير، والهداية، والاستقرار، والاطمئنان...)،

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/212.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه .

<sup>3</sup> سورة يوسف، الآية 76.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/213.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ولفظة "الظلمات" توحى بـ ( الكفر، الفسوق، والشر، والخوف، والقلق والاختلال ... ) إلى ذلك من الدلالات<sup>1</sup>، فهذه الرموز لها قابلية على تفجير المعاني العميقة .

وتأمل أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾<sup>2</sup>، وردت استعارة ممتعة مثل ( مدّ العين)، و( زهرة الحياة )، فلو تأملنا الآية لوجدنا أن معناها: لا يلتفت المؤمنون إلى ما يستمتع به الكفار من النعيم الدنيوي، لأن ما عند الله تعالى خير مما عندهم وأبقى، واستعمل القرآن الكريم للتعبير عن هذا المعنى الاستعارة التي ذكرناها (لا تمدن عينيك)، فهي تحفل بدلالات عميقة على الرغم من كونها صورة مألوفة وواضحة<sup>3</sup>، حيث المدّ يعني في اللغة التطويل والمطل، ومدّ بصره إلى الشيء طمح به إليه، وأمد له في الأجل أنسأه فيه، وأمدّه في الغي لغة قليلة<sup>4</sup> .

إنّ مدّ العين يعني النظر إلى الأشخاص، أي لا تفعل ما أنت معتاد له وضار به، ولقد شدّد العلماء من أهل التقوى في وجوب غضّ البصر عن أبنية الظلمة وعُدَدِ الفسقة في اللباس وغير ذلك، لأنهم إنما اتخذوا هذه الأشياء لعيون النظارة، فالناظر إليها محصل لغرضهم وكالمغرى لهم على اتخاذها<sup>5</sup>، وكان من الممكن أن يقول مثلاً: (لا تنظر)، لكنه قال: (لا تمدن عينيك) إذ أن مجرد النظر إلى

<sup>1</sup> ينظر: جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص 144.

<sup>2</sup> سورة طه، الآية 131.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق، ص 145.

<sup>4</sup> طالع: ابن منظور، لسان العرب، ج 2/294، ص 295.

<sup>5</sup> الزمخشري، الكشاف، ج 2/87.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ما فيه الآخرون من النعيم لا يحمل إلا دلالة عادية على نظر معهود لا يستتبع حسرة أو تطلعاً أو تفكيراً في الشيء، على عكس (لا تمدن) لأن المدّ يعني تركيز النظر وإطالته، ويعني إيجاد حلقة موصلة بين طرفين: طرف الناظر، وطرف المنظور إليه مما يحمل دلالة خاصة هي أن الناظر سيقترن نظره إلى الآخرين بالحسد أو بالتطلع أو بتمني امتلاك ما يجده عند غيره، وفي ضوء هذه الحقيقة يمكنك، أن تتبين النكتة الفنية لهذه الاستعارة التي يمكن أن يستخلص المتلقي منها أن على المؤمن ألا يلتفت إلى نعيم المنحرفين الدنيوي لأنهم انخرفوا عن منهج الله تعالى، لأن هذا النعيم سيكون وبالاً عليهم فضلاً على أنه نعيم زائل، وأردف النص القرآني الصورة بصورة فنية تجسد هذا المعنى، فما فيه الآخرون من نعيم هو (زهرة الحياة الدنيا) إذ الزهرة تمتاز بمرأى جميل، رائحة منعشة، وهذا ما يتصل بالخصائص الجمالية، أما ما يتصل بخصائص الحيوية فهو سرعة ذبولها وتلاشيها فما يبقى لها أي أثر، وهذه الخصائص تنطبق تماماً على خصائص النعيم الدنيوي، فالمال، والبنون والعقار والنساء تشكل جميعاً نعيماً يحمل خصائص الزهرة نفسها، فهي تتلاشى مع تلاشي العمر<sup>1</sup>، وكل نعيم لا محالة زائل. من خلال ما سبق نكون قد وقفنا على المستويين الصوتي والدلالي، وذلك بعرض بعض الشواهد لأنه كما قيل يكفي من القلادة ما أحاط بالجد، وفيما يلي نصير المبحث إلى التوجهات النحوية ودراسة بعض الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية.

<sup>1</sup> ينظر: جنان منصور كاظم الجبوري، التطور الدلالي للألفاظ في النص القرآني، ص145.

### النحو والقراءات القرآنية:

نحاول أن نمثل لهذا العنصر من خلال جهود أبي حيان الأندلسي، لأن هذا الأخير انبرى للدفاع والمنافحة عن القراءات المتواترة، يحكم النقل لا العقل، لأن كل قراءة متواترة مع الأخرى بمنزلة الآية مع الآية يجب الإيمان بها كلها، وإتباع ما تضمنته من المعاني علماً وعملاً، ولا يجوز ترك موجب إحداها لأجل الأخرى ظناً أن ذلك تعارض .

والى هذا المعنى والحكم أشار عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فإنه من كفر بحرف منه كفر به كله<sup>1</sup> .

إنّ التوجهات النحوية وإن تباينت بين التأييد والمنافحة والإنكار، أو الطعن تظل مجرد آراء نحوية يقول السيوطي: «كان قوم من النحاة المتقدمين يعيرون على عاصم وحمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية، وينسبونهاهم إلى اللحن، وهم مخطئون في ذلك، فإن قراءاتهم ثابتة بالأسانيد المتواترة الصحيحة التي لا مطعن فيها»<sup>2</sup>.

وهذا الكلام يؤيده صاحب العمدة في هذا الفن، وهو ابن الجزري إذ يقول: «فكم من قراءة أنكروها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها»<sup>3</sup>، وكان من بين المنكرين سيبويه مثلاً حول إسكان همزة (بارئكم)، وراء (يأمركم)، فذكر الحافظ أبو عمر الداني في كتابه "جامع البيان"، وقال الإسكان أصحّ في النقل وأكثر في الأداء،

<sup>1</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر القراءات العشر، ج1/51

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، الاقتراح في علم أصول النحو، تح: أحمد محمد القاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1/1976، ص49.

<sup>3</sup> المرجع السابق، ج1/10.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

وهو الذي اختره وأخذ به<sup>1</sup>، فرغم إقرار سيبويه بسنية القراءة وبضرورة إتباعها، نرى ابن يعيش يعتمد عليها ويدعم بها توجيهاته النحوية<sup>2</sup>.

يبدو أنّ النحاة في بعض توجهاتهم النحوية يقفون على طرفي نقيض مع القراء باتجاه القراءات القرآنية، فالذي يجب هو أن نسلّم بالقراءة المتواترة حتى وإن خالفت القراءة المعايير النحوية، أو الاختيارات المذهبية لبعض النحاة، ولا بأس أن نعرض لبعض القراءات المطعون فيها .

### 1-إبدال السين زائياً: في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾<sup>3</sup>

نقل الأصمعي عن أبي عمر وفي قراءة (الصراط) بإبدال السين زائياً خالصة فرمى بعض اللغويين هذه القراءة بالخطأ، وأنه إنما سمع أبا عمر ويقراها بالمضارعة فتوهمها زائياً، وهذا الكلام حكاة أبو علي الفارسي عن أبي بكر بن مجاهد<sup>4</sup>، فإذا تأملنا هذا التعليق وجدنا أبا علي الفارسي، وهو تلميذ ابن مجاهد في القراءات غير مسلم بما سلم به ابن مجاهد، وهو صاحب السبعة في القراءات، وقد ألف تلميذه أبوعلي الفارسي كتابه "الحجة في علل القراءات السبع"<sup>5</sup>.

وقد ردّ أبو حيان علي من خطأ هذه القراءة برواية أبي جعفر الطوسي قائلاً: «قال في تفسيره وهو إمام من أئمة الامامية "الصراط بالصاد لغة قريش، وهي اللغة الجيدة، وعامة العرب يجعلونها

<sup>1</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/10.

<sup>2</sup> ينظر: علي الهروط، أبوحيان الأندلسي، الطعن في القراءات القرآنية، ص96.

<sup>3</sup> سورة الفاتحة، الآية 06.

<sup>4</sup> أبوحيان النحوي، البحر المحيط، تح: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت ط1/2001م، ج1/25.

<sup>5</sup> ينظر: محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص184.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

سيناء، والزاي لغة لعذرة، وكعب وبني القين<sup>1</sup>، ويقول العكبري:(الصراط) بالسين هو الأصل ...، ومن قرأ بالزاي قلب السين زايًا، لأن الزاي والسين من حروف الصفير، والزاي أشبه بالطاء لأنهما مجهورتان، ومن أشمّ الصاد زايًا قصد أن يجعلها بين الجهر والإطباق<sup>2</sup>.

يذكر ابن الجزري ما روي عن الأصمعي عن أبي عمر و(الزراط) بالزاي الخالصة، وجاء عن حمزة ووجه ذلك أن حروف الصفير يبدل بعضها من بعض، وهي موافقة للرسم كموافقة قراءة السين<sup>3</sup>.

لقد روى ابن جني عن الأصمعي قال:اختلف رجلان في الصقر، فقال أحدهما:الصقر (بالصاد)، وقال الآخر:السّقر (بالسين)، فترضيا بأول وارد عليهما فحكيا له ما هما فيه، فقال:لا أقول كما قلتما إنما هو الزُّقْر، فقد أفاد كل واحد من الثلاثة إلى لغته، وهكذا تتداخل اللغات من باب أنه كلما كثرت الألفاظ على المعنى الواحد كان ذلك أولى بأن تكون لغات لجماعات اجتمعت لإنسان واحد من هنا ومن هنا<sup>4</sup>، والمتتبع لابن جني يجده في كثير المرات حين يعرض لمفردة كأني به يخصّها بحال من الاستثناء بعد أن يورد وجه التأويل والصنعة فيها، فهذا هو يقول:فلا تزال على هذا معتقدًا له حتى تقوم الدلالة على إبدال أحد الحرفين من صاحبه، وهو يعني وجه الإبدال بين الصاد

<sup>1</sup> ينظر: أبو حيان النحوي، البحر المحيط، ج25/1.

<sup>2</sup> أبو البقاء عبد الله بن عبد الله العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، راجعه وعلق عليه، نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1/2002م/1423هـ، ص13.

<sup>3</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج49/1.

<sup>4</sup> ابن جني، الخصائص، ج317/1-318.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

والزاي، فقد ذكر أنه ليس أحد الحرفين بدلا من صاحبه لأن الأصمعي قد أثبتهما معاً، ولم يجعل لأحدهما مزية على صاحبه بدليل قول الشاعر:

وَحَالُ دُونِي مِنَ الْأَبْنَاءِ زَمْرَمَةٌ      كَانُوا الْأَنْوْفَ وَكَانُوا الْأَكْرَمِينَ أَبَا<sup>1</sup>

فتروى "صمصمة" و"زمزمة"<sup>2</sup>، والوجه الصحيح أن نحكم بأن كليهما أصلان منفردان حتى يرد الدليل، ولا يقف ابن جني عند هذا الحد، بل يستطرد عارضا أقوال اللغويين والنحويين على طريقة شيخه أبي علي الفارسي في الاحتجاج للقراءات وتوثيقها بالتماس علة خفية بعيدة الإدراك، يحاول اقتناصها ويقضي في الاختلاف بقوله: "فكل واحدا اتبع ما سمع، وقضى لنفسه، بما صح عنده"<sup>3</sup>، وأحيانا أخرى يستخلص القواعد الصوتية، فيقول: كل غين أوقاف أو طاء بعد سين جاز قلبها صاداً وذلك في<sup>4</sup>:

يساقون ← يساقون

سقر ← سقر

سخر ← سخر ، أسبغ ← أصبغ ، سراط ← صراط

سقت ← صقت ، سويق ← صويق

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/222، والبيت لسهم بن حنظلة الغنوي، والزمزمة: الجماعة، والأنوف كناية عن الشرف والرفعة .

<sup>2</sup> ينظر المرجع نفسه .

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/223

<sup>4</sup> المرجع نفسه.

والملاحظ أنّ ابن جني قد أكثر الرواية في هذا الباب عن الأصمعي إلا أن شيخه أبوعلي يقول عنه، أي الأصمعي: إنه توهم وحسب الصاد زائياً حين سمعها من أبي عمر، وهو يقرأ بالمضارعة لأن الأصمعي كان غير نحوي<sup>1</sup>.

معلوم أن الصاد المشمة زائياً أو الصاد التي بين الصاد والزاي هي من الحروف الفروع المتحسنة على غرار الحروف المستقبحة، وقد تحدث عنها سيبويه ومن بعده ابن جني، وللصاد دلالات في النطق على مستوى اللغة الفصحى ولا سيما في اللهجات الجزائرية<sup>2</sup>.

وينقل أبوعلي الفارسي عن أبي بكر أن القراءة بين بين، أي بين الصاد والزاي تكلف حرف بين حرفين وذاك أصعب على اللسان، لأنه إنما استعمل في هذه الحال فقط، وليس بحرف يبنى عليه الكلم، ولا هو من حروف المعجم، ولست أدفع أنه من كلام الفصحاء من العرب، إلا أن الصاد أفصح وأوسع وأكثر على ألسنتهم<sup>3</sup>، والقراءة بالإشمام هي لغة قيس<sup>4</sup>.

وعليه فحجة من قرأ بالصاد أنه أتبع خط المصحف، ومن قرأ بالسین جاء بالأصل لأنه مشتق من الصراط وهو البلع<sup>5</sup>، كل هذا يؤكد كلام أبي حيان من تجويز هذه القراءة، ونفي التهمة والطعن المنسوبين إليها.

<sup>2</sup> ينظر: أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الحجة للقراء السبعة، وضع حواشيه وعلق عليه: كامل مصطفى الهداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1/2001، ج1/54.

<sup>3</sup> ينظر: سمير رفاص، نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، 2007/2008م، ص161، وفي الشأن أيضاً ينظر: مكي درار، الحروف العربية، وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، رسالة ماجستير، وهران ألسانيا. 1985م/1986م.

<sup>4</sup> ينظر: أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/54.

<sup>5</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/121.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه.

إنّ من أهم إضافات الدرس الصوتي الحديث هو إعطاء البعد النفسي عناية خاصة، وذلك من أجل إضفاء الدقة العلمية والمصدقية، ولو بالوصف عند التحليل، لأن الصوت اللغوي مكون من شقين فيزيولوجي وفيزيائي ونؤجل هذا الحديث إلى باب الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية بعد أن نصير الحديث الى لون آخر من القراءات المطعون فيها .

2-إبدال الجيم ياء : كما في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>1</sup>

قراءة (الشيرة) بدلاً من (الشجرة) قرئت : (الشيرة) بكسر الشين والياء المفتوحة بعده ، وكره أبو هذه القراءة ، وقال يقرأ بها براءة مكة وسودانها<sup>2</sup>، وقال أبو حيان كعادته مدافعاً ومنافحاً عن القراءة الصحيحة: ينبغي ألا يكرهها لأن لغة منقولة فيها ، وهذا الذي ذهب إليه أبو حيان وجدنا له أثراً فيما ذكره ابن جني في باب إبدال الياء من الجيم<sup>3</sup> .

قال خالد أبو الفصل الرياشي : سمعت أبا زيد يقول : كنا عند الفضل وعنده أعراب فقلت له : قل لهم يقولون "شيرة" ، فقالوها ، فقلت له : قل لهم يصغرونها فصغروها "شيرة" إنما كانت الياء عندنا أصلاً في "شيرة" غير بدل من الجيم لسببين أولهما : ثبات الياء في تصغيرها "شيرة" ، والآخر شين شجرة مفتوحة ، وشين "شيرة" مكسورة ، والبدل لا تغير فيه الحركات<sup>4</sup> ، فهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على أن "شيرة" لهجة من اللهجات انتقلت إلى حاضرة مكة انطلاقاً من سليم التي انتقلت

<sup>1</sup> سورة البقرة ، الآية 35.

<sup>2</sup> ينظر: أبو حيان الأندلسي التوحيدي ، البحر المحيط ، ج1/158.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني ، سر صناعة الإعراب ، ج2/389.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه .

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

إليها عن طريق التجارة، ولهذا لا نعجب إذ قرأ بها براءة مكة وسودانها<sup>1</sup>، ويذكر صاحب الإملاء أنها قرئت في الشاذّ (الشيره)، وهي لغة أبدلت الجيم فيها ياء لقربها منها في المخرج<sup>2</sup>.

إن أمثلة القراءة المطعون فيها كثيرة، كعطف الاسم الظاهر على الضمير في قراءة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ

الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>3</sup> بالكسر عطفاً على الهاء في (به)، وكحذف النون في قراءة :

﴿قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنِي﴾<sup>4</sup> بتخفيف النون في هذه القراءة، والأصل فيه نونين الأولى

علامة رفع، والثانية نون الوقاية، والمقام في التعليلات لهذه التوجهات يطول ويصعب، عزاؤنا في ذلك التسليم لما تواتر عن الأمين الرسول صلى الله عليه وسلم، لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة، والقارئ المبتدئ من شرع في الأفراد إلى أن يفرد ثلاثاً من القراءات، والمنتهي من نقل القراءات أكثرها وأشهرها، والمقرئ العالم بها رواها مشافهة<sup>5</sup>، لأن ابن الجزري يذكر في هذا الباب ما يشفي الغليل، حيث التعويل في نقل القرآن كان على حفظ القلوب والصدور أكبر، لا على حفظ المصاحف.

<sup>1</sup> ينظر: علي الهروط، أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات القرآنية، جامعة مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس، العدد الأول 1991م، ص99.

<sup>2</sup> ينظر: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ص34.

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية 02.

<sup>4</sup> سورة الأنعام، الآية 80..

<sup>5</sup> ينظر: أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج1/16-17.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

إنَّ الله سبحانه وتعالى قد خصَّ بحفظه من شاء من أهله، وأقام له أئمة تجردوا لحفظه وتصحيحه وبذلوا أنفسهم في إتقانه، وتلقوه من النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً حرفاً لم يهملوا منه حركة ولا سكوناً ولا إثباتاً ولا حذفاً، ولا دخل عليهم في شيء منه شك ولا وهم<sup>1</sup>، غير أننا وجدنا من النحاة من يذكر عبارات الوهم والخطأ، ضف إلى ذلك تجرد المصحف الشريف من نقط الإعراب ونقط الإعجام لدليل آخر يقوي صحة ما نقل وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم .

لو افترضنا أن كلَّ لغوي أتى بلفظه، وكلَّ نحوي أتى بإعرابه ما توالى الأزمنة والعصور، أي مذ بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا لذهب لفظ القرآن كلّه .

وعليه نقول: إنَّ اعتبار القراء السبعة دون غيرهم لم يكن على مبدأ الاقتراع والرأي والاجتهاد، إنما الإضافة إضافة لزوم واختيار ودوام<sup>2</sup>، والقراءات تنوع اختلاف ورحمة وتيسر، لا تنوع تضاد وتناقض، ويظهر ذلك أكثر من خلال بعض الظواهر الصوتية لهذه القراءات .

### القراءات القرآنية المتواترة والظواهر الصوتية :

إن الظواهر الصوتية في القراءات القرآنية كثيرة الاختلاف فيها من أجل التنوع لا من أجل التضاد والتناقض، وأبرز هذه الظواهر المماثلة، والإحالة، وتغير البنية المقطعية، والإتباع والحذف والزيادة والمخالفة، وما إلى ذلك من خصائص ومميزات .

<sup>1</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/06.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج1/52.

### الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي:

وقد اخترت من القراءات المتواترة قراءة الكسائي لأنها تجمع بين خصائص كثيرة من القراءات القرآنية<sup>1</sup>، فمثلاً أنه قرأ الصاد بالجهر في (أصدق) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾<sup>2</sup>، والصاد في "يصدر" من قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾<sup>3</sup>، وينضوي هذا تحت ظاهرة المماثلة أو المضارعة، وهي هاهنا مماثلة رجعية مباشرة وحقيقية هذا التماثل: أنّ الصاد وهو صوت مهموس يفقد ظاهرة الهمس ليمثل الصوت المجهور الذي بعده وهو الدال، فيصبح المهموس مجهوراً<sup>4</sup>، وهذه الصاد تحدث عنها ابن جني في باب الحروف المستحسنة المتفرعة من الحروف الأصول فقال: إنه يقلّ همسها قليلاً، ويحدث فيها ضرب من الجهر لمضارعتها الزاي، والمثل المعروف عن العرب قولهم: "لم يُجرم من فُزِدَ له"، أي فُصِدَ له، لعلة هي سكون الصاد، فإن تحركت يقول ابن جني لم يجز فيها البدل وذلك نحو صَدَرَ وَصَدَفَ<sup>5</sup>.

الكلام عملية مرتبطة بميكانيكية النطق وليس مجرد توافق بين صوتين فحسب، ذاك أن الوترين الصوتيين حال نطق الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة يتباين حاليهما، حيث أن تغير نطق الصاد ليصبح مجهوراً عند مجاورته الدال في (يصدر) و(أصدق) إنما كان بسبب السرعة في عمل الوترين

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف استيتية: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص 206.

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية 122.

<sup>3</sup> سورة الزلزلة، الآية 06.

<sup>4</sup> ينظر: سمير شريف استيتية: القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص 210.

<sup>5</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 65/1.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

لأنهما صورتان فرعيتان لنطقها الأساسي، وقد تم قياس الترددات لنطق كلمة ( يصدر ) بهمس الصاد ثم بجهرها، أي بجعلها زاياً مفخمة، وكانت النتائج كالتالي :

الصوت	الشدة	التردد الأول	التردد الثاني	الاضطراب الموجي	الزمن
الصاد مهموس	77,66	1260 هرتز	2730 هرتز	50,28%	0,21 ثانية
الصاد مجهورة	83,16	642,93 هرتز	1669 هرتز	26,95%	0,35 ثانية

مع مكونات الجدول :

عند نطق الصاد على الأصل هي مهموسة في (يصدر) لاحظنا أن المستوى الترددي الأول أكبر مقارنة بنطقها زاياً مفخمة بفارق معتبر، أي أن تردد الصاد يقل في المستوى الترددي الأول عند نطقها مجهورة .

بلغ أعلى تردد عند نطقها مهموسة 2730 هرتز وعند نطقها مجهورة 1669 هرتز بفارق مقداره 10610 هرتز على أن العبرة ليست بدقة الأعداد والأرقام إنما العبرة بقيمة العدد ويعني هذا أن أعلى تردد للصاد حصل عند نطقها مجهورة، وما قيل عن الترددات ينسحب أيضاً على الاضطراب الموجي<sup>1</sup>، أي أن نسبة هذا الأخير تقل عند نطق الصاد زاياً مفخمة.

تحدث فجوة صوتية بين الصاد والبدال في (يصدر)، وهي فجوة يحدث فيها توقف سريع لتيار الهواء عند نطق الصاد مهموسة، وتقل نسبة هذا التوقف عند نطق الصاد زاياً مفخمة<sup>2</sup>، وهذا له

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص 212.

<sup>2</sup> ينظر : المرجع نفسه.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

دلالاته الأكوستكية بأن الانحباس في المخرج لا يوقف مرور النفس من فتحة المزمار لأننا إن حاولنا سدّ ماء الجدول في نقطة معينة فإن جريان الماء يتوقف عند نقطة السدّ فوراً، لكن يظل الماء يجري- ولولبطاء - في الساحة السابقة لنقطة السدّ لمدة قصيرة، وكلما بعدت المسافة قبل موضع السدّ تأخر زمن حدوث توقف جريان الماء، وهكذا الأمر في جريان الهواء في تجويف الجهاز الصوتي<sup>1</sup>، ضف إلى ذلك أن هذا الصوت المزجي الذي حدث نتيجة في التقارب بين الصاد والزاي أدى إلى إحداث هزّ كالهزّ الذي في الزاي في الهواء المولد للهمس.

فإن كانت هذه النظرة من الجانب الاكوستيكي فإن قراءة القراء سواء من الصحابة أو التابعين لم تخرج عن صورة حطّ المصحف، ولم يكن الواحد منهم في ذلك متشهماً أو باختياره، وإنما كان ذلك بناء على قراءة سمعها من أشياخه<sup>2</sup>.

ويبدو أن ابن الجزري قد أوضح الطريقة الصحيحة في نطق الصاد حين يكون متبوعاً بصوت يمكن أن يؤثر فيه، فقال: والصاد لِيَحْتَرِزَ حال سكونها إذا أتى بعدها تاء أن تقترب من السين نحو: ولو حرصت، وحرصتم، أو طاء أن تَقْرَبَ من الزاي نحو: اصْطَفَى، ويصْطَفِي، أو دال أن يدخلها التشريب عند من لا يجيزه نحو: أصدق، ويصدر، تصدّية<sup>3</sup>، وهذا التحذير الذي يذكره ابن الجزري

<sup>1</sup> ينظر: محمد حسن حسين جيل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 62 (الهامش).

<sup>2</sup> ينظر: إسماعيل الأشيوح، إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط1/1998م/1411هـ، ص137.

<sup>3</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/219.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

حين تشريب الصاد زياً عند ما يكون متبوعاً بالطاء يدلل بوجه أوضح على أن الطاء كان صوتاً مجهوراً، كيف ذلك؟

يقول ابن جني: "لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، ولخرجت الصاد من الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها<sup>1</sup>، وهي أيضاً من العبارات الشهيرة المأثورة عن سيبويه، ومما نقله استيتية عن العلاقة أوجه التقابل بين الطاء والدال في هذا الكلام ما خلاصته أنه لو لم يكن الطاء مجهوراً لم يكن داع إلى أن يحدّر ابن الجزري من نطق الصاد مشرباً بالزاي عند ما يكون متبوعاً طاءً"<sup>2</sup>.

ينتج بأن الطاء كان صوتاً مجهوراً، وهي تشبه في صداها الصاد المصرية الشديدة التي ينطقها أبناء صعيد مصر، وأهل صعيد مصر جمهورهم قبائل عربية نزحت من الجزيرة العربية، ومعروف عنهم قوة الحفاظ على الموروث، أما الطاء التي ينطقها أهل الشمال (شمال مصر) فهي مهموسة، وأما عن سير تطورها فهو بعلّة التخفف من ثقل الفصحى بتجريدتها من الجهر نتيجة التأثير بالطاء الفارسية في العصر العباسي، وهي مهموسة<sup>3</sup>، وبحكم حركية التطور هذه نرجح أن الطاء مجهورة، وفيما يلي نصير الحديث إلى مظهر آخر من المظاهر الصوتية الواردة في القراءات القرآنية.

<sup>1</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/76.

<sup>2</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص 214.

<sup>3</sup> ينظر: محمد حسن حسين جيل، المختصر في أصوات اللغة العربية، ص 124-125.

### الإدغام :

نحاول أن نركز على جوانب مهمة من خلال هذه التساؤلات الأول منها: ما وجه المقابلة بين الإدغام والإظهار وأيهما أصل؟، وما مسببات وعلل الإدغام؟، وهل الصوتان المدغمان صوت واحد أم صوتان؟.

لعل الإظهار هو الأصل لأنه لا يحتاج إلى سبب في وجوده، ولأن أسباب الإدغام باتت معروفة وبه التماثل أو التقارب أو التجانس<sup>1</sup>.

يقول ابن جني، والمعنى الجامع لهذا كله تقريب الصوت من الصّوت<sup>2</sup>، ويكون بهذا الإشارة سابقاً إلى استعمال ما لم يستعمله غيره من اللغويين العرب قبله، حيث استعمال كلمة ( صوت ) بدل ( حرف ) موافقة للدراسات الصوتية المعاصرة<sup>3</sup>.

إنّ الحديث عن الصوتين المدغمين يصبّ في حقل التحليل الصوتي، وهذا الأخير يتفرق إلى مستويين، المستوى الفوناتيكي الذي يتناول العملية النطقية للصوت ويرصدها، والمستوى الفونولوجي الذي ينظر إلى الأصوات في سياقها الكلامي، فبييت أن الإدغام من الناحية الفوناتيكية الخالصة هو إطالة مدة الصامت، وزيادة كميته، بمعنى إطالة مدة حبس الهواء، وزيادة ضغطه فيظهر الصوتان صوتاً واحداً مشدداً<sup>4</sup>، يقول ابن جني ألا ترى أنك في " قطع " ونحوه قد أخفيت الساكن الأول لو لم

<sup>1</sup> ينظر : محمد سالم محسن، القراءات القرآنية وأثرها في علوم اللغة، ج1/108.

<sup>2</sup> ابن جني، الخصائص، ج2/92.

<sup>3</sup> ينظر : سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص217.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص217.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

تدغمه في الآخر، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليها تمتاز من شدة مازجتها للثانية بها، ويمثل لذلك ب: قَطَّعَ و"سككر"، فإن نحن أزلنا تلك الوقيفة والفترة على الأول خلطناه بالثاني، وبذلك ينجذب إلى مضامته و مماسته لفظه بلفظه بزوال الحركة التي كانت حاجزاً بينه وبينه<sup>1</sup>، هذا من الناحية الفوناتيكية المحصنة.

أما من الناحية الفونولوجية الوظيفية فإنّ الإدغام يتألف من حرفين لا حرف واحد كما في قولنا "شدّ" فإن الدال في شدّ صوتان لا صوت واحد<sup>2</sup>، وإذا كانت العبرة في الإدغام هي التقاء الحرفين خطأ نحو: (إنه هو)، وخرج نحو "أنا نذير" لأن النونين وإن التقيا لفظاً إلا أن الألف فاصلة بينهما<sup>3</sup>، فلا يدغمان، وقد أشار ابن جني إلى هذه الوقيفة الزمنية، بما أسماه " التلبث والاستراحة"<sup>4</sup>. الإدغام ينقسم إلى كامل وناقص، فالكامل هو أن يذهب الحرف وصفته مثل إدغام النون الساكنة في الراء كما في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾<sup>5</sup>، والناقص أن يذهب الحرف وتبقي صفته مثل إدغام النون الساكنة في الياء نحو قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ

النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾<sup>6</sup> هذا على قراءة الجمهور<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج2/92.

<sup>2</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص219.

<sup>3</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية ج1/111.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/20.

<sup>5</sup> سورة البقرة، الآية 26.

<sup>6</sup> سورة البقرة، الآية 08.

<sup>7</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/111.

يثبت مما سبق أن الإدغام ظاهرة صوتية تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة، وهو يوحى بسرعة في النطق ومزج الحروف بعضها ببعض، والبيئات العراقية قد نزع إليها العديد من القبائل التي هي أقرب إلى البداوة، أي التي تؤثر السرعة في النطق، أما الأماكن المستقرة، وأقصد بذلك مكة والمدينة، فهي أقل نقلاً للإدغام من الكوفة والبصرة والشام، لأن البيئة الحجازية كانت بيئة استقرار وحضارة نسبياً يميل الناس فيها إلى التؤدة، وعدم الخلط بين الأصوات<sup>1</sup>.

**الإتباع**: تعد قراءة الحسن البصري (ت:110هـ) من القراءات الأربع عشر التي بعد العشرة، وهي بذلك القراءات غير المتواترة، والظواهر الصوتية في قراءته تدعو إلى التأمل منها: الإتباع الصوتي، والمغايرة الصوتية، والحذف، والزيادة، لكننا سنركز على الإتباع كظاهرة متميزة .

**الإتباع الصوتي**: تغيير يطرأ على الكلمة لإحداث تناسب بينها وبين كلمة أخرى<sup>2</sup>، وهو أنواع: إتباع صامت بصامت أو إتباع حركة بحركة، والقسم الثاني أكثر ما يرد في قراءة الحسن البصري<sup>3</sup>، وهذه وهذه بعض معالمه:

**إتباع الحركة الإعرابية لحركة البناء**: فمثلاً في (الحمد لله) ثلاث قراءات:

يذكر القراء بأن القراء اجتمعوا على رفع (الحمد)، وأما أهل البدو فمنهم من يقول: "الحمد لله"، ومنهم من يقول: "الحمد لله"، ومنهم من يقول: "الحمد لله"، فمن نصب فإنه يقول: (الحمد) ليس باسم إنما هو مصدر، وأما من خفض الدال من (الحمد) فإنه قال: هذه كلمة كثرت على السنة

<sup>1</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/113-114.

<sup>2</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص304

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه .

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

العرب حتى صارت كالاسم الواحد، فنقل عليهم أن يجتمع في اسم واحد من كلامهم ضمة بعدها كسرة، أو كسرة بعدها ضمة، ووجدوا الكسرتين قد تجتمعان في الاسم الواحد قياساً إلى "إِبِل"، أما من رفع فقياساً إلى ما كثر من كلام العرب من أسمائهم مثل الحُلْم، والعُثْب<sup>1</sup>، وقد نسبت قراءة الكسر إلى بني تميم، وإلى بعض بني غطفان<sup>2</sup> ونسبت قراءة النصب إلى سفيان بن عينة ورؤبة بن العجاج وهارون العتكي، قال القرطبي، ويقال (الحمد لله) بالرفع مبتدأ وخبر، وسبيل الخبر أن يفيد، فما الفائدة في هذا؟ (أي النصب)، والجواب الذي عند سيويه إذا قال الرجل: "الحمد لله" بالنصب، ففيه من المعنى مثل ما في قولك حمدت الله حمداً، إلا أن الذي يرفع الحمد يخبر أن الحمد منه ومن جميع الخلق، والذي ينصب يخبر أن الحمد منه وحده لله، إنما يتكلم بهذا تعرضاً لعفو الله ومغفرته وتعظيماً له وتمجيده، فهو خلاف معنى الخبر، وفيه معنى السؤال<sup>3</sup>.

أما الذي ذهب إليه ابن جني فهو أن إتياع الصوت الثاني الصوت الأول أسهل<sup>4</sup>، أي أن ضم اللام إتياعاً لحركة الدال أسهل من القراءة بكسر الدال إتياعاً لحركة اللام، لأنه إذا كان إتياعاً فإن أقيس الإتياع أن يكون الثاني تابِعاً للأول، ذاك أنه جار مجرى السبب والمسبب، وينبغي أن يكون السبب أسبق رتبة من المسبب<sup>5</sup>، هذا تعليل أول.

<sup>1</sup> ينظر: الفراء، معاني القرآن، حققه، وخرج أحاديثه عماد الدين بن رشيد آل الدرويش، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1/2011م، ج1/15

<sup>2</sup> ينظر: سمير شريف استنبية، القراءات القرآنية، ص305.

<sup>3</sup> محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة، د، ط1967، ج1/135.

<sup>4</sup> ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة د ط1969م، ج1/37-38.

<sup>5</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج3/158.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

أما التعليل الثاني أن ضمة الدال في (الحمد) إعراب، وكسرة اللام في (لله) بناء، وحرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء، فإذا قلنا: (الحمد لله) جنى البناء الأضعف على الإعراب الأقوى<sup>1</sup>. وإنما يستقي الحكم من الأصل، ويجريه على الفرع، فهو يرى حرمة للإعراب أسبق وأولى. ويرى العكبري أن الرفع أجود لأنه فيه عموماً للمعنى وأما قراءة الكسر ففيه إبطال للإعراب، لأن اللام (لام الجر) متصل بما بعده منفصل عن الدال ولا نظير له في حروف الجر المفردة إلا فيما من أجراه مجرى المتصل، لأن الحمد لا يكاد مستعملاً منفرداً عما بعده<sup>2</sup>. وذَهَبَ آخرون إلى أن الضمة مع الضمة والكسرة مع الكسرة أيسر من المخالفة، والكسرة مع الكسرة أخف من الضمة مع الضمة<sup>3</sup>.

وهذا خلاف الذي ذهب إليه ابن جني بعدم إطلاق القول بكون الضمة مع الضمة أيسر من الكسرة مع الكسرة، ومسألة السهولة التي أشار إليها ابن جني يراها غير واحد من الباحثين<sup>4</sup>، أنها مبنية على أحكام المنطق التي أوردتها في غير موردتها، وسار بها على غير سننها، حيث لو كان السبب في إحداث تغيير صوتي يسبق في النطق المسبب، ولو امتنع على اللاحق أن يكون سبباً في تغيير بعض ما يسبقه لسقطت المماثلة الرجعية من الكلام، ذلك أن المماثلة الرجعية يسبق فيها السبب المسبب الذي أحدثه، فالسبب أسبق في الحدوث لا في موضع الحدوث، وقد ذكر ابن جني هذا،

<sup>1</sup> ينظر: بن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1/37-38.

<sup>2</sup> ينظر: العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ص11.

<sup>3</sup> ينظر: أحمد النحاس، إعراب القرآن، تحقيق زهير زاهد، دار عالم الكتب، القاهرة، د ط/1985م، ج1/17.

<sup>4</sup> ينظر: سمير شريف، استيتية، القراءات القرآنية، ص307، وينظر أيضاً: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص69.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

وأسماءه باب في الجوار<sup>1</sup> وأشار فيه إلى تجاور الألفاظ وتجاور الأحوال، بختزى منه مثلاً تحدّث فيه عن السبب والمسبب، فلو قلنا: " أحسنت إليه إذا أطاعني، فأنت لم تحسن إليه في أول وقت الطاعة، إنما كان الإحسان في ثاني ذلك أو ما يليه، فالإحسان مسبب عن الطاعة، وهي كالعلة له ولا بد من تقدم وقت السبب على وقت المسبب كما لا بد من ذلك مع العلة، لكنه لما تقارب الزمانان وتجاورا الحالان في الطاعة والإحسان صارا كأنهما إنما وقعا في زمان واحد، فنحن نعلم أنه لم يحسن إليه إلا بعد أن أطاعه، لكن لما كان الثاني مسبباً عن الأول وتالياً له فاقتربت الحالان وتجاورا الزمانان صار الإحسان كأنه إنما هو والطاعة في زمان واحد<sup>2</sup>.

على ضوء هذا يبدو أنّ ابن جني لا ينفي علاقة التأثير الرجعية الحاصلة من توالي الضم في " الحمد لله " من وجهة نظر إعمال الفكر، رغم أنه من وجهة نظر أو كوستكية يعدّ إخلالاً بوحدة الجرس الصوتي، حيث الضمة أثقل وأخشن، وهذا علاوة على ما يقتضيه ضم لام الجرّ من تفخيم في لفظ الجلالة مما يسبب ثقلاً مضاعفاً<sup>3</sup>، وأما أن حرمة الإعراب أقوى من حرمة البناء فأبناء اللغة الواحدة جعلوا المجاورة مؤثرة في الإعراب، والحديث الشريف " لودخلوا جحرَ ضبٍ خربٍ.... " كاف لإثبات ذلك<sup>4</sup> وتظلّ مع ذلك للإعراب حرمة.

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف، استيتية، القراءات القرآنية، ص 307، وينظر أيضاً: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 69.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 3/158.

<sup>3</sup> ينظر: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 69.

<sup>4</sup> طالع: سمير شريف استيتية، القراءات القرآنية، ص 307.

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

يقول استتية: فإذا تجاوزنا هذا كله وجدنا ابن جني قد أخطأ من الناحية الصوتية إذا جعل ضمّ اللام في " الحمد لله" أسهل من كسر الدال في " الحمد لله"، وذلك أن الدال وكسرتها واللام وكسرتها كلها أصوات أمامية، أي أن موضع نطقها ومكان تشكلها في الجزء الأمامي من الحجرة الفموية، وهي من الأصوات المنتشرة لأن حجرة الرنين في الجزء الخلفي من الفم، أما الضمة فهي صوت خلفي وحجرة رنينها أمامية، فهي من الأصوات المتضامة، فإذا علم هذا سيكون التناسق الصوتي أوفى عند كسر الدال إتباعاً لكسرة اللام<sup>1</sup>، والسهولة لا تعني الأفضلية وعدم السهولة لا يعني عدم الأفضلية، بل العبرة بما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم .

ومن الأمثلة على الإتباع أيضاً قراءة: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا﴾<sup>2</sup>، فقد قرأها أبو جعفر يزيد بن القعقاع للملائكة ( اسجدوا ) بضمّ التاء حالة الوصل إتباعاً، وروى هبة الله وغيره عن عيسى عنه إثمam كسرتها الضمّ، والوجهان صحيحان، يقول ابن الجزري عن ابن الوردان<sup>3</sup>، ووجه الإثمam أنه أشار إلى الضمّ تنبيهاً على أن الهمزة المحذوفة التي هي همزة الوصل مضمونة حالة الابتداء، ووجه الضمّ أنهم استثقلوا الانتقال من الكسرة إلى الضمة إجراء لكسرة اللازمة مجرى العارضة، وذلك على لغة أزدشنوءة، ولما أشبهت التاء الألف ضمّت التاء كما تُضمُّ همزة الوصل، ولا التفات إلى قول الزجاج أو الزمخشري<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف استتية، القراءات القرآنية، ص 307-308.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 34، الأعراف/11، الإسراء/61، الكهف/50، وطه/116.

<sup>3</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/210.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

إنّ الزجاج، والزخشي، والنحاس، والفارسي، وابن جني ضعّفوا وغلّطوا هذه القراءة، وفي مقابل هؤلاء دافع أبو حيان عن هذه القراءة متجاوزاً الحركة الإعرابية التي أصبحت عقيدة في عرف اللغويين خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين<sup>1</sup>، ومن شأن العرب أن تحمل الشيء على الشيء، فكما يحمل الشيء على نظيره جاز أن يحمل على نقيضه .

إنّ الظواهر الصوتية في القرآن الكريم معين لا ينضب، وما كانت مذاهب اللغويين أو النحاة إلا مجرد إشارات عابرة في ثنايا بحر عباب .

ختاماً يمكن القول: إن القراءات القرآنية وما تحمله من ملامح صوتية ولهجية توفر لنا بيئة خصبة لدراسة الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية ولهجات العربية، وإن كان ابن جني واحد من هؤلاء الذين حاولوا شرح قانون الشذوذ والوقوف على المسائل التي تؤدي إلى اكتشاف هذه القوانين، إلا أن القرآن الكريم كان ولا يزال وسيظل النص المعجز الذي يخترق كل هذه القوانين والمسائل، ومن بعده سيظل القارئ الصارم المتقيد بمبدأ التلقي عن الشيخ والعرض عليه هو الطريق الصحيح في النقل اللغوي .

ذكر السيوطي قال: "قال العلماء لكل آية ستون ألف فهم"<sup>2</sup>، ومن ادّعى فهم أسرار القرآن، ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب<sup>3</sup> .

سيظل الصوت المدخل الحقيقي، والمنطلق الأساس لأي دراسة لغوية، ذلك أن القراءات القرآنية هي المرآة الصادقة العاكسة للواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

<sup>1</sup> ينظر: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص71-72.

<sup>2</sup> جلال الدين السيوطي، الإتيقان في علوم القرآن، ولبه كتاب: إعجاز القرآن للإمام القاضي أبي بكر الباقلاني، دار الفكر، بيروت، لبنان د ط، ت ج 561/1.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ألف جني كتاب "المحتسب" في شواذ القراءات وله أهمية في الاحتجاج، وموقعه في تاريخ النحو العربي، وقفنا على دراسة بعض المحدثين تبين هذه الأهمية، وتستظهر أهمية تطبيق المنهج التاريخي من أجل الوقوف على أداء النحاة المتقدمين بالإضافة إلى ضرورة الوقوف على تاريخ القراءات والمقاييس. إنَّ الوقوف التاريخي على القراءات ومقاييسها لا بدَّ أن يصاحبه أيضاً الوقوف على حركة سير التشديد، وهذا هو الذي ذهب إليه ابن الجزري حين قال: "ثم إنَّ القراء بعد هؤلاء المذكورين، أي بعد المشهورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا وخلفهم أمم بعد أمم...، وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقل الضبط واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحق"<sup>1</sup>، فهذا التعاقب الزمني الذي توالى على القراء أدى إلى بروز مذاهب نحوية فيما يبدو حتى صارت أركان النحاة إما التوجيه والدفاع، أو الطعن والإنكار.

إنَّ القرن الرابع هجري يعد القرن الذهبي للقراءات والاحتجاج، وذلك لاتصال القراءات بالأحرف المخالفة التي أبعدها عثمان وأبو بكر رضي الله عنهما، وتاريخ الاختيارات هي القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأدعنا نقول هي مرحلة الإبداع العربي<sup>2</sup>.

للقوف على مرحلة ابن جني لا بدَّ من الإشارة إلى مواقف النحاة من سابقه، ثم من عاصروه، أي أعلام القرن الرابع الهجري وصولاً إلى ابن الجزري الذي يعدّ العمدة في هذا الفن.

<sup>1</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1/09

<sup>2</sup> ينظر: محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط1/1999م، ص 07، وينظر: رحاب عكاوي، أعلام الفكر العربي "الخوارزمي"، دار الفكر العربي، بيروت، ط1/2002م، ص 05-06.

### مواقف النحاة :

إنّ جهود النحاة وتوجهاتهم كان لها الأثر إما في التوجيه والدفاع أو الطعن والإنكار، ومن هؤلاء النحاة نذكر ابن سلام، أبو حاتم السجستاني، أبو جعفر الطبري، وقد تأثر هذا الأخير بمقدميه، وابن مجاهد وابن مقسم العطار، ابن خالويه، أبو جعفر النحاس، ومكي بن أبي طالب القيسي إلى ابن الجزري رحمة الله، ثم جهود من سبقوا سيويوه، وسيويوه، والأخفش والكسائي والفراء وقطرب، وابن كيسان، ابن قتيبة، والمبرد، وثعلب<sup>1</sup>، إلى أن استقرّ النحو في القرن الرابع الهجري، وكان من أعلامه الزجاج والطبري، وعلي بن سليمان الأخفش ابن السراج، وابن مجاهد، ثم أبو بكر الأنباري، وابن خالويه، الرّماني، ثم جهود مكي القيسي في كتابه "مشكل إعراب القرآن" لأنه ألف قبل نهاية القرن 4 هجري<sup>2</sup>.

إنّنا لا نستطيع أن نحصر الجهود النحوية مفصلة في هذا المبحث، بل ارتأينا أن نركز من خلال "المحتسب" على مفهوم الاحتجاج لدى ابن جني وقواعده، وقد لمسنا أن هناك مواقف لابن جني توافق التأليف، أي تأليف "المحتسب"، وأخرى تخالف، لأن التوجيه عنده اتسم بلونين : سمات خاصة، وأخرى عامة.

وقبل طرق باب الاحتجاج والتعليل لابس أن نقف على بعض المحطات النحوية :

<sup>1</sup> ينظر: رشيد حليم، أصول النحو عند ابن جني، دراسة لسانية في كتابيه الخصائص وسرّ صناعة الإعراب، طبعة 2010م، قرطبة للنشر، الحمديّة، الجزائر، ص 15-18.

<sup>2</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 187.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ابن خالويه : استعان ابن خالويه بآراء النحاة خاصة الكوفيين منهم، وكان يكثر التعليق ويعتمد في التخريج على اللغة، لا على النحو، بدليل قوله هذه لغة، أولغات، وكان يكتفي برأي نحوي خاطف<sup>1</sup>، مثلاً في قوله تعالى: ﴿فِي كُلِّ سُنْبَلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾<sup>2</sup> بنصب (مئة) على حذف فعل (أثبتت)، ونادراً ما يورد للقراءة وجهين ﴿وَمَا تَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>3</sup> بنصب (رسوله) على العطف على الهاء، أي أغناهم الله، وأغنى رسوله، وجوّز جعل الواو بمعنى "مع"<sup>4</sup>، وعامة النحاة على الاستعانة تارة بالحديث، وتارة بالشعر، وتارة أخرى بلغات العرب، والقراءات الشاذة نفسها كقراءة أبي رجاء: ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾<sup>5</sup> بضم الشين من غواش، ومثل قراءة الحسن: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾<sup>6</sup>، بضمّ اللام من صال، ومثل قراءة ابن مسعود: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾<sup>7</sup> بضمّ الرّاء من الجوار، ويبدو أن ابن خالويه لم يتجاسر كثيراً في التعليق على القراءات إيماناً منه أنّ هذه القراءات سنّة .

<sup>1</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 187

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 261.

<sup>3</sup> سورة التوبة، الآية 74

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص 180

<sup>5</sup> سورة الأعراف، الآية 41.

<sup>6</sup> سورة الصافات، الآية 163

<sup>7</sup> سورة الرحمن، الآية 24

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

أبو علي الفارسي ( الحسن بن أحمد ت : 377 هـ ) : ويعدّ تلميذ ابن مجاهد أحد القراء عنه، وأخذ النحو عن الزجاج، وابن السراج، ثم انصرف إلى القراءات السبع في كتاب مستقل أسماه كتاب "الحجة في علل القراءات السبع"، فرغم اعتقاده أن القراءة سنة إلا أنه أخضع القراءة لمقاييسه النحوية فوصف بعضها باللحن وبعضها الآخر بالضعف، ووصف القراءات الشاذة بالخطأ لأنها لا توافق مذهبه، وكان يبيّن بعض القواعد الاحتجاجية من القراءات الشاذة نفسها مثلاً: ﴿لُدْنِي﴾ بضم اللام قراءة أبي ليلي رفضها ابن مجاهد، وجعلها هو صحيحة، وقد يحتج بها لوجه قراءة سبعية، وقد ذكر بعض الباحثين أنّ هذا جانب كبير وملحوظ في كتابه "الحجة" <sup>1</sup>.

يكون الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى <sup>2</sup>، ذاك أن تصرف الإعراب وحده في النصّ قاصر لأن قراءة الأئمة التي وصلت إلينا ونقرأ بها الآن هي قراءات قرآنية صحيحة متواترة، ولا ينبغي لأي شخص مهما كان أن يوجه إليها أي طعن، فقد احتجّ أبو علي الفارسي لنصب ( يعقوب ) من قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ <sup>3</sup> بقراءة ابن مسعود، و( يعقوب ) يقرأ بالرفع، وفيه وجهان أحدهما: أنه مبتدأ وما قبله الخبر، والثاني مرفوع بالظرف، وقد قرأ بفتح الباء، وفيه وجهان :

<sup>1</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 186 .

<sup>2</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1/ 06.

<sup>3</sup> سورة هود، الآية 71.

أن الفتحة للنصب، وفيه وجهان أحدهما: هو معطوف على موضع إسحاق، والثاني هو منصوب بفعل محذوف دلّ على الكلام وتقديره "ووهبنا له من وراء إسحاق يعقوب"، والوجه الثاني أن الفتحة للجرّ، وهو معطوف على لفظ (إسحاق)، أي فبشرناها بإسحاق ويعقوب، وفي وجهي العطف فصل بين يعقوب وبين الواو العاطفة بالظرف، وهو ضعيف عند قوم<sup>1</sup>.

مكي القيسي (ت:391هـ): في كتابه "مشكل إعراب القرآن" يتعرّض لهذه التوجهات، وقد ذكر بعض الباحثين عبارة حول هذه المؤلف تستحق أن نعيدها ها هنا فقال: "وإنما نذكر هذه الوجوه ليعلم تصرف الإعراب ومقاييسه، لا لأن يقرأ به، فلا يجوز إلا بما روي وصحّ عن الثقات المشهورين، ووافق خط المصحف"<sup>2</sup>، فكأني به يرى أنه إذا كانت المقاييس القرآنية قد سلبت هذه الشواذ قرآنيته، فإن النحو باقٍ فيها، وهي جديرة كالمشهوره بالدراسة والكشف عن وجوهها، وإفراد المصنفات لها.

خلاصة المواقف النحوية حول شواذ القراءات قبل ابن جنّي :

يمكن إجمالها في ثلاث أشكال :

1- جهود جانبية : على هامش الحديث النحوي واللغوي، كجهود عيسى بن أبي عمر الثقفي، أبي

عمر بن العلاء، الخليل، سيوييه، يونس بن حبيب، قطرب، ابن سلام، ثعلب، المبرد، ابن السراج،

السيرافي، الفارسي، الرّماني<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر : العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ص 296

<sup>2</sup> مكي القيسي، مشكل إعراب القرآن ج1/69، وكتابه، الإبانة عن معاني القراءات، ص 31

<sup>3</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 190

2- جهود قرآنية نحوية : تتبع فيها النحاة وجوه آيات القرآن وقراءته ،وهي جهود المصنفين كمعاني القرآن، وإعراب القرآن، تفسير القرآن ،كالفراء والأخفش، أبي حاتم السجستاني، الطبري، الزجاج، النحاس .

3- جهود شبه مباشرة : حاول أصحابها كابن مجاهد، ابن خالويه، مكي القيسي، تبين وجوه بعض الشواذ ، فلم يكن عملهم مكتملاً<sup>1</sup>.

وهناك رابط يمكن لحاظه في هذه الجهود ،ويمكن أن يجعل منها نواة لإنتاج عمل في هذا الميدان، حيث كانت في البداية جهود نحوية خالصة تهدف إلى البناء ثم حضور القراءة المشهورة والشاذة، ثم تطورت إلى مستوى القراءات ،فظهر العزل بين المتواترة والمشهورة، وأهم إشارة في التقصي هي عدم تعويل هؤلاء النحاة على الحديث النبوي الشريف إلا نادراً، بل لجأ بعضهم إلى القياس لتفسير بعض الوجوه،رغم أن القرآن تفسره السنة.

يبدو أنها كانت مشابهاً وليست قياسات حقيقية من شأنها عقد الصلة بين شواهد القاعدة النحوية الواسعة ،فكل هذا غدا ثمرة ومناخاً توفر لدى ابن جني احتضنها، ونظر فيها، وخرّجها تخریباً جديداً ،ثم انطلق منه في صياغة قواعد أساسية للاحتجاج للشواذ في كتابه "المحتسب".

ابن جني وشواذ القراءات: مفهوم ابن جني للقراءة: كغيره يؤمن بأنها سنة، وقد انتهى عصره إلى ضربين من القراءة، قراءة مجمع عليها وهي القراءة السبعية، وابن مجاهد هو أول من حدّد هذه

<sup>1</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 191

القراءات السبع المتواترة<sup>1</sup>، وقراءات شاذة، وابن جني لم يعجب بهذه التسمية لما تثيره أو أثارته من معاني الرفض لعدم اتصالها بالنبي بأوثق الأسانيد، وبوجوه العربية بأفضل وأقوى الأسباب<sup>2</sup>.

المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها :

يقول ابن جني: إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه مخفوف بالروايات من أمامه وورائه، ولعله أو كثيراً منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تطف صناعته، وتعنف بغيره فصاحته وتمطوه قوى أساسية وترسوبه قدم إعرابه<sup>3</sup>، ورغم هذا فابن جني لم يجز هذه القراءات قائلاً: "ولسنا نقول ذلك فسحاً بخلاف القراء المجتمع في أهل الأمصار على قراءتهم، أو تسويغاً للعدول عما أقرته الثقات عنهم، ولكن غرضنا منه نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً<sup>4</sup>، فعلى الرغم من هذه الإشارة الصريحة لابن جني بعدم جواز القراءة بالشاذ إلا أن شلبي في كتابه "أبو علي الفارسي" يشير إلى موقف ابن جني التحرري بجواز القراءة بالشاذ<sup>5</sup>.

إن ابن جني في هذا التصريح يسعى لإيجاد مسوغاً يقوي به وجه الشاذ، والملاذ الوحيد ربما كان في البحث عن الأصل والقياس عليه، أو بعبارة أخرى ما يصطلح عليه بقانون التغليب .

<sup>1</sup> ينظر : فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 13

<sup>2</sup> ينظر : المرجع السابق، ص 199

<sup>3</sup> ابن جني : المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح، علي النجدي ناصف، ع الفتاح شلبي، د ط، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون

الإسلامية 1969م، ج 32/1

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج 32/1، 33

<sup>5</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 200

### قانون التغليب والتعليل الصوتي :

التغليب هو الأخذ بوجه يخالف ما جرى به الشائع من وجوه الاستعمال، وإجراؤه في الاستعمال مجرى ما هو شائع مستعمل<sup>1</sup>.

من الشواهد على التغليب قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ﴾<sup>2</sup>، فقد

ذهب بعضهم إلى أن كلمة " محيط " جُرّت لمجاورة كلمة "يوم" المجرورة ، وإلا فإن الإحاطة للعذاب لا لليوم، وبمقتضى هذا التصور تكون كلمة "محيط" وصفاً لكلمة "يوم" ، ولما كان "اليوم" منصوباً، وكانت كلمة "محيط" مجرورة دلّ ذلك على أن هذا الوصف ما جاء مجروراً إلا لمجاورته لمجرور قبله مباشرة، وهذا من قبيل التغليب، وزعم قوم أنه جُرّ من قبيل الجوار لأنه في المعنى (عذاب يوم محيطاً)<sup>3</sup> ، والوصف ها هنا بالإحاطة لليوم لا للعذاب، لأن وصف العذاب بالإحاطة يعني شمول العذاب لكل الخلق، وليس الأمر كذلك، فالإحاطة إذن لليوم لا للعذاب، وكون ذلك اليوم محيطاً يعني أنه يحيط بالناس جميعاً، وهذا شأن ذلك اليوم<sup>4</sup> ، فاستيتية مثلاً لا يرى بصحة الاستشهاد بهذه الآية على قانون التغليب لأنها على الأصل الذي لا نحتاج معه إلى أن تغلب غيره عليه<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> ينظر : سمير شريف استيتية، على الأصوات النحوي، ص 137 وما بعدها

<sup>2</sup> سورة هود، الآية 84

<sup>3</sup> ينظر : السمين الحلبي أحمد بن يوسف، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تج : أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط 1986/1م، ج 371/6

<sup>4</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، على الأصوات النحوي، ص 138

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه.

من أظهر الشواهد لهذا القانون قراءة الحسن من سورة الفاتحة: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾<sup>1</sup> بكسر دال ( الحمد )، فالقول بالحمل على الجوار صحيح، حيث أن من العرب

من كان يميل إلى الجرّ على الجوار، لأن العرب حرصوا على أن يقيموا ألسنتهم بما يقوم به الإعراب

الصحيح<sup>2</sup>، ونطرح ها هنا الإشكال إذا كانت إقامة الكلام بصحيح الإعراب الذي جرى به اللسان

العربي، فلماذا نناقش الأصل؟ وما وُجد على أصله لا يسأل عن سببه .

إنّ عدم رفع كلمة ( الحمد ) مع استحقاقها له لكونها مبتدأ يعني تغليب حكم الظاهرة

الصوتية على الحكم الإعرابي، والعهد بالنحو العربي إلى غير ذلك لأن الاختلاف في الإعراب يترتب

عليه اختلاف في المعنى، مما يعني بالضرورة أن يكون التغليب محكوماً بحدوده التي جرى به السماع،

وربما هذا الذي غاب عن بعض النحاة غير أنّ ابن جني بالخصوص حين كان يوجّه بعض القراءات

الصحيحة كان يجعلها داخل محيطها النحوي العقلي الحاضر، فاستقر لدينا من خلال هذا القانون

اتجاهان متلازمان :

الأوّل منهما الأغلب الذي تجري به الألسنة، والثاني الذي يقل تردده، وإن نحن تجاوزنا الشائع،

فالأخذ بما ليس شائعاً ضرورة يقتضيها الموقف .

<sup>1</sup> سورة الفاتحة، الآية 02

<sup>2</sup> ينظر : سمير شريف استيتية، على الأصوات النحوي، ص 139.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

لقد اعتمد ابن جني على توجهات ابن مجاهد للشواذ فيقول: "لم ابن مجاهد إعراب"<sup>1</sup>، وهذا يعني أن كتاب ابن مجاهد يعدّ مصدراً أساسياً هذا إلى جانب رغبة ابن جني في تنمّة كتاب شيخه وأستاذه الفارسي "الحجة في علل القراءات السبع"، ثم صناعة كتاب مماثل في الشواذ خاصة بعد ما رأى كثرة الطعن على وجوه الشواذ من لدن ابن مجاهد والنحاس<sup>2</sup>، ودفاع ابن مجاهد والنحاس مشروع بحق الدين والعقيدة لأن الشاذ غير مجمع عليه.

إن "المحتسب" ينمّ عن براعة ابن جني العلمية والمعرفية في اللغة والصرف والنحو وكذا التعليق والتحليل، لأنه "وجب التوجه إليه والتشاغل بعلمه وبسط القول على غامضه ومشكله، وما أكثر ما يخرج فيه بإذن الله، وأذهبه في طريق الصنعة الصريحة لاسيما إذا كان مشوباً بالألفاظ السمحة السريجة"<sup>3</sup>.

**تعليق** إذا كان إجماع الفقهاء بعدم جواز القراءة بالشاذ بدليل من قال: إن القراءة المجمع عليها، وهي الصحيحة المستوفية لأركان الصّحة الثلاثة يكفّر من جحدته لأنه مقطوع على مغيبه وصحته وصدقه<sup>4</sup>، فلماذا جعل ابن جنيّ التشاغل به واجباً؟، ومتى كانت الصنعة الصريحة والألفاظ السمحة السريجة مسوغاً شرعياً لتمرير ترخيص قبول الشاذ، فهذا هو ابن الجزري يرى أن الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية مقدم على الأفضى والأفصح وإن كان الأفيص<sup>5</sup>، وهذا الذي أثبتته أيضاً

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، ج1/204

<sup>2</sup> ينظر: محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 204 وما بعدها

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج34/1

<sup>4</sup> ينظر: فوزي حسن الشايب، قراءات وأصوات، ص 11

<sup>5</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج10/1-11.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

الدرس الصوتي الحديث<sup>1</sup>، وقد أوردنا ذلك من خلال إشكالية ارتباط التعليل المحكوم بحدود ما جرى بها السماع رغم استحقاق النحو بإقامة الكلام الصحيح عليه .

فهذا توجيه من ابن جني يعارضه النقل الذي مرجعته الوحي، ولن يكون العقل المشوب بالقصور مقياساً على الوحي الإلهي المنزه عن كل تقصير وقصور، لأن القرآن الكريم غير لاحق بالمعروف من الطبائع فهو المعجز والمعجزة الخالدة.

**منهج الكتاب:** ذكر مصادره التي اعتمد عليها، وبدأ في توجيه القراءات الشاذة مبتدئاً بسورة الفاتحة محتمماً بسورة الناس، وكان يذكر أسماء القراء كثيراً كانوا أو قلة، مثال ذلك، قراءة الحسن، وأبي رجاء، وقتادة وسلام ويعقوب، وعبد الله بن يزيد، والأعمش والهمداني<sup>2</sup>.

وتجدر الإشارة إلى تدقيق عباراته القرآنية، فالقراءة قراءة، والرواية رواية، وهذه قراءة متفق على نسبتها إلى فلان، وتلك مختلف فيها<sup>3</sup>.

**مفهوم الاحتجاج:** يراد بالاحتجاج الكشف عن وجه القراءة في نحوها أو صرفها أو لغتها وتسويغ الاختيار، وذلك بأساليب اللغة الأخرى من قرآن وشعر، ولغات، ولا يراد به توثيق القراءة أو إثبات صحة قاعدة نحوية فيها، كما هو مقرر في أصول النحو<sup>4</sup>، وما دامت القراءة سنة متبعة ثابتة صحيحة في عريتها، فسيظل الكشف عن وجهها والدفاع عنه نوعاً من الترجيح الذي يحيل إلى الاختيار،

<sup>1</sup> ينظر: سمير شريف استيتية، علم الأصوات النحوي، ص 139.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، المختص، ج 227/1

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر: السعيد الأفغاني، في أصول النحو، ص 06 نقلاً عن محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 206 وما بعدها.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

فتبيت الغاية من ذلك هي الكشف عن الوجوه النحوية، وليس الإثبات<sup>1</sup>، وشتان ما بين المعنيين، فها هنا يجب التحفظ لأننا بهذا المقياس لا نستطيع الترجيح بين قراءتين متواترتين، بل بين متواترة وأخرى شاذة، ولو أنها مسألة محسومة سلفاً بحسب النقل وإجماع الجمهور، وإن كان الوجه النحوي يؤيده القياس أو السماع .

قواعد الاحتجاج للشواذ عند ابن جني: كان ابن جني كغيره من النحاة لكنه تميز بإضافات بيئية وزمانية تمثلت في القياس والنواحي الشكلية خاصة فيما رواه عن شيخه أبي علي بعبارتين إما " قرأته على أبي علي " أو "قال أبو علي" <sup>2</sup>، والعبارة الثانية التي تكررت كثيراً عنده و"هذا هو الأقيس عندنا"، بالإضافة إلى هذا أيضاً اعتلأه بالآثار الثقافية التي نضجت في عهده<sup>3</sup>، وأظنه يتعقب الخليل كثيراً ويؤاخذة، فيحكى عن أستاذه أبي علي الفارسي يقول : ذكرت بكتاب العين يوماً شيخنا أبا علي فأعرض عنه، ولم يرضه لما فيه من القول المرذول والتصريف الفاسد<sup>4</sup>، كما اعتمد ابن جني أيضاً على بعض الأحاديث النبوية الشريفة، وبعض مذاهب النحاة فضلاً عن التي لا يعتقد بها، وفيما يبدو أنه يقصد الخليل لما أسلفنا من الذكر، واعتمد أيضاً على قراءة حفص والقراءات المشهورة، والقراءات الشاذة نفسها، والشعر والأمثال، ولغات العرب وأقوالهم .

<sup>1</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 207

<sup>2</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/195

<sup>3</sup> ينظر: المرجع السابق .

<sup>4</sup> ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/220

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

لقد انقسم المحتجون للقراءة إلى قسمين، فريق يسلك طريق القياس، وآخر يسلك طريق الرواية والأثر، وأبو علي الفارسي شيخ ابن جني هو زعيم هذا التيار الذي يرى بضرورة أن القراءة الصحيحة هي التي تخضع لمقاييس العربية، وخطأوا ما لم يوافق هذه المقاييس ولو كان مروياً أو موافقاً لرسم المصحف<sup>1</sup>.

والفريق الثاني:صاحب مدرسة فجعل القراءة صحيحة إذا تحققت فيها شروط ثلاثة، أن يصحّ سندها عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن توافق القراءة العربية ولو بوجه، وأن توافق أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً،وعلى هذا ينتج من قراءة القرآن ثلاثة أقسام<sup>2</sup>:

1. قسم يقرأ به اليوم وهو الذي توفرت فيه الشروط الثلاثة، وهي الصحيحة .
  2. نقل عن الأحاد،وصحّ وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف ،وهذه القراءة الشاذة .
  3. نقله ثقة أو غير ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف، وهذا يسمى المردود، وابن جني قد انبرى لتعليل بعض الأوجه والاختيارات في باب القراءة الشاذة، ولم يتشاغل بالقراءة المردودة، فهذا وجه قد تعرّى من الصنعة ليس به إلا ما يتناوله الظاهر<sup>3</sup>.
- لقد سبق وأن أشرنا إلى أن ابن جني يجاري أستاذه أبا علي الفارسي في إتباع القياس في اللغة والنحو والتوسع فيه،ونراه في بعض الأحيان يخالفه ويخالف ما أخذ به فيتبع المسموع ويقف عنده، ولا يحكّم القياس أو العقل إلا فيما يثبت لقراءة المروية ،ومما تحجج به ابن جني من القراءات المتواترة :

<sup>1</sup> ينظر:عبد الغفار حامد محمد هلال، ابن جني عبقري اللغويين، ص 154

<sup>2</sup> ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/9-11

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، المختص، ج1/33

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

قراءة حفص : ما دام السند صحيحاً وله وجه من العربية نلمح ابن جني يدافع عن القراءة ليوحد هذا الوجه، يقول: ولعله أو كثير منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه، نعم وربما كان فيه ما تطفئ صنعته، وتعنف بغيره فصاحته وتمطوه قوى أسبابه، وترسوبه قدم إعرابه، لذلك قرأ بكثير منه من جاذب ابن مجاهد عنان القول فيه، وما كنه عليه وراده إليه كأبي الحسن أحمد بن محمد بن شنبوذ، وأبي بكر بن محمد بن الحسن ابن مقسم<sup>1</sup>، فكأني به يعقد مقارنة بين ما أورده ابن مجاهد حول السبعة وبين من شذت قراءتهم بدليل أنه أخذ وجهها من سمت العربية صحيحاً ومنسوبا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: فإذا اجتمع للقراءة صحة الرواية وموافقة وجه صحيح في العربية وجب الأخذ به<sup>2</sup>، وهو يعترف بعدم جواز القراءة به مع كونه مقبول مخافة الانتشار فيه، وتتابع من يتبع في القراءة كل جائز رواية ودراية<sup>3</sup>.

وكان أحياناً يخالف حتى أستاذه زعيم القياسيين، ولا يحكم القياس ولا العقل إلا فيما يثبت القراءة المروية ويوثقها، ولو كان التخريج ضعيفاً، ونضرب لذلك مثلاً: فيقول في قوله تعالى عن قراءة الحسن: ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>4</sup> ظاهر هذه القراءة مردود لأنه سأفعلكم، رأيت وأصله "سأريكم" ثم خفت الهمزة بحذفها وإلقاء حركتها على الراء فصارت (سأريكم)، قالوا: وهذا لا وجه له...، ثم يقول إلا أن له وجهاً ما، وهو أن يكون أراد (سأريكم) ثم أشبع ضمة الهمزة فأنشأ

<sup>1</sup> ابن جني، المختص، ج 30/1 31

<sup>2</sup> المرجع نفسه، ج 33/1

<sup>3</sup> ينظر المرجع نفسه .

<sup>4</sup> سورة الأعراف، الآية 145

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

عنها واواً فصارت (سأوريكم)، ثم يأخذ بالتدليل لهذا من كلام العرب معقبات ذلك بقوله: فإذا جاز هذا ونحوه نثراً ونظماً ساغ أيضاً أن نتأول لقراءة الحسن شيئاً على فصاحته، وعلمه، وعربيته، وقوة إعرابه<sup>1</sup>.

لقد اتكأ على قراءة حفص كثيراً في تخريج الشواذ، وقد لمس فيها الوجوه النحوية المطابقة لوجوه الشواذ أو القريبة منها استشهاده بقراءة قتادة: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾<sup>2</sup> بقوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٠٠﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾<sup>3</sup>، حيث عمل المصدر فيها عمل فعله فنصب مفعولاً فيه<sup>4</sup>، وكان يستدل بقراءة حفص للمعنى الذي يذهب إليه، من ذلك استشهاده بقراءة الأعمش: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾<sup>5</sup>، فقد ذهب إلى زيادة (لا)، ثم قال: "يقال قَسَطَ إذا جار، وَأَقْسَطَ إذا عدل: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾<sup>6</sup>، وكان يلجأ للاحتجاج والإحاطة بجوانب توجيهية أكثر تماسكاً وقوة، فقد ذهب في قراءة ابن يعمر: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِّنْ قَبْلٍ﴾<sup>7</sup> إلى أن (قُبُل) و(دُبُر) هنا غائتان، وأنهما

<sup>1</sup> ينظر: عبد الغفار حامد محمد هلال، ابن جني عبقري اللغويين، ج1/158

<sup>2</sup> سورة سبأ، الآية 33.

<sup>3</sup> سورة البلد، الآيتان 14-15.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/193-194.

<sup>5</sup> سورة النساء الآية 03.

<sup>6</sup> سورة الجن، الآية 15.

<sup>7</sup> سورة يوسف، الآيتان 26-27.

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

كقوله تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ﴾<sup>1</sup>، ثم قال "ووكد البناء أن "قبل" و"دبر" يكونان ظرفين ثم احتج لهذا بقراءة: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحَهُ وَإِدْبَرَ النُّجُومِ﴾<sup>2</sup>، قرأها (أدبَار) ثم نصبه على الظرف وهو جمع دبر<sup>3</sup>.

وكان أيضاً يجر بعض الأحكام، فقد خرج قراءة سعيد بن جبير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا أَمْثَلُكُمْ﴾<sup>4</sup> بنصب (عباداً) على إعمال (إنّ) عمل ليس فاعترضه مشكلة التوفيق، وعدم التناقض بين معنيي القراءتين الشاذة والمشهورة، حيث الأولى تنفي أن يكون المعبودون بشراً، والثانية تثبت ذلك، فنراه يتأول في القراءة المشهورة على تقدير أنهم مخلوقون كما أنتم أيها العباد مخلوقون، فسامهم عباداً على تشبيههم في خلقهم بالناس<sup>5</sup>، ثم استشهد لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾<sup>6</sup>، وبقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾<sup>7</sup>، ومن مواطن مواطن استشهاده أيضاً لقراءة عمر بن فائد الأسواري: ﴿يُنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ

<sup>1</sup> سورة الروم، الآية 04

<sup>2</sup> سورة الطور، الآية 49(إدبَار)

<sup>3</sup> ابن جني، المحتسب، ج1/338.

<sup>4</sup> سورة الأعراف، الآية 194 ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ﴾

<sup>5</sup> ابن جني، المحتسب، ج1/270.

<sup>6</sup> سورة الرحمن، الآية 06.

<sup>7</sup> سورة الإسراء، الآية 44.

مُيِّنَةً<sup>1</sup> قرأها (تأت) وحمل فيها تأنيث فعل (تأت) على معنى (مَنْ) دون لفظه<sup>2</sup>، ولقراءة قتادة:

﴿وَكُلُّ أُمَّةٍ دَاخِرِينَ﴾<sup>3</sup> قرأها (أتاه) وحمل فيها (داخرين) على معنى المضاف إليه المحذوف بعد (

(كل) لا على فاعل (أتاه)<sup>4</sup>، كما استشهد لقراءة الحسن: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾<sup>5</sup>،

قرأها (صال) ونقل رأي قطرب الذي حمل (صال) التي حذفت منها النون للإضافة وحذفت

الواو واللقاء الساكنين على معنى الجمع الذي تحتمله (من)<sup>6</sup> قياساً إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ

يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾<sup>7</sup>.

2-القراءات القرآنية الأخرى : جعل المشهورة والشاذة مصدرًا له في الاحتجاج، وربما هذه المساواة

والمؤاخاة بين الشاذ والجمع عليه مجرد عقد مؤاخاة بين الأشباه والنظائر، فها هو ثعلب يقول "إذا

اختلف الإعرابان في القراءات لم أفضل إعراباً على إعراب، فإذا خرجت إلى كلام الناس فضلت

الأقوى"<sup>8</sup>، والتزاماً بقواعد الاحتجاج، فليس الغاية منه التوثيق للقراءة، بل مجرد التوضيح والتبيين،

حيث نرى ابن مجاهد في مقياسه التاريخي لم يقبل بكل ما روي عن السبعة المشهورين، فقد ترك ما

<sup>1</sup> سورة الأحزاب، الآية (يأت).

<sup>2</sup> ابن جني، المحتسب، ج2/179

<sup>3</sup> سورة النمل، الآية 87 (أتوه) - (أتوه)

<sup>4</sup> ابن جني، المحتسب، ج2/145.

<sup>5</sup> سورة الصافات، الآية 163، "صال"

<sup>6</sup> طالع : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 210

<sup>7</sup> سورة يونس، الآية 42

<sup>8</sup> المرجع نفسه، ص 207.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

نقل عنهم من روايات شاذة، فقال: إلا أن يستحسن رجل لنفسه حرفاً شاذاً فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل، فذلك غير داخل في قراءة العوام " 1 .

وها هو أيضاً استتية، وهو من الأصواتين المحدثين يقول: "ومهما قيل في هذه القراءات الأربع فنحن إنما ندرسها صوتياً، وهذا أمر لا جدال في صحته واستقامته في نظري، بل لقد استفاض القول بجوازه عند عدد كبير من العلماء " 2 .

**القراءات المشهورة :** استعان ببعض القراءات المشهورة في الكشف عن بعض وجوه الشواذ واتخذ منها حجة بالطبع مقدّمة على الشعر وأقوال العلماء وغيرهما من الأساليب، من ذلك استدلاله بقراءة حمزة لتخريج قراءة الحسن في قوله تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ ﴾<sup>3</sup>، بكسر ياء عصاي، وقد رأى أنّ أن كسر هذه الياء ضعيف، ولكنه احتجّ له بقراءة حمزة: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي ﴾<sup>4</sup> قرأها (بمصرحيّ)، وفي قوله تعالى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾<sup>5</sup> قرأها (فيرى) من قراءة يحيى، يرى أن فاعل "يرى" مضمّر دلّت عليه الحال، أي فيرى رأيهم، ثم استدللّ بقراءة العامة، وقال: "دلّ عليه أيضاً قراءة العامة، أي فترى أنت يا محمد أوبيا حاضر الحال الذين في قلوبهم مرض يسارعون في

<sup>1</sup> محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 62

<sup>2</sup> سمير شريف استتية، القراءات القرآنية بين العربية والأصوات اللغوية، ص 10

<sup>3</sup> سورة طه، الآية 18 ﴿عَصَايَ﴾

<sup>4</sup> سورة إبراهيم، الآية 22 ﴿بِمُصْرِحِي﴾

<sup>5</sup> سورة المائدة، الآية 52 ﴿فَتَرَى﴾

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ولاء المشركين ونصرهم"<sup>1</sup>، حيث يرى ابن جني أن القراءة المشهورة حجة للقراءة الشاذة أو دليل على كثير من معانيها، وكأنه بذلك يؤكد أن القراءات الشاذة لا تقل شأنًا عن القراءات المشهورة التي رفضها ابن مجاهد، والشواهد التي علل لها كثيرة نذكر منها قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾<sup>2</sup> يقول: فإن هذا لا يخلو من أحد أمرين: إما أن تكون الهاء مسكنة البتة، فتكون التاء من "يهتدي" مختلصة الحركة، وإما أن تكون الدال مشددة فتكون الهاء مفتوحة بحركة التاء المنقولة إليها أو مكسورة لسكونها، وسكون الدال الأولى وكذلك (يخصمون) الحكم يقول فيهما واحد<sup>3</sup>، ومثل<sup>4</sup> ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾<sup>5</sup>، و﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِيهِ وَنُمِيتُهُ﴾<sup>6</sup>، فهولا يرى بدًا أن تكون النون الأولى مختلصة الضمة تخفيفاً، وهي بزنة المتحركة، فأما أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة فخطأ، ويقول، وقول القراء: إن هذا ونحوه مدغم سهو منهم وقصور عن إدراك حقيقة الأمر<sup>7</sup>، ومعلوم أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، والناظر بنور لا يسهو.

غير بعيد من موقف التغليب على القراء نرى أبا حيان يقول في قراءة يحيى بن وثاب والأعمش وهمزة ( بمصرخيّ) بكسر الباء: كثر الطاعنون في هذه القراءة، قال القراء: لعل هذا من وهم القراء

<sup>1</sup> ابن جني، المحتسب، ج1/213

<sup>2</sup> سورة يونس، الآية 35

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/71

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية 185.

<sup>5</sup> سورة الحجر، الآية 09

<sup>6</sup> سورة ق، الآية 43

<sup>7</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/71

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

فإنّه قلّ منهم من سلم من الوهم، ولعله ظنّ أن الياء في ( بمصرخيّ ) خافضة للحرف كلّه، والياء للمتكلم خارجة من ذلك، وقال أبو عبيدة: نراهم غلطوا وظنّوا أن الياء تكسر لما بعدها، وقال الأخفش ما سمعت هذا من أحد العرب ولا من النحويين، وقال الزجاج هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مرذولة ولا وجه لها إلا وجه ضعيف، وقال النحاس: صار هذا إجماعاً ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ<sup>1</sup>، وقال الزمخشري أيضاً: هي ضعيفة واستشهدوا لها بيت لقائل مجهول:

قَالَ لَهَا : هَلْ لَكَ يَا تَافِيٍّ "      قَالَتْ لَهُ : مَا أَنْتَ بِالْمَرَضِيِّ<sup>2</sup>

والشاهد فيه مجيء الياء المشددة بالكسر في " تَافِيٍّ " وكأنه قدّر ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين، ولكنه غير صحيح لأنّ ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة قبلها ألف في نحو "عصاي" فما بالها وقبلها ياء ؟، فإن قلت: جرت الياء الأول مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن تحركت بالكسر على الأصل قلت هذا قياس حسن<sup>3</sup>، وهذا تضعيف للتواتر أمام القياس، أما ما ذهب إليه النحاة فيقول أبو حيان الأندلسي، ردّاً على هذا الطعن: فإنه لا يجوز ولا ينبغي أن يُلتفت إليه لأنه من غير اللائق أن يقال فيها إنّها خطأ أو قبيحة أو رديئة، ولكن قلّ استعمالها، وذكر أن هذه اللغة كما ينصّ عليه قطرب لغة بني يربوع<sup>4</sup>، ووجدت في الأقوال حول الأحرف السبعة والاختلاف فيها أن الواسطي

<sup>1</sup> علي الهروط: أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات القرآنية، مؤتة للبحوث والدراسات، المجلد السادس، العدد الأول، 1991م، ص 109

<sup>2</sup> البيت مجهول، وبروي بصورة أخرى وفيه يحاول استهواؤها فتدفعه فيه غير راضية به، ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة مصر، ط 2010/1م، ج 393/2.

<sup>3</sup> ينظر: الزمخشري، الكشف، ج 393/2

<sup>4</sup> ينظر: علي الهروط، أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات القرآنية، ص 109 وما بعدها

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

الواسطي في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر ذكر أن في القرآن ما يربو من أربعين لغة عربية وهي قريش، وهذيل، وكنانة، وختعم والخزرج، وأشعر، ونمير، وقيس عيلان، رجرهم، واليمن، وأزدشنوة، وكندة وتميم وحمير، ومدین ولحم، وسعد العشيرة، وحضر موت، وسدوس، والعمالقة وأنمار، وغسان، ومدحج، وخزامة، وغطفان، وسبأ، وعمان، وبنوحنيفة، وثعلب، وطيء، وعمار بن صعصعة، وأوس، ومزينة، وثقيف، وجذام، وبلي، وعذرة، وهوازن، والتمر واليمامة<sup>1</sup>، ولعل بني يربوع بطناً من بطون إحدى هذه القبائل لغتها مقبولة غير مردولة، ثم إذا كانت القراءة سنة فلا ينبغي أن تحمل على ما تجوزه العربية حتى ينضم إلى ذلك الأثر في قراءة القرء .

بالعودة إلى الشاهد ( بمصرحي ) بكسر الياء، ووجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع نصب أوجز، فالياء في النصب والجر كالهاء فيهما، وكالكاف في : "في أكبر منك"، "وهذلك"، فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في : "هذا هو"، و"ضربوه"، ولحق الكاف أيضاً الزيادة في قول من قال : أعطيتكاه وأعطيتكيه، فيما حكاه سيويه، وهما أختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة من المد، فقالوا: فيي ثم حذف الياء الزائدة على الياء، كما حذف الزيادة من الهاء، وزعم أبو الحسن أنها لغة وكما حذف الزيادة من الكاف، فقالوا : أعطيتك، وأعطيتكيه، كذلك حذف الياء اللاحقة للياء كما حذف أختيها، وأقرت الكسرة التي كانت تلي الياء المحذوفة فبقيت الياء على ما كانت

<sup>1</sup> عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1/155-156

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

عليه من الكسرة<sup>1</sup>، ثم يقول : فإذا كانت هذه الكسرة في الياء على هذه اللغة وإن كان غيرها أفشى منها وعضده من القياس ما ذكرنا، لم يجز لقائل أن يقول : إن القراءة بذلك لحن لاستفاضة ذلك في السماع والقياس، وما كان ذلك ليكون لحناً<sup>2</sup>.

يقول العكبري في ( بمصرخي ) : الجمهور على فتح الياء، وهو جمع "مصرخ"، فالياء الأولى ياء الجمع، والثانية ضمير المتكلم، وفتحت لئلا يجتمع الكسر والياءات بعد كسرتين، ويقرأ بكسرهما وهو ضعيف لما ذكرنا من الثقل، وفيه وجهان أحدهما : الكسر على الأصل، والثاني أنها أراد بها لُغِيَّة يقول أربابها فتى ورُمِيَّه فتتبع الكسرة الياء إشباعاً<sup>3</sup>، وربما كان للمتواتر باطن خفي علينا.

**القراءة والقياس المطلق**: يقول ابن الجزري: ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق، وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه، وقد ضمن الإمام ابن الجزري قول الإمام أبي طاهر بن أبي هاشم كتابه "البيان" من أن نابغاً نبغ في عصرنا فزعم أن كل من صحَّ عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها، فابتدع بدعة ضلَّ بها عن قصد السبيل<sup>4</sup>، فعقد له مجلس ببغداد وأدب وأوقف .

ويعضد هذا القول بقول آخر يبيِّن فيه أن لا قياس مطلق إذ الأصل ما ثبت فيه النقل، فمما روي عن عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت رضي الله عنهما من الصحابة، وعن ابن المكندر، وعروة

<sup>1</sup> ينظر :أبوعلي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، الحجة للقراء السبعة، وضع حواشيه وعلَّق عليه، كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، ط1/2001م، ج17/3.

<sup>2</sup> أبوعلي الفارسي، الحجة للقراء السبعة، ج17/3

<sup>3</sup> أبوالبقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ص320

<sup>4</sup> ينظر : ابن الجزري، النشر في القراءات العشر ج1/17

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

بن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، وعامر الشعبي من التابعين أنهم قالوا : القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقروا كما علمتموه، ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمر ويقول : لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلا بما قرأت لقرأت حرف كذا كذا، وحرف كذا كذا<sup>1</sup>، فهذا ديدن القراء في عدم التوجه فيما أثبتته النقل حتى وإن أجازته القياس، أوفشا به السماع، ويذكر مكّي القيسي أنه بسبب هذا زلّ قوم، وأطلقوا قياس ما روي على ما لا يروى، وماله وجه ضعيف على الوجه الأقوى، ولا بأس أن نطعم الحديث ببعض الشواهد .

لقد مرّ بنا الشاهد ( بمصرخيّ ) بكسر الياء وعلق عليه صاحب الكشاف بالضعف، وقال لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة قبلها ألف نحو: عصاي والتقدير ها هنا بحسبه أن ياء الإضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركت بالكسر ولما عليه أصل التقاء الساكنين<sup>2</sup>، لكننا نجد أحياناً توالي الساكنين لا يحرك دائماً بالكسر، فهذا هو صاحب القراءات وأثرها في علوم العربية<sup>3</sup> يذكر شواهد للضم والكسر تخلصاً من التقاء الساكنين، حيث يكون أول الساكنين أحد الحروف " ل، ت، ن، و، د" والتنوين :

<sup>1</sup> ينظر : ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج1/17

<sup>2</sup> ينظر : الزمخشري، الكشاف، ج2/395.

<sup>3</sup> ينظر : محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/136

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

الحرف	الشاهد	موطن التقاء الساكنين	حركته أثناء القراءة
اللام	﴿قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ <sup>1</sup>	قل — أدعو	الكسر / الضم
التاء	﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَّ﴾ <sup>2</sup>	قالت — أخرج	الكسر / الضم
النون	﴿أَنْ أَعْدُوا عَلَيَّ حَرِثُكُمْ﴾ <sup>3</sup>	ان — غدو	الكسر / والضم
الواو	﴿أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ <sup>4</sup>	أو — أدعو	الكسر / الضم
الذال	﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ <sup>5</sup>	لقد — استهزئ	الكسر / الضم
التنوين	﴿كَشَجَرَةٍ حَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ﴾ <sup>6</sup>	خيثة — اجتثت	الكسر / الضم

مع مكونات الجدول: قرئت هذه الشواهد بالكسر وبالضم على اختلاف القراء العشرة<sup>7</sup> رغبة في

التخلص من التقاء الساكنين فقد :

- قرأ عاصم وحمة ← بالكسر في الحروف الستة .

- قرأ "أبو عمرو" ← بالكسر في أربعة أحرف ( ت، ن، د والتنوين ) وضم في حرفين وهما

الواو، ولام " قل " .

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية 195.

<sup>2</sup> سورة يوسف، الآية 31.

<sup>3</sup> سورة القلم، الآية 22.

<sup>4</sup> سورة الإسراء، الآية 110.

<sup>5</sup> سورة الأنعام، الآية 10.

<sup>6</sup> سورة إبراهيم، الآية 26.

<sup>7</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية ج1/137-138

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

- قرأ " قنبل " ← بالكسر من الحروف الستة، وروي عنه الكسر والضم في التنوين والمجرور<sup>1</sup>، وذكر ابن الجزري أن باقي القراء قرؤوا بالضم في ذلك كله<sup>2</sup>، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل أن لا قياس مطلق فيما وافق أو خالف، بل العبرة بالأثبت في النقل وإن لم يكن الأفشى والأقيس، وما أجمع عليه القراء أو الجمهور لم يكن ليدخل في باب الغلط أو الوهم أو السهو من باب أنّ ابن جني يعدّ القراءة المشهورة حجة للقراءة الشاذة، ودليل على كثير من معانيها .

وكان أيضا يربط بين القراءتين بمعنى التنزيل على غرار ابن مجاهد الذي يستعمل عبارة "شاهده في المعنى القراءة الظاهرة أوقراءة الجماعة أوقراءة الكافة"<sup>3</sup>، ونصير الحديث فيما يلي إلى العنصر الثاني من عناصر الاحتجاج :

<sup>1</sup> محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/138.

<sup>2</sup> ينظر: ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج2/225 وما بعدها

<sup>3</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص212

### ثانيا- القراءات الشاذة :

كان يقويها أحياناً ويضعفها تارة أخرى، وإنما كان يقويها من وجهتين واحدة لغوية، والثانية نحوية، وإن كان من أهمية لوجود المفاضلة فهي أن تظهر ضعف الضعيف، وتسفر عن مواطن القوة في القوي.

على الرغم من أن ابن جني صرح في كتابه "المحتسب" أنه لا ينوي فسحاً فيما اجتمع عليه الثقة<sup>1</sup>، لكنه باستدلاله بالقراءات الشاذة يبدو أنه ينقض تصريحه فيما يعتقد مجرد مؤاخاة بين الأشباه والنظائر، ونعرض فيما يلي بعض مواقفه الاحتجاجية اللغوية :

1- **الناحية اللغوية:** اتخذت عدّة صور من حيث المعنى، فتارة الشاذة والمتواترة معناهما متساو، وتارة أخرى معنى القراءة الشاذة مؤيد لمعنى القراءة العامة، وتارة ثالثة معنى القراءة الشاذة أقوى من معنى القراءة العامة، فكأنني به يقوي الثقة بالقراءة المشهورة في غير إقرار حين الاحتجاج، ومن أمثلة ذلك قراءة أبي حيوة: ﴿ وَمَاءَ آتَيْنَهُمْ مِّنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾<sup>2</sup> بتشديد الدال مفتوحة، وكسر الراء ( يَدْرُسُونَهَا)، قال أبو الفتح: هذا يفتعلون من الدرس وهو أقوى معنى من (يَدْرُسُونَهَا)، والعلة في ذلك أن "افتعل" لزيادة التاء فيه أقوى معنى من "فعل"، وهذا بعد صرفي أعطاه ابن جني لهذه الصيغة الدالة على زيادة الطلب، ويقيس ذلك على قوله تعالى: ﴿ أَخْذِ عَزِيمَةَ مُقْتَدِرٍ ﴾<sup>3</sup>،

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج 14/2

<sup>2</sup> سورة سبأ، الآية 44

<sup>3</sup> سورة القمر، الآية 42

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

فهو أبلغ معنى يقول من "قادر"، وهو أشبه بما تقدمه من ذكر الأخذ والعزة، وفيه أيضاً معنى الكثرة

<sup>1</sup>، ومن ذلك أيضاً قراءة أبي جعفر يزيد: ﴿أَهْرَتْ وَرَبَتْ﴾<sup>2</sup> بالهمز ( وربأت ) قال فيها: هذه

القراءة راجعة بمعناها إلى معنى ما عليه قراءة الجماعة، وذلك أن الأرض إذا ربت ارتفعت، والرابئ

أيضاً كذلك لأنه هو المرتفع، ومنه الربيثة وهو طليعة القوم، وذلك لشخصه على الموضع المرتفع<sup>3</sup>.

يقول أبو هلال العسكري ( ت، 400هـ ) في كتابه "الفروق اللغوية": فأما ما يعرف به الفرق

بين هذه المعاني وأشباهاها فأشياء كثيرة منها: اختلاف ما يستعمل عليه اللفظان اللذان يراد الفرق

بين معنيهما، ومنها اعتبار صفات المعنيين اللذين يُطلب الفرق بينهما، ومنها اعتبار ما يؤول إليه

المعنيان ومنها اعتبار الحروف التي تُعدى بها الأفعال، ومنها اعتبار النقيض، ومنها اعتبار الاشتقاق،

ومنها ما يُوجبه صيغة اللفظ من الفرق بينه وبين ما يقاربه، ومنها اعتبار حقيقة اللفظين أو أحدهما في

أصل اللغة<sup>4</sup>، من ذلك "أدخلته" و"دخلت به" فإذا قلت "أدخلته" جاز أن تدخله وأنت معه،

وجاز ألا تكون معه، و"دخلت به" إخبار بأن الدخول لك وهو معك بسببك<sup>5</sup>.

وأما عن مذهب النحويين واللغويين فيقول: إنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما

في نفوسها من معانيها المختلفة، وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها، ولم يعرف السامعون تلك العلل

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/195

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية 05

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/247

<sup>4</sup> أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان، ط3/2013م، ص 37.

<sup>5</sup> ينظر: المرجع نفسه.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

والفروق فظنوا ما ظنوه من ذلك، وتأولوا على العرب ما لا يجوز في الحكم<sup>1</sup>، فكيف الحكم إذا تعلق الأمر بالبيان القرآني المعجز؟

ويعلق ابن جني على قراءة أبي عبد الرحمن: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾<sup>2</sup> "دعواتكما"

قال: هذه جمع دعوة، وبهذه القراءة تعلم أن قراءة الجماعة ( دَعْوَتُكُمَا ) يراد فيها بالواحد معنى الكثرة، وساغ ذلك لأن المصدر جنسي، والأجناس يقع قليلها موقع كثيرها، وكثيرها موقع قليلها<sup>3</sup>. فقد تكون الزيادة أحيانا أو النقص أحيانا مما لا يتناسب مع المحيط الصوتي القرآني.

2- النَّاحِيَةُ التَّحْوِيَّةُ: مثل قراءة عبد الله بن مسلم وغيره: ﴿يَرْمُونَ الَّذِينَ

الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمَّا يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءٍ﴾<sup>4</sup> بالتثنية في ( أربعة ) قال: هذا حسن في معناه وذلك

لأن أسماء العدد من الثلاثة إلى العشرة لا تضاف إلى الأوصاف، فلا يقال: عنده ثلاثة ظريفين إلا في ضرورة هي إقامة الصفة مقام الموصوف، وليس ذلك يقول حسن، والوجه عنده ثلاثة ظريفون، وكذلك قوله ( بأربعة شهداء ) لتجري ( شهداء ) على ( أربعة ) وصفاً فهذا هذا، فأما قراءة الجماعة بالإضافة ( بأربعة ) فإنما ساغ ذلك لأنهم استعملوا الـ ( شهداء ) استعمال الأسماء، وذلك نحو قولهم: "إذا دفن الشهيد صلت عليه الملائكة"، "وعدّ الشهداء يومئذ فكانوا كذا وكذا"، "ومنزلة

<sup>1</sup> أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، الفروق اللغوية، ص 35

<sup>2</sup> سورة يونس، الآية 89.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج 316/1.

<sup>4</sup> سورة النور، الآية 04

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

الشهيد عند الله مكينة "، فلما اتسع هذا اللفظ عندهم هذا الاتساع، وجرى عندهم مجرى الاسم حسنت إضافة اسم العدد إليه حسننها إذا أضيف إلى الاسم الصريح، أو قريبا من ذلك<sup>1</sup>، وهو بهذا رجح القراءة الشاذة، وفي الوقت نفسه يلتمس التعليل لصحة وجه القراءة العامة.

وقد تتساوى القراءة العامة عنده مع القراءة الشاذة في الوجه النحوي، فيستمر في التخريج لها

من ذلك قراءة يزيد بن القعقاع: ﴿فَالصَّلِحَتْ قَبِنَتْ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾<sup>2</sup>

بالنصب في اسم الله تعالى على اعتبار حذف المضاف، أي بما حفظ دين الله وشريعة الله وعهود الله،

ومثله: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾<sup>3</sup>، أي دين الله وعهود الله وأولياء الله، وحذف المضاف في

القرآن والشعر وفصيح الكلام فيه سعة يقول<sup>4</sup>.

إن اتساع كلام العرب بحالات الحذف التي لم تحذف إلا بعد العلم والمعرفة بموضعها مما لا

يخصى، ومن ذلك ما ذكره ابن جني في هذا الباب حول قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرَانِ﴾<sup>5</sup>

لَسِحْرَانِ<sup>5</sup> إلى أن "إن" بمعنى نعم، وهذا مما أخبره به شيخه أبو علي عن أبي إسحاق، حيث

(هذان) مرفوع بالابتداء، وأن اللام في (لساحران) داخلة في موضعها على غير ضرورة، وتقديره:

(نعم هذان لهما ساحران)، والوجه في هذا عند ابن جني أنه خطأ، وذلك لأن "هما" المحذوفة التي

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني: المحتسب، ج2/101.

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية 34.

<sup>3</sup> سورة محمد، الآية 07.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/188.

<sup>5</sup> سورة طه، الآية 63.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

قدّرها مرفوعة بالابتداء لم تحذف إلا بعد العلم بها والمعرفة بموضعها، وكذلك حال كل محذوف، فإذا كان معروفاً فقد استُغني لمعرفته عن تأكيده باللام، فهذا موضع يقول ابن جني يقبح أن تأتي فيه بالموكد لأن التوكيد الذي هو إطناب وإسهاب ضدّ الحذف الذي هو من مواضع الاكتفاء والاختصار<sup>1</sup>، أي أنه لا يجوز أن يشتمل عليهما عقد الكلام، وقياسه في ذلك كلام العامة فإنهم يجيزون " زيدٌ ضربتُ" ولا يجيزون "زيدٌ ضربته نفسه" على أن تجعل النفس توكيداً للهاء المرادة في ضربته، لأن الحذف لا يكون فيما علم<sup>2</sup>، ويضعّف قراءة من قرأ برفع (حسنٌ) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ

ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾<sup>3</sup> بدليل أن حذف المبتدأ وإن كان شائعاً في مواضع كثيرة من كلام العرب فإنه إذا نُقل عن أول الكلام قبح حذفه، لأنه أراد ( على الذي هو أحسنٌ) فحذف المبتدأ في موضع الإيضاح والبيان لأن الصلة لذلك وقعت في الكلام بالإضافة إذا كان الموضع موضع إكثار وإيضاح فغير لائق الحذف والاختصار<sup>4</sup>.

والشاهد ( أحسنٌ ) يقرأ بفتح النون على أنه فعل ماضٍ وفاعله فيه وجهان أحدهما ضمير اسم الله، والهاء المحذوفة، أي على الذي أحسنه الله، أي أحسن إليه وهو موسى، والثاني هو ضمير موسى لأنه أحسن في فعله<sup>5</sup>، كما يقرأ (أحسنٌ) بالضم على أنه اسم والمبتدأ محذوف وهو العائد

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج2/58 وما بعدها.

<sup>2</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية 154.

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج2/59.

<sup>5</sup> ينظر: العكبري، إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ص238.

## الفصل الرابع..... التحليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

على الذي، أي على الذي هو أحسن وهو ضعيف، وقال قوم ( أحسن ) بفتح النون في موضع جرّ صفة للذي، وليس بشيء، لأن الموصول لا به له من صلة، وقيل تقديره : على الذي أحسنوا<sup>1</sup>.  
فالملاحظ أن ابن جني يضعف بعض القراءات الشاذة إلا أنه على الرغم من ذلك يلتمس لها وجهاً غريباً حتى يصححها ويدخلها في نطاق المقبول، وصور التضعيف عنده كصور التقوية كثيرة منها النحوية واللغوية .

### التضعيف من الناحية اللغوية :

وله أشكال منها ما معتمده السماع والقياس، ومنها ما مرده إلى مواد اللغة، ومنها ما يُرده إلى ناحية المعنى، ومن أمثلة ذلك قراءة الزهري: ﴿ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ﴾<sup>2</sup> خفيفة الباء، ولا أعلم أحداً يقول خفّفها سواه لأن تخفيفها قليل وضعيف قياساً وسماعاً، وأما قياساً فلأن المدّة الزائدة في الألف عوض من اجتماع الساكنين حتى كأن الألف حرف متحرك وأما السماع فلأنه لا يعرف فيه التخفيف<sup>3</sup>، ولعلمنا ابن جني مذهب للقياس على المسموع عجيب، فهو يرى أن الاشتقاق بما يخالف النهج العربي مردود، ومن هنا تعقب العلماء رؤية وأباه، ويمكن فهم ذلك مما أجاب به ابن جني عما روي عن الخليل من إنكاره قول رجل :

تَرَافِعَ الْعِزُّ بِنَا فَارْفَنَعَا

<sup>1</sup> ينظر : أبوالبقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ص238.

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية 18.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، المختص، ج2/76

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

وإنما أنكر الخليل ذلك لأنه بناه مما لامه حرف حلقي، والعرب لم تبين هذا المثال مما لامه أحد حروف الحلق، وإنما هو مما لامه حرف فموي نحو: اقعنسس واسحنكك، واكلنددا واعفنجج<sup>1</sup>، والكلام عن الأصمعي سمعه من الخليل، والعرب تقول إنما ترك أمراً من الأمور لعلّة داعية إلى تركه وجب إتباعها عليه، ولا يسع أحداً بعد ذلك العدول عنه<sup>2</sup>، ويتبع ابن جني العلة في ذلك ويستظهرها، فيقول: إن العرب زادت هذه النون الثالثة الساكنة في موضع حروف اللين أحق به وأكثر من النون فيه، وهو موضع تكون فيه مُعَنَّة مشابهة لحرفي اللين، وعلى هذا جاز أن نبي مثل (حَنْبَطَى) فنقول: في ضرب ضربى، ولا يجوز أن نبي من قرأ قرناًى لأن تبيين النون هنا يذهب عنها غنتها<sup>3</sup>، وإنما يقوى شبهها، أي النون بحروف المدّ متى كانت ذات غنة لتضارع بها حروف المدّ للينها، وإنما تكون فيها الغنة متى كانت من الألف، وإنما تكون من الألف متى وقعت ساكنة، وبعدها حرف فموي لا حلقي، وقد تكون علة أخرى أنكر بها الخليل ( ارفنعا ) هو تكرر الحرف الحلقي مع استنكارهم ذلك<sup>4</sup>. وربما وقع هذا الاستنكار لما في ذلك من الثقل .

من خلال هذا التعليق نلمس اعتماده مبدأى الاشتقاق والإبدال كركيزتين لتوليد اللغة لكن في حدود ما استنته من قواعد لذلك فقد قبل "ضربى" ورفض "قرناًى" لعلّة إخفاء الغنة.

<sup>1</sup> اقعنسس واسحنكك بمعنى أظلم..، اكلنددا بمعنى غلط واشتد ،اعفنجج: أسرع .

<sup>2</sup> ينظر : ابن جني، الخصائص ،ج2/305 إلى 309.

<sup>3</sup> ينظر : المرجع نفسه، ج2/309.

<sup>4</sup> ينظر : المرجع نفسه.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

يشير هذا التعليق إلى أن ابن جني يسوق كلّ حقول المجال اللغوي فيتداعى بعضها إلى بعض، فتشكل فكراً صوتياً تراثياً دائرته التنوع ومادته شواهد اللغة ومرجعياتها، الأمر الذي يقوي سلطة التعليق والتحليل والوصف، ونصير الحديث إلى الناحية الثانية من نواحي توجه ابن جني في تضعيف القراءة الشاذة .

### 2- من ناحية مواد اللغة:

من ذلك من يروى عن الأعمش أنه قرأ: ﴿ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ ﴾<sup>1</sup> بالذال المعجمة، فقال: لم يمرر بنا في اللغة تركيب ( ش، ر، ذ )، وأوجه ما يصرف إليه ذلك أن تكون الذال بدلاً من الدال، كما قالوا: لحم خردال وخرادل، وهما مجهورتان ومتقاربتان<sup>2</sup>، ويعزو صاحب الكشاف القراءة بالذال المعجمة ( فشرَّد ) إلى ابن مسعود، بمعنى ففرَّق وكأنه مقلوب شذّر من قولهم: ذهبوا شذّرَ مَدَر، أي في كلّ وجهة، ومنه الشذّر الملتقط من المعدن لتفرّقه<sup>3</sup>، وهذه واحدة من مزايا الاشتقاق التي دعا إليها ابن جني ووظفها للتعليق.

### 3- من ناحية المعنى: من ذلك قراءة ابن مسعود: ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴾<sup>4</sup> (عبداً لله)،

يرى ابن جني أن المعنى في قراءة العامة أو الجماعة هو أقوى منه في هذه القراءة، وذلك لأن ( عبداً

<sup>1</sup> سورة الأنفال، الآية 57.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج1/280.

<sup>3</sup> ينظر: الرمخشي، الكشاف، ج2/128.

<sup>4</sup> سورة الأحزاب، الآية 69.

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

لله) لا تفهم منها وجهته عند من هي؟ أعند الله أم عند الناس؟ وأما قراءة العامة فإنها تفيد أن وجهته عند الله، وهذا أشرف<sup>1</sup>، وحسب المرء شرفاً أن تكون وجهته عند الله .

إن الاحتياط في العلة منهج اتبعه ابن جني رغبة في إسقاط الالتزامات التي يوردها الخصم عليك، لأن زينة الألفاظ وحليتها لم يقصد بها إلا تحصين المعاني، فالمعنى إذا هو المكرم المخدوم، واللفظ هو المبتذل الخادم<sup>2</sup> .

إن وجوه الحمل على المعنى كثيرة عند ابن جني من ذلك ما أورده العلماء حيال الفاء الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ﴾<sup>3</sup> وَالرُّجْزَ فَاهْجَرُ<sup>3</sup>، أهي زائدة أم عاطفة؟ أم دخلت حدّ

دخولها في جواب الشرط، ويرجح ابن جني أن " إذا " التي في قوله تعالى: ﴿وَأِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا

قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾<sup>4</sup> هي للمفاجأة وقعت جواباً للشرط بدل على أنها فيها معنى

الإتباع، كما أن: الفاء " في قولك " إن تحسن إليّ فأنا أشكرك " إنما جاز الجواب فيها لما فيها من معنى

الإتباع، ففي قولنا: " خرجت فإذا زيد " الفاء زائدة لأننا قد استغنيا بما في " إذا " من معنى الإتباع عن

الفاء التي تفيد الإتباع كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج 206/1.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج 142/1-143.

<sup>3</sup> سورة المدثر، الآيتان 5،4.

<sup>4</sup> سورة الروم، الآية 36.

## الفصل الرابع..... التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ويستمرّ في عرض وتخصيص العلل بسؤال، ويشقّعه بجواب من ذلك أنه إذا كانت الفاء ها هنا زائدة جاز حذفها، لأن الزائد حكمه أن يمكن طرحه، ولا يختل الكلام بذلك، إلا أن الزيادة ها هنا يقول: هي زيادة لازمة لا يجوز حذفها<sup>1</sup>، ولم يتوقف ابن جني عند حدّ التضعيف للقراءة الشاذة من هذه النواحي، بل إن منهجه يتّسم بالقراءة الذكية للأثر المسجّل لأنه وعلى غرار ما صنعه الفقهاء من الأصول راح يملا فراغ النحو بأصول علم النحو، وبذلك يكون أوّل من وضع علما جديدا في القرن الرابع الهجري يضاف إلى معارف الثقافة اللغوية، حيث ينتظم هذا العلم في شقين<sup>2</sup>:

الجانب القواعدي: علم النحو القواعدي، أو علم أصول النحو.

الجانب الوصفي الرصفي: وهو علم النحو التركيبي، أو علم النظم على اختلاف تأليفه.

### 2- التضعيف النحوي: من ذلك قراءة ابن مسعود من قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجْرِمَنَّكُمْ

شَنَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾<sup>3</sup> "ولا يُجْرِمَنَّكُمْ" بضم الياء، (شَنَّانُ قومٍ إن

يُصَدُّوكُمْ) بكسر الألف، قال: في هذه القراءة ضعف، وذلك لأنه جزم بـ "إن" ولم يأت لها بجواب

مجزوم، أو بالفاء كقولك: إن تزري أعطك درهماً، أو فلك درهم، ولو قلت: إن تزري أعطيتك درهماً

قبح ذلك لأن الشرط والجزاء لا يصحان إلا بالأفعال، ولولا الفاء لم يرتبط أوّل الكلام بآخره<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج1/271-273.

<sup>2</sup> ينظر: عمر بلملياني، تراث ابن جني اللغوي والدرس اللساني الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص42-43.

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية 02.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج1/280، وينظر أيضاً: سرّ صناعة الإعراب، ج1/264.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

ويعقد ابن جني مقارنة بين الوجه النحوي في القراءتين الشاذة والمتواترة، فيرى أحياناً أنّ الوجه النحوي يكون في الشاذة مؤيد للوجه النحوي في قراءة الجماعة، من ذلك قراءة محمد بن السميع: ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾<sup>1</sup> مفتوحة الكاف، وليس بعد التاء ألف والباء نصب (كتب الله عليكم)، يقول: ففي هذه القراءة دليل على أن قوله: (عليكم) من قوله تعالى: ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ في قراءة الجماعة معلقة بنفس "كتاب" كما تعلق في (كتب الله عليكم) بنفس (كُتِبَ)، وأنه ليس (عليكم) من ﴿كُتِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ اسماً سمي به الفعل كقولهم عليك زيداً إذا أردت خذ زيداً<sup>2</sup>، ويرى صاحب الإملاء في قول الكوفيين بتقديم المفعول بعدم الجواز، لأنّ (عليكم)، وبابه عامل ضعيف، فليس له في التقديم تصرف، وقرئ أيضاً: (كُتِبَ عليكم)، أي كتب الله عليكم ذلك، و(عليكم) على القول الأوّل متعلق بالفعل الناصب للمصدر لا بالمصدر، لأن المصدر هنا فضلة، وقيل هو متعلق بنفس المصدر لأنه ناب عن الفعل حيث لم يذكر معه كقولنا: مروراً بزويد، أي أمر<sup>3</sup>.

مما سبق يتبين أن ابن جني كان يثق بالقراءة المشهورة لكن في غير إقرار للقراءة الشاذة بالضعف، وإلا فما دليل كثرة الاستشهاد بها، والاستدلال لها .

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية 24

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، المختص، ج1/185-186.

<sup>3</sup> ينظر: العكبري، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ص158.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

وما دام القرآن تفسره السنّة كان حري به أن يتوجه إلى الحديث الشريف، ولا شك أنه سيجد منه المعين خاصة، وقد رأينا أنه كان يقوّي القراءة في أحيانٍ كثيرة من جهة المعنى، أم أن رائحة المذهب كان تخامر فكره أحياناً .

### 3-الحديث النبوي الشريف :

استدلّ بالحديث على بعض الوجوه إلا أن هذه الأحاديث كان تدور حول قضايا لغوية وصرفية وإملائية وبلاغية، ولم تكثر شواهده من الأحاديث إلا نادراً على رغم من أهميته .

لقد كانت وقفات ابن جني تختلف عن النحويين في هذه الأحاديث من ذلك مثلاً احتجاجه لقراءة أبي سعيد الخدري: ﴿ وَأَمَّا الْغُلَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>1</sup>، فقد ذهب إلى أن اسم (كان) هو ضمير الشأن، وأن خبرها هو جملة ( أبواه مؤمنان )، وقرر أنه لا حاجة إلى عودة ضمير من الجملة على اسم ( كان ) لأن ضمير الشأن هو الجملة في المعنى، واستشهد لذلك بقول النبي صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه إما اللذان يهودانه أن ينصرّانه "، قال وإن شئت كان في ( كان ) ضمير الشأن، والحديث وما بعده خبر عنه<sup>2</sup>.

### 4-الشعر:

كان مصدراً هاماً ولكن نباهة ابن جني جعلته لا يقدم شيئاً أو مقياساً على القرآن إن قيمة وإن اعتباراً، بل كان يشقّ احتجاجه بالشعر بعده، أي بعد القرآن، من ذلك موقفه من قراءة ابن

<sup>1</sup> سورة الكهف، الآية 80.

<sup>2</sup> ينظر : محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 215.

السميع: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾<sup>1</sup>، فقد احتج للمصدر (بشرى) في وقوعه حالاً في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا تَيْنُكَ سَعِيًّا﴾<sup>2</sup>، ثم أوقفه بيت لامرئ القيس يقول فيه:

فَأَقْبَلْتُ رَحْفًا عَلَى الرُّكْبَتَيْنِ فَثَوْبٌ لَبَسْتُ وَثَوْبٌ أَجْرٌ

حيث كان الشعر ملاذه الآمن فيما ما يذهب إليه، ومن ذلك احتجاجه لقراءة الجحدري: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾<sup>3</sup> (لما) حيث ذهب فيها إلى أن (اللام) بمعنى الظرف (عند)<sup>4</sup>، واستشهد لها بقول الشاعر:

كَرِهْتُ العَقْرَ عَقْرَ بَنِي شُلَيْلٍ إِذَا هَبَّتْ لِقَارِيهَا الرِّيحُ<sup>5</sup>

ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿لَا تُجَلِّبُهَا لَوْقَتَهَا إِلَّا هُوَ﴾<sup>6</sup>، وأشار إلى أن اللام في (قاريها) تحمل معنى واحداً هو (عند)، أم اللام في (لوقتها) فتحتمل أيضاً معنى (في)<sup>7</sup>.  
كان يؤكد بالشعر مذهبه، وتوجهه النحوي، ربما لأن الشعر أكثر حضوراً وتأثيراً كونه مقفى وموزون، وهو ديوان العرب آنذاك، فقد تصل شواهدة التعليقية على الموضع الواحد أحياناً إلى الثمانية، وذلك سعياً منه لإقناع القارئ وتأكيداً لصحة الوجه عنده<sup>8</sup>.

<sup>1</sup> سورة الفرقان، الآية 48.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 260.

<sup>3</sup> سورة ق، الآية 05.

<sup>4</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/282.

<sup>5</sup> ينظر: ابن منظور لسان العرب، مادة (عقر)، والعقر: اسم موضع، وقاريها: متبوعها، ج2/1857.

<sup>6</sup> سورة الأعراف، الآية 187.

<sup>7</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/282.

<sup>8</sup> ينظر: محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص 218.

إنّ استشهاده بالشعراء وأشعارهم سواء الجاهليين أو الإسلاميين أو المخضرمين كان حجة ودليلاً على قوّة منهجه، فكأنّ به يقرُّ بوجاهة الدليل عبر هذه العصور، فنجدّه يستشهد حتى بأشعار المولدين إلا أنه مع هؤلاء يستشهد أكثر بمعانيهم اللهم إلا باستثناء المتنبي كون هذا الأخير ربما شرفت عنده المعاني أكثر من غيره، أو لأن ابن جني هو نفسه شاعر يعرف جيداً ما يختار حتى أنه قال: "وإذا جاز لأبي العباس أن يحتج بأبي تمام في اللغة كان الاحتجاج في المعاني بالمولد الآخر أشبه"<sup>1</sup>، وقد احتج بقول المتنبي:

لَقِيْتُ الْمَرُورَى وَالشَّخَابِ دُونَهُ      وَجُبْتُ هَجِيْرًا يَرْكُ الْمَاءِ صَادِيًّا.

لقراءة علي رضي الله عنه: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾<sup>2</sup> (لغوب) إذ قدّر لها مصدراً محذوفاً، محذوفاً، قال: أي لا يمسننا فيها لغوب، أي إعياء شديد، وجعل من قول المتنبي "وجبت هجيراً"، أي قطعت الهاجرة حملاً على مبالغة المعنى<sup>3</sup>، وقد طغى الشعر عنده على سائر الأمثلة، ومن حديث الشعر إلى لهجات العرب التي اعتمدها ابن جني كواحدة من دعائم الاحتجاج والتعليق.

**5- اللهجات العربية:** لقد حمل ابن جني القراءات الشاذة على لغات العرب وأقوالهم، وقبل عرض أمثلة عن ذلك لا بأس أن نذكر أن ابن جني كان يورد في احتجاجه أصولاً لغوية هامة مما أرسى دعائمه في كتبه الأخرى كـ "الخصائص" و "سر صناعة الإعراب"، وقد بسط مادته الاشتقاقية

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج1/231.

<sup>2</sup> سورة فاطر، الآية 35.

<sup>3</sup> طالع: المرجع السابق، ج2/201.

من أجل التخريج لهذه القراءات، من ذلك حديثه عن قراءة ( حِرَجٌ ) في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا هَذِهِمَ أَنْعَمُوا وَعَحْرٌ حَجْرٌ﴾<sup>1</sup>، وقد أشار إلى تغليب الأصل الواحد في باب الاشتقاق الأكبر، ثم يذكر مادة ( حجر ) وتقلبها، وأنها تدور حول الشدة والضيقة والاجتماع<sup>2</sup>، كما يورد صوراً للإبدال كفوم وثوم، ويرجح الأصوب عنده كقوله: والصواب عندنا أن الفوم الحنطة وهي ما يختبز من الحبوب<sup>3</sup>، وفي هذا نرى تأثر ابن جني بمنهج شيخه أبي علي الفارسي حول الجذر الأصلي، وفي بسط مادته الاشتقاقية، وإخضاعها لمعنى واحد تجتمع عليه، وفي هذا أيضاً دلالة قوية على إقراره مبدأ التقليل كإجراء عملي للتعليل الصوتي.

وإلى جانب الأصل اللغوي يتحدث ابن جني عن اللغة واللغية من خلال التعليق على شواهد من ذلك قراءة السلمي: ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمِ الدِّينِ﴾<sup>4</sup> قرأها ( إِيَّان )، وقراءة أبي السَّمال: ﴿فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٌّ﴾<sup>5</sup> قرأها ( أفٌّ ) بالبناء على الضم، وقراءة الفضل الرقاشي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾<sup>6</sup> قرأها ( أَيَّاك نعبد ).

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية 138.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج 2/203.

<sup>3</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1/262.

<sup>4</sup> سورة الذاريات، الآية 12.

<sup>5</sup> سورة الإسراء، الآية 23.

<sup>6</sup> سورة الفاتحة، الآية 05.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

إنّ الاختلاف اللهجي الذي يعدّه البعض اضطراباً مسّ بجوانب النظرية الصرفية العربية ذاك أن المنهج الاستقرائي الوصفي قام على خلط نصوص جمعت من قبائل شتى<sup>1</sup>، هو دليل يزيد من قوة ما ذهب إليه ابن جني في التعليل لوجه الاختلاف اللهجي، خاصة فيما تعلق منه بالنصوص القرآنية، لأن ما اعتمده ابن مجاهد ومن بعده ابن الجزري من ضرورة موافقة أحد الوجوه العربية وأحد المصاحف العثمانية يثبت بحق ضرورة اللجوء إلى هذه الوجوه اللهجية وتحديدتها فيها هو الزرقاني يقول:

" لقد تدبرنا اختلاف القراءات فوجدناه لا يخلو من ثلاثة أحوال، أحدها: اختلاف اللفظ لا المعنى، والثاني: اختلافهما جميعاً مع جواز اجتماعهما في شيء واحد، والثالث: اختلافهما جميعاً مع امتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد، لكن يتفقان من وجه آخر لا يقتضي التضاد<sup>2</sup>، وأحسبه يقصد بالوجه الأول ما نحن بصددده فيما تعلق بالاختلاف في ألفاظ كـ " الصراط"، و"عليهم"، و"يؤوده" و"القدس"، و"يحسب"، ومن ذلك مما يطلق عليه أنه لغات فقط<sup>3</sup>.

ونحن حين نتصور لغة من اللغات قد اتسعت رقعتها، وتصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية نستطيع أن نحكم على إمكان تشعب هذه اللغة الواحدة إلى عدة لهجات بناء على هذا الانفصال، ومثال ذلك الواضح ما حدث بين تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب<sup>4</sup>، ولولا القرآن الكريم وقراءاته ما عرف الناس هذه اللهجات.

<sup>1</sup> ينظر: عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، ص405..

<sup>2</sup> ينظر: عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، ج1/159.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> ينظر: محمد سالم محيسن، القراءات وأثرها في علوم العربية، ج1/98-99.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

يؤكد ابن جني على توجهه في تتبع التأصيل للفظة إما بإبراز الصنعة في اللفظة نفسها، أو ردها

إلى لهجة من لهجات العرب وذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَمَا أَسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾<sup>1</sup>، يقول أصله " استطاعوا " حذف التاء لكثرة الاستعمال، ولقرب التاء من الطاء، وهذا الأصل مستعمل .

وعقبيه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْتَطَعُوا لَهُ نَقْبًا﴾<sup>2</sup>، وفيه لغة أخرى وهي اسْتَعْتُ بحذف الطاء

كحذف التاء، ولغة ثالثة : أسطعت بقطع الهمزة مفتوحة ولغة رابعة اسْتَعْتُ مقطوعة الهمزة مفتوحة أيضاً، فتلك خمس لغات : اسْتَطَعْتُ، واسْطَعْتُ، واستَعْتُ، وأسطعتُ، وأستعتُ<sup>2</sup>، ومن ذلك أيضاً يقال: التَقَطْتُ النوى واشتقظته، واضتقظته فصحح تاء "افتعل" وفاؤه ضاداً، ونظائره مما يمكن النطق به إلا أنه رفض استثقلاً له أو لعله أخرى أو لأن الصنعة أدت إلى رفضه<sup>3</sup> .

وإنما جعلت الألفاظ ألفاظ القوم يقول ابن جني مصادقاً وأشراكاً للقلوب وسبباً وسلاماً إلى تحصيل المطلوب عرف بذلك أن الألفاظ خدم للمعاني، ويورد لذلك حديثاً يؤيد به هذا، فقد سأل أحدهم آخر حاجته فقال المسؤول: إن عليّ يميناً ألا أفعل هذا فقال له السائل: إن كنت - أيدك الله - لم تحلف يميناً قطُّ على أمر فرأيتَ غيره خيراً منه فكفرت عنها له، وأمضيتها، فما أحب أن أُحْنِتَكَ وإن ذلك قد كان منك فلا تجعلني أدون الرجلين عندك، فقال له: سحرتني، وقضى حاجته<sup>4</sup>، وهذا من شرف اللغة المنقادة الكريمة، وإلى مرتكز آخر من مرتكزات التعليق عند ابن جني .

<sup>1</sup> سورة الكهف، الآية 97.

<sup>2</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/226 227.

<sup>3</sup> ينظر: المرجع نفسه، ج1/230.

<sup>4</sup> المرجع نفسه، ج1/195.

## الفصل الرابع.....التعليل الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

6- الأمثال: المثل نظام نثري خاص يجري في مخالفته لمألوف النثر مجرى الشعر لكن لم يتجاوز

ذلك مواطن قليلة<sup>1</sup>، نذكر منها قراءة أبي جعفر ﴿قَالَ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ﴾<sup>2</sup> قرأها ربُّ، وقرن

(ربُّ) بالمثل (أصبح ليلٌ)<sup>3</sup>، و(أطرق كرى)<sup>4</sup>، فقد جعل رافع (ربُّ) على حذف (يا)، وهو وجه

ضعيف لأنهم لا يجمعون بين حذف (يا)، والاسم الذي لا يجوز أن يكون وصفاً لـ (أي)<sup>5</sup>.

7- القياس والاستدلال: استأنس ابن جني بالقياس والاستدلال والمشابهات، فهو القائل "إنَّ

مسألة واحدة من القياس أنبل وأنبه من كتاب لغة عند عيون الناس"<sup>6</sup>.

والقياس التعليلي الذي اعتمده ابن جني يغلب عليه حمل ظاهرة فرعية على ظاهرة أصلية

للشبه بينهما والقياس، فمنه استدلاله بقراءة ابن مجاهد التي جاء فيها: بل في موضع (أم) من قوله

تعالى: صَ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلِمُهُمْ بِذَ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ<sup>7</sup>، حيث جاء بِـ (أم) بمعنى (بل)<sup>8</sup>.

8.

<sup>1</sup> ينظر: محمود أحمد الصغير، القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص255.

<sup>2</sup> سورة الأنبياء، الآية 112.

<sup>3</sup> ينظر: الميداني، المفيد من مجمع الأمثال، قدّم له نعيم حسن زرزور، طبعة الكتب العلمية، بيروت، ط1/1998م، المثل (2132).

<sup>4</sup> ينظر: المرجع نفسه، المثل (2273).

<sup>5</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/69، ج1/70، ج2/326.

<sup>6</sup> ينظر: ابن جني، الخصائص، ج1/88.

<sup>7</sup> سورة الطور، الآية 32.

<sup>8</sup> ينظر: ابن جني، المحتسب، ج2/291 - 292.

ذكر الرماني: أن ( أم ) من الحروف الهوا مل، وهي تدخل على الاسم والفعل، وتكون عديلة

لألف الاستفهام، وهي معها بمنزلة "أي" في نحو قولنا: أزيد عندك أم عمرو؟ أي أيهما عندك ؟<sup>1</sup>

وأصل ألف الاستفهام التسوية لأنك إنما تستفهم لتستوي أنت ومن تستفهمه في العلم من

ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>2</sup>،

وتكون قطعاً وتقدر بـ "بل" مع الهمزة نحو قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ﴾<sup>3</sup>، والتقدير (بل يقولون

يقولون افتراه )، كما أنها تأتي للتعريف على لغة هذيل نحو: جاءني أم رجل، ورأيت أم غلام، أي

الرجل والغلام<sup>4</sup>، وذكر ابن جني أن "أو" تأتي للشك كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ

أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾<sup>5</sup>، والمعنى أن الرائي إذا رآهم شك في عدتهم وكثرتهم، وأهل الكوفة يرون أنها

بمعنى "الواو" وذلك في قوله تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾<sup>6</sup> معناه لعله

يتذكر ويخشى<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> ينظر: أبو الحسن علي بن عيسى الزماني، كتاب معاني الحروف، ص70.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية 06.

<sup>3</sup> سورة يونس، الآية 38.

<sup>4</sup> ينظر: أبو الحسن علي بن عيسى الزماني، كتاب معاني الحروف، ص70.

<sup>5</sup> سورة الصافات، الآية 147.

<sup>6</sup> سورة طه، الآية 44.

<sup>7</sup> المرجع نفسه، ص78 - 79.

## الفصل الرابع.....التعليق الصوتي للقراءات المتواترة والشاذة

لقد استعان ابن جنيّ بالقراءة المشهورة، والشاذة، والحديث الشريف، والشعر، وأقوال العرب والعلماء، والأمثال، واتخذ القياس ملجأً يوفر له الاستدلال، واستعان أيضاً بالسياق وجمع ذلك كله في إطار متكامل، إنّه بحق نبع معرفة ثاقبة، تراه ينثر درّاً من أسرار العربية على كل صفحة من صفحات كتبه، وكان كلما كشف عن وجهه، أو علل له، أو احتج لقراءة، أو معنى أفصح عن مكوناته الوجدانية، فيقول: وكان التفسير الأوّل أقوى في نفسي<sup>1</sup>.

إنّه فخر كلّ من نطق الضاد بعيداً عن المعتقد والتوجه والمذهب، وهو أيضاً بحق مؤسس النحو العقلي التركيبي الذي تجاوز به حدود النحو التقليدي ببعديه الزماني والمكاني، مادّا بذلك إشارة ضوء خضراء لبداية مرحلة تنظير نحوية إحيائية جديدة.

<sup>1</sup> ينظر: ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج1/177.

خاتمة

## الخاتمة

إنّ التعليل الصوتي لكلام العرب يحيل إلى مقولة التكامل بين الصوت والصرف والنحو والدلالة، لأنه جائز أن نقول إنّ أكثر العناصر حضوراً في بناء الدور هو الحجر، لكن الاسميت والحديد عناصر تضمن متانة البناء، فكذلك الحروف هي الأكثر حضوراً في الكلام لكن العلائق الصوتية الصرفية والنحوية هي التي ينتظم من خلالها الكلم .

إنّ ابن جنيّ من خلال كتابية " سر صناعة الإعراب " و " الخصائص " أسس لمرحلة التثبيت والتأصيل للدرس الصوتي بعد أن توفر له إرث لغوي وفكري من سابقه خاصة الخليل وسيبويه، بدا ذلك من خلال حرصه على عدم تشويه القواعد بل الانطلاق منها في التعليل والعودة إليها دعامة الأولى في ذلك العلة وما انبت عليه من خلال حفظ المراتب والتدرج في التحليل والقياس .

ضبط المصطلحات الصوتية واللغوية بهدف تحقيق غاية الأصل والفرع .

منهج ابن جني التعليلي وفكره الصوتي استمدا من قاعدة فقهية وكلامية ولغوية وفلسفية، فقد رأينا كيف أنه يحوّل الجواب إلى سؤال من خلال لازمته: فإن قيل، فالجواب وهذا فيما تعلق بمنهجه عموماً ، أما عن النتائج الخاصة فيمكن إجمالها من خلال الأتي:

**نتائج الفصل الأول:** اعتماده ذكر الحروف على مراتبها في الاطراد لا مدارجها مناقضا بذلك مذهب الخليل، لكنه مستفيداً في الوقت نفسه من مادته التي بسطها على كتاب سيبويه ، لأن هذا الأخير كان يقول " وسألته عن " يقصد الخليل .

- المخارج ثابتة قياسا إلى وجود أعضاء تشارك في إنتاج الصوت، لكن الصفات قد يعرض لها بعض التعديل بدليل وجود الإبدال، وهذا ما رأيناه مع ابن جني خاصة في باب الإبدال (كإبدال الهمزة) مثلا.
- يمكن اعتبار الهمزة أصلا للأصوات خاصة إذا علمنا أن الاستعداد النطقي للأصوات يعتمد على همزة مكسورة وبعدها ساكن، والمتأمل المتمرس يجد أن الهمزة تلوين صوتي ينطلي على جميع الأصوات، خاصة أنها تشارك الأصوات المخارج والصفات، فهي في الدرس الصوتي الحديث توصف بالبينية، أي بين الجهر والهمس .
- صرح ابن جني بالوتر الصوتي، وإن كان على سبيل التمثيل بقوله "ونظير ذلك أيضا وتر العود" وفي هذا إشارة صريحة إلى معرفته بدور الوتر الصوتي والمفردة ترددت في الصفحة رقم 22 من كتاب "سر صناعة الإعراب"، حيث في هذا التمثيل قارب بين الوتر والحلق "فالوتر في هذا التمثيل كالحلق".
- سلوك ابن جني التعليقي كان علميا أحيانا لأنه اعتمد الجانب "الأكوستيكي"، والبرهنة في ضوء كتاب "سر صناعة الإعراب" صنف الحروف المشربة إلى:
  - الإشراب الحنجري أو النفخي: الزاي، الظاء، الذال، والضاد، والراء الشبيهة بالضاد.
  - الإشراب الصوتي: وهي حروف القلقة.
- عدم ذكر تعليقات كثيرة للمخارج كونها توصيفات لحركات أعضاء النطق.

## نتائج الفصل الثاني:

يعدّ ابن جني كاشف النقاب عن قانون الاشتقاق وآفاقه العربية البعيدة، حيث المعجم يجمع الألفاظ دون بيان الصلات بينها، بينما الاشتقاق يبرز أواصر وصلات المعاني بالألفاظ، ويمكن القول: إن هذا المبحث جاء في ثلاث نقاط:

- دوران المادة حول معنى واحد (التقاليب)، وهذه الخاصية تميزت بها العربية دون غيرها من اللغات، وفائدة هذا النوع الكشف عن الحقيقة الاجتماعية انطلاقاً من الواقع اللغوي، فتجمع الألفاظ حول معنى واحد كتجمع الأسر والقبائل العربية.
- الصلات المتعددة بين الألفاظ ومدلولاتها.
- القيمة التعبيرية للأصوات (قضم، خضم).
- ردّ المهمل بالصنعة والقياس ليس الغرض منه إعادة تأهيله، وإنما من خلال تأوّل الصنعة وعطف الملاطفة عليه.
- وجود منفعة لغوية وصوتية متبادلة بين الاشتقاق والإبدال لعلّة معرفة الأصل والفرع .
- العلة الغائية للإبدال هي الميل إلى التقريب بين الصوتين المتقاربين أو المتجاورين تيسيراً للجهد واقتصاداً للطاقة، ووجود الإبدال في العربية يوحي بحركية التطور والتبدلات الصوتية، وهذه الحركية تصنف في الإطارين الزماني والسياقي خدمة للتداولية والقصدية.
- الإبدال من غير إدغام خاصة في "تاء الافتعال" في توجيهين:

- تأثير رجعي لتاء "الافتعال" مع الواووالياء كـ "أَتَزَن" ، "أَتَعَد" ، حيث الواووالياء في موضع الفاء من "الافتعال" ، فاستطاعت التاء تاء "الافتعال" إبدالها تاء ثم إدغامها لغلبة التاء عليهما نظرا لسعة مخرجيهما.

- تأثير تقدمي لأصوات الإطباق على: (الذال والذال والزاي والسين والتاء) على تاء "الافتعال" ، وهنا ظهر العكس استطاعت هذه الأصوات التأثير تقديما على تاء "الافتعال" وإبدالها إلى ما يجانسها أو يماثلها .

■ العلل المرافقة لقواعد الإبدال ليست صوتية بالضرورة، فقد تكون صرفية، وقد تكون لعدم الخروج على الباب ،وقد تكون لضرب من التعويض والتساوي.

■ لاحظنا أن الإبدال خصّت به الصوامت ،وكان مظهرا مكمّلا للاشتقاق لأنه ليس في الذهن كلمة منعزلة ،بل هناك عرى جديدة بين مفردات مختلفة في الشكل الخارجي.

■ لاحظنا على غرار الإدغام والمماثلة والإبدال هناك علة الإتيان التي اعتمدها ابن جني لتخريج بعض الشواهد خاصة القرآنية منها مثلا: "الحمد لله"

**نتائج الفصل الثالث:** توسع مفهوم الإمالة عند ابن جني ليشمل الفتحة المشوبة بشيء من الكسرة، أو الضمة المشوبة بشيء من الكسرة أو الكسرة المشوبة بشيء من الضمة، ولم ينح بوحدة من الضمة أو الكسرة إلى الفتحة، لأن الفتحة خفيفة إذا خرجت تمكّنت بكلّها على عكس الضمة والكسرة بحكم ثقلهما، ويضاف إلى ذلك انتقاض عادة الصوت بتراجعه إلى الخلف لأن الفتحة أول الحركات وأدخلها في الحلق والكسرة بعدها والضمة بعد الكسرة .

- تابعنا تصنيف الإمامة عند النحاة والقراء والمحدثين، وربما كان الميزان الأقرب إلى الواقع العملي هو ميزان القراء اعتماداً على مبدأ "عينك ميزانك"، رغم وجود مقاييس عديدة مضبوطة من خلال مخطط "جونز"، لكن الشيخ يستطيع تصويب قراءة تلميذه من خلال مراقبة نطقه وحركة الشفاه، وكذا اعتماد الحسّ المرهف كمقياس لقبول أو رفض المعيب من الأداءات.
- أصل الإمامة وارد في ما كان أصل ألفه واوا
- الإمامة من لحون العرب المطلوبة لقراءة القرآن، وهي كبعد موسيقى يجب أن ينوّه الشيوخ على مجالات أدائها التجويدية حتى لا تخرج إلى دائرة لحون أهل الفسق.
- الإمامة لا تخضع لقاعدة مطردة ولا يتكفل قانون واحد من القوانين الصوتية بتعليلها، إذ بات لكل مظهر أو سياق حيثيات وتعليلات تنتخب لتمرير قانون ينسجم وطبيعة ذلك السياق أو المظهر اللغوي الأمر الذي يحيل إلى القول: إنّ الإمامة متنوعة كتتنوع الألحان والموسيقى .
- وجود الكسرة كمؤثر لإحداث الإمامة يقتضي وجود مساحة في السياق على النحو الآتي: إذا كانت المساحة الصوتية متساوية بين الاستعلاء والألف من جهة، وبين الراء والكسرة والألف من جهة أخرى فالغلبة والتأثير للراء على حساب الاستعلاء كما في "غارب" الكسرة اللازمة غير العارضة ألزم للإمامة.
- تضعف الراء المكسورة عن إمالة الألف إذا كانت الكسرة كسرة إعراب، أي طارئة، وفي هذه الحال يتغلب عليها الاستعلاء وإن تأخر عنها ويبقى الألف منصوباً.

- للإعلال مظاهر عدّة: الحذف والتسكين والنقل، وهذه الحركية الصوتية تحدث بين الألف والياء والواو والهمزة نظرا للتقارب في الطبيعة الأدائية بالإضافة إلى كثرة شيوعها وشيوع أبعاضها (الفتحة والكسرة والضمة) في الكلام العربي.
- للإعلال أغراض عدّة منها الخفة والعمل من وجه واحد وتجنّب اللبس، وقد يجيء الإعلال لضرب من التعويض نظرا لكثرة انقلاب الواو إلى الياء، فقد نبقى على الواو ولا نعلّمها إلى الياء لتعويضها كثرة دخول الياء عليها.
- قد يجيء الإعلال بعدم الانقلاب وتصحيح الواو والياء، والعلّة في ذلك أنه جاء فيما لا بد من صحة معناه كـ "حول، عور، صيد" كأنّه أمانة على الأصل الذي ينحدر منه الصوت .
- في باب الاعتلال الأصل أن الحرف أقوى من الحركة، لكن السكون يُضعف الواو والياء فيقلبهما إلى جنس الحركة التي قبلهما، أي أن سكون الحرف موضع غير حصين ولا منيع.
- الساكن إذا جاورته الحركة حلّه وصارت كأثما فيه.
- لا توالي العرب بين إعلالين إلا لمحا شاذا، ومما أعلت فائوه وعينه ولامه جميعا "إيّاة" والأصل فيه على الصنعة "إيوية"، ولم يرد عن العرب مثله .
- لكل قاعد عند ابن جني استثناء الغرض منه التأنس به وإعمال الفكر من أجل تأوّل أوجه الصنعة فيه .

#### نتائج الفصل الرابع:

- القرآن الكريم وما يحتويه من مظاهر صوتية معين لا ينضب وعلم لا تحيطه أقلام البشر، فهو غير لاحق بكلامها.

- القراءات القرآنية مهّدت لوجود توجهات نحوية جعلت العقل البشري أحيانا يعلو على النقل، وهذا خطأ، لأن العقل موسوم بالقصور، في حين النقل مصدره الوحي.
- التواتر ركن أساس لأن المحقق ابن الجزري يقرّر بضرورة الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ القلوب والصدور.
- القراءات القرآنية سنّة متبعة حيث لا اجتهاد مع النص القرآني المنزل.
- ذكر الوجوه ليُعلم تصرف الإعراب ومقاييسه لا لأن يُقرأ به.
- القراءات الشاذّة سُلبت منها القرآنية، لكن النحو بها باق، غير أن ترجيح الأوجه النحوية فيها على حساب المتواتر هو الخطأ، لأن المعتمد في ذلك هو الأثبت في النقل لا الأفضى وإن كان الأقيس، حتى لا يضيع اللفظ القرآني بكثرة التوجه والرواية.
- لم أتطرق كثيرا للشواهد العقائدية لأن ابن جنيّ في جلّ آثاره ما يؤنس باعتزاله، لهذا ارتأيت أنه من الجرأة بمكان أن أقدم على مثل هذا، خصوصا وأن ابن جني يملك من مفاتيح اللغة ما يوقع القارئ في غور من الصنعة بطين، ذلك أن العلماء يقولون بحسب الزرقاني: إنّ لكل آية ستون ألف باطن.
- منهج ابن جنيّ في الاحتجاج خاصة في مؤلفه "المحتسب" بناه على عدة أسس منها :
  - الاعتماد على القراءة المتواترة المشهورة، والشعر، والأمثال، ولغات العرب وأقوالها.
  - اعتماده على المعنى أحيانا لتقوية الشاذ وتضعيف المتواتر.
  - عدم تعويله على الأحاديث النبوية أدى إلى تضيق مساحة التعليل الصوتي، لأننا نعلم أن القرآن الكريم تفسره السنة المطهرة.

- عدم تعويله على التفاسير وتعويله أكثر على شيخه أبي علي الفارسي خاصة من خلال مؤلفه "الحجة للقراء السبعة" ومن بعده ابن مجاهد.
- موقفه التحرري بتجويز بعض القراءات الشاذة من خلال تقوية معانيها وأوجهها النحوية.
- التقاء علم الموسيقى بعلم الأصوات في كونهما ينتميان إلى العلم الطبيعي الذي يبحث في جوهر الأصوات بقسميه التأليف وموضوعه النغمة، والإيقاع وموضوعه الأزمنة، والجانب الموسيقي للغة الذي عوّل عليه ابن جنّي كثيرا هو الصنعة وإعمال الفكر، وخير مقابلة لذلك المغنيّ والمجودّ، وآلة الوتر والحنجرة.
- التخريج النفسي لبعض القراءات كـ "يا حسره".
- الأركان النحوية عند ابن جنّي هي: التوجيه، والإنكار، والطنن، والنص القرآني يمثل خرقا بديعا لجميع الطبائع النحوية البشرية.
- إنّ تناوب الثقل والخفة يعطي إيقاعا لذيذا يقوم على توالي الحركات والسكنات.
- قال ابن جنّي "إنّ هذا القبيل من العلم أعني علم الأصوات والحروف له تعلق ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات والنغم".
- يعدّ ابن جنّي بحق مؤسس نظرية الفكر الصوتي العقلي ورائدها.

# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- 1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، نشر وتوزيع، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط / 2008م  
- دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط 2/1963م .
- 2- إبراهيم قلاتي: قصة الإعراب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة 2009 م.
- 3- أحمد البايبي: القضايا التطريزية في القراءات القرآنية، عالم الكتب الحديث إربد، الأردن، ط 1/2012م
- 4- أحمد الحملاوي: شذا العرف في فن الصرف، علق عليه ووضع فهارسه أحمد أحمد شتيوي.  
دار الغدّ الجديدة، المنصورة، القاهرة، ط 1/ 2015.
- 5- إميل بديع يعقوب: ديوان الشنفرى، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 2، 1417هـ/ 1997م.  
- الممنوع من الصرف بين مذاهب النحاة والواقع اللغوي، دار الجيل بيروت، لبنان، ط 1/1992م.
- 6- أحمد النحاس: إعراب القرآن، تحقيق زهير زاهد، دار عالم الكتب، القاهرة، د ط/ 1985م.
- 7- أسامة عبد العزيز جاب الله: جماليات التلوين الصوتي في القرآن الكريم، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1/2013م.
- 8- إسماعيل الأشيوش : إعجاز القراءات القرآنية، دراسة في تاريخ القراءات واتجاهات القراء، مكتبة وهيبة، القاهرة، ط 1/1998م.
- 9- أرنست بولجرام: مدخل إلى التصوير الطيفي للكلام، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، ط 1/ 2002م.

- 10- الأخفش سعيد بن مسعدة: معاني القرآن، دراسة وتحقيق عبد الأمير محمد أمين الورد، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1/2003م.
- 11- ابن الباذش أحمد بن علي: الإقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، مطبعة أم القرى، مكة المكرمة، د ط، 2001م.
- 12- بكري عبد الكريم: أصول النحو العربي، دار الكتاب الحديث، ط1/1999م.
- 13- بسام بركة: علم الأصوات العام، مركز الإنماء القومي، بيروت، ط1/1988م.
- 14- بسناسي سعاد و مكى درار: المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية دراسة تحليلية تطبيقية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2 / 2009 م.
- 15- برتيل مالبرج : علم الأصوات، تعريب ودراسة عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، المنيرة، مصر، د ط، د ت.
- الصوتيات، ترجمة: محمد حلمي هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية و الاجتماعية، د ط/1994 م.
- 16- أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري : إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب و القراءات في جميع القرآن، راجعه و علق عليه، نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1/2002م.
- 17- برجستراشر: التطور النحوي للغة العربية، أخرجته و صححه وعلق عليه رمضان عبد التّوّاب، دار الرفاعي، الرياض، السعودية، 1983م.
- 18- جلال الدين السيوطي: الإتيقان في علوم القرآن، و يليه كتاب: إعجاز القرآن للإمام القاضي أبي بكر الباقلاني، دار الفكر، بيروت، لبنان د ط ، د ت .
- الاقتراح في علم أصول النحو، تح: أحمد محمد القاسم، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1/1976م.

- 19- هادي نهر: علم الأصوات النطقي، عالم الكتب الحديث، اريد ن الأردن، ط1/2011م.
- 20- أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: الفروق اللغوية، علق عليه ووضع حواشيه محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3/2013م .
- 21- زكريا بن محمد الأنصاري: الدقائق المحكمة في شرح المقدمة الجزرية في علم التجويد، ضبط و تحقيق زكريا توناني. دار الإمام مالك، ط 1 / 2011 م.
- 22- ابن الحاجب: متن الشافية في شرح الشافية، رضي الدين الأستربادي، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما، محمد أبو الحسن وآخرون، بيروت، لبنان، د ط/ 1975 م.
- 23- أبو حيان النحوي: البحر المحيط، تح: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت ط1/2001م.
- 24- عبد الحميد زاهيد: علم الأصوات وعلم الموسيقى، دراسة صوتية مقارنة، تقديم: مبارك حنون، دار يافا للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط1/2010م.
- 25- حسام سعيد نعيمة: أبحاث في أصوات العربية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط 1998/1م.
- الدراسات الصوتية واللهجية عند ابن جني، منشورة وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة الدراسات (134)، بغداد، د ط/ 1980 م.
- 26- الحسن بن أحمد بن علي الكاتب: كمال أدب الغناء، تح: غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط / 1984م.
- 27- أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني: كتاب معاني الحروف، حققه وخرّج شواهدة وعلّق عليه وقدّم له عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار الشروق، المملكة العربية السعودية، ط3/1984م.

- 28- أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خلويه: كتاب ليس في كلام العرب، نقحه وشرحه وضبطه ديزة سقال، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط 2000/1م.
- 29- الطيب البكوش: التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس، ط 1987/2م.
- 30- أبو طالب الفضل بن سلمة النحوي اللغوي: كتاب الملهي وأسمائها من قبل الموسيقى، تح وشرح: غطاس عبد الملك خشبة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط / 1984 م.
- 31- ابن يعيش: شرح المفصل، المطبعة المنيرية، د ط، د ت.
- 32- كمال الدين أبي البركات عبد الرحمن بن أبي سعيد الأنباري النحوي: الإنصاف في مسائل الخلاف، ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009م .
- 33- محمود أحمد الصّغير: القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، دار الفكر، دمشق، سورية، ط 1 / 1999م.
- 34- محمد بن موسى الشرويني الجراي: تجويد القرآن الكريم، طبعة جديدة مزينة ومنقحة، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2008 م.
- 35- محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسي: ألفية بن مالك في النحو والصرف، دار الإمام مالك، باب الوادي، الجزائر، طبعة مصححة 2009م .
- 36- محمد حسين علي الصغير: الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، د ط، د ت.
- 37- محمد حسن حسن جبل: المختصر في أصوات اللغة العربية، مكتبة الآداب علي حسن، القاهرة، مصر، ط 2012/7 م .

- 38- محمد حسن شرشر: البناء الصوتي في البيان القرآني، دار الطباعة المحمدية، الأزهر، القاهرة، ط 1988/1م.
- 39- محمد مشبال: البلاغة والأصول، دراسة في أسس التفكير البلاغي العربي، نموذج ابن جني، أفريقيا الشرق 2007م.
- 40- محمد سالم محيسن : القراءات و أثرها في علوم العربية، دار الجيل، بيروت، ط 1998/1م.
- 41- محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1996/5م.
- 42- محمد القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، القاهرة د، ط/1967 م.
- 43- مكّي درار: الحمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار الأديب للنشر والتوزيع، السانبا، الجزائر، ط 2006/1م.
- ملامح الدلالة الصوتية في المستويات الصوتية، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، مستغانم، الجزائر، طبعة خاصة، 2012م.
- 44- ابن منظور: لسان العرب، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2008/1م.
- 45- مصطفى حركات: الصوتيات والفنولوجيا، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1998 /1م.
- 46- مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربية، دار الإمام البخاري، القاهرة المنصورة، ط 2007/1م.
- 47- أبو نصر محمد الفارابي: الموسيقى الكبير، تح: غطّاس عبد الملك خشبة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د ط، د ت.

- 48- صالح سليم عبد القادر الفاخري: الدلالة الصوتية في اللغة العربية، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، د ط، د ت.
- 49- عادل نذير بيري الحساني: التعليل الصوتي عند العرب في ضوء علم الصوت الحديث، ديوان الوقف السني، مركز البحوث و الدراسات الإسلامية، ط1/2009م.
- 50- عبد العال سالم مكرم: المفصل في تاريخ النحو العربي، بيروت، د ط، 1979م.
- القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية، مطبعة دار المعارف، ط1/1965م.
- 51- عبد العزيز غلام : في علم اللغة العام، دار كنوز المعرفة، جدة، ط 2004/01 م .
- 52- علي أبو المكارم: تقويم الفكر النحوي، دار الثقافة، بيروت، د ط، د ت.
- 53- علي زوين: منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، د ط، 1986 م.
- 54- الرئيس أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا :رسالة أسباب حدوث الحروف، تح محمد حسان الطيّان ويحي مير علم، تقديم ومراجعة شاعر الفحام وأحمد راتب التفّاخ، دار الفكر، دمشق سورية، ط 1 / 1973 م.
- 55- أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي: الحجة للقراء السبعة، وضع حواشيه وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1/2001 م.
- 56- عمر بلملياني: تراث ابن جني اللغوي والدرس الصوتي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، ابن عكنون، الجزائر 2006م.
- 57- عمر بن أحمد بوسعدة: الشامل في التجويد، منشورات ألفا تقديم عبد الحليم محمد الهادي قابة، مراجعة أيمن رشدي سويد، منشورات ألفا، دار البيضاء الجزائر، ط3/ 2014 م.

- 58- عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه: الكتاب، علق عليه ووضع حواشيه وفهارسه، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2009 م.
- 59- عصام نور الدين: علم الأصوات اللغوية (الفونيتيكا)، دار الفكر اللبنانية، ط 1/1992 م
- 60- ابن عصفور الأشبيلي: شرح جمل الزجاجي، الشرح الكبير، تح: صاحب أبو جنان، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، بغداد، د ط، 1982 م .
- 61- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، مكتبة بيروت، لبنان، د ط، 1962م.
- البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، ط 2/1969 م .
- 62 - عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار التراث العربي، بيروت لبنان، ط 3/1943م.
- 63- فاضل صالح السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار ابن كثير، دمشق، سورية، ط 2/2016 م .
- 64- فوزي حسن الشايب: قراءات وأصوات، عالم الكتب الحديث، وإربد، الأردن، ط 1/2012م.
- 65- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر. د ط، د ت .
- البلغة في تاريخ أئمة اللغة، تح: محمد المصري، دمشق، سوريا، د ط 1974م.
- 66- عبد الفتاح إسماعيل شلبي: الإمامة في القراءات واللهجات العربية، دار الشروق، جدة المملكة العربية السعودية، ط 3/1973 م .
- 67- عبد الفتاح القاضي: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 1، 1981م.

68- أبو الفتح عثمان ابن جني:

- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تحقيق علي النجدي، وعبد الفتاح شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، د ط/1969م

- علل التثنية، تح: صبيح التميمي ورمضان عبد التّوّاب، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2/1991م.

- رسالتان في الألفاظ المهموزة وعقود الهمز، تح، مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ودار الفكر دمشق، سورية، ط 1 / 1988 م.

- سرّ صناعة الإعراب، تح محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 2، 2008 م .

- التصريف الملوكي، تح: ديزة سقال، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط 1/1998م.

- الخصائص، تح: عبد الحكيم بن محمد، المكتبة التوفيقية، د ط، د ت .

69- عبد القادر مرعي الخليل: المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء في علم اللغة الحديث، منشورات جامعة مؤتة، الأردن، ط 1 / 1993 م .

70- عبد القادر عبد الجليل: علم الصرف الصوتي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1/2010م.

71- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، نشره رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، د ط/1981م .

72- أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مكتبة مصر، ط 1/2010م.

- المفصل في علم العربية، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط2، د ت.
- 73- ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، ط3/1981 م .
- 74- رحاب عكاوي: أعلام الفكر العربي "الخوارزمي"، دار الفكر العربي، بيروت، ط1/2002 م.
- 75- عبد الرحمان أيوب: الكلام إنتاجه وتحليله، جامعة الكويت، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ط1984، 1 م .
- 76- عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان: دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د ط/1428 هـ.
- 77- رضي الدين الأسترباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح محمد نور الحسن وآخرين منشورات المكتبة المرتضوية، طهران، د ط/ 1975 م.
- 78- رشيد حلیم: أصول النحو عند ابن جني، دراسة في كتابيه "الخصائص" و"المختضب"، دار قرطبة، المحمدية، الجزائر، طبعة 2010 م.
- المنهج اللغوي والبحث اللساني، دار قرطبة للنشر والتوزيع المحمدية، الجزائر، ط2011/1 م.
- 79- السمين الحلبي أحمد بن يوسف: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون تح: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط 1986/1 م .
- 80- سمير شريف استيتية: القراءات القرآنية، منهج لساني معاصر، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، اريد، د ط، 2005 م .
- علم الأصوات النحوي ومقولات التكامل بين الأصوات والنحو والدلالة، دار وائل للنشر الأردن، عمان، ط 2012/1 م .

- 81- ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، 1982م.
- 82- تاج العروس من جواهر القاموس: محي الدين أبو الفيض، و محمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، القاهرة، ط1/1306هـ.
- 83- التواتي بن التواتي: مفاهيم في علم اللسان، ط 1/ 2006 م.
- 84- تمام حسان: اللغة العربية معناها و مبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1973/ م .
- مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، د ط، 1955 م.
- 85- خالد حسين مصلح: الإبدال و الإعلال في ألفاظ القرآن الكريم، تق : أحمد نوفل، طبع بدعم من وزارة الثقافة، ط 1/ 2010 م .
- 86- خلدون أبو الهيجاء: فيزياء الصوت اللغوي ووضوحه السمعي، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، أريد، ط1/2006م.
- 87- الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ترتيب وتحقيق: عبد الحميد هندراوي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط 1، 2003 م.
- 88- خرسو منلا: مرآة الأصول في شرح مرآة الوصول، المطبعة العثمانية، 1317هـ.
- 89- شهاب الدين بن عبد ربه: العقد الفريد، تقديم: خليل شرف الدين، منشورات دار مكتبة الهلال، ط1/1986م.
- 90- شوقي ضيف: المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط2/1972م .
- 91- شمس الدين محمد بن محمد الجزري : متن الجزرية في فن التجويد، دار الهدى، عين مليلة الجزائر، د ط، د ت.

92- الشنقيطي: شرح المعلقات العشر، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة، تح: أحمد أحمد شتيوى، ط 2007/1م.

### الرسائل والدوريات والمنحوتات

جنان منصور كاظم الجبوري: التطور الدلالي للألفاظ في النصّ القرآني، جامعة بغداد، كلية التربية، 2005م.

عبد الحق أحمد محمد: الإعلال في كتاب سيويه في هدي الدراسات الصوتية الحديثة رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد 1983م.

مكي درار: الحروف العربية، وتبدلها الصوتية في كتاب سيويه، رسالة ماجستير، وهران السانيا، 1985/ 1986 م.

علي الهروط: أبو حيان الأندلسي والطعن في القراءات القرآنية، كلية الآداب جامعة مؤتة للبحوث و الدراسات، المجلد 6، العدد الأول 1943م.

سميرة رفاص: نظرية الأصالة و التفرع الصوتية في الآثار العربية، رسالة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2007/2008م.

# فهرس الجداول



الصفحة	العنوان
17	الحرف و حالاته و تعليقاته
22	الحروف العربية و نظرية الشيوخ
26	الحروف الفروع المستحسنة و غير المستحسنة
26	الحروف الفروع غير المستحسنة
54	الصفات الأساسية
54	الصفات الثانوية
55	الصفات التمييزية
94	إبدال الواو و الياء إذا كانتا فاء في "افتعل"
95	إبدال التاء على وفق أصل الإبدال
102	إبدال الميم
109	إبدال النون
112	إبدال الهاء
126	تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني
127	اقتراب الأصلين الثلاثي و الرباعي و الخماسي
130	تقارب الحروف لتقارب المعاني
133	ثلاثية المعايير (المادة، المخرج، الصفة)
135	المضارعة بالأصول الثلاثة
137	المتضارعات الثلاثية
144	أقوى المعنيين و العلة في ذلك
175	ما كان من بنات الياء و الواو مكسور الأول

193	عقد المقاربة بين علم الأصوات و علم الموسيقى
202	إحصاء الأفعال المعتلة
210	الأفعال المعتلة حسب حركة العين
212	مراحل الإعلال بالقلب و النقل و الحذف معا
227	سياقات القلب الممكنة
247	القراءات السبع و أصحابها
250	الأئمة الأربع ورواتهم و طرقهم
277	قياس ترددات صوت الصادّ
311	شواهد التقاء الساكنين

# فهرس المخططات والرّسوم التّوضيحية

الصفحة	العنوان
51	العلاقات التجاورية بين الحركات
65	مخطط تمثيلي للصوت و مراحلہ
73	مخطط توضيحي لحركة اللسان مع الاستعلاء و الاستفال
165	مخطط كميات الإمالة
223	مخطط التسلسل المنطقي للحركات

# فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

أ ..... مقدمة

2 ..... مدخل تمهيدي

الفصل الأول : التحليل الصوتي للمخارج و الصفات

13 ..... تصدير

13 ..... أولاً: المخارج

13 ..... الموقعيات

14 ..... الصوت والحرف

15 ..... المخرج ومصطلحاته

17 ..... الحرف وحالاته وتعليقاته

18 ..... قراءة في الجدول

20 ..... الحروف على مراتبها في الاطراد

21 ..... الحروف العربية ونظرية الشيوخ

22 ..... قراءة في الجدول

24 ..... الهمزة في مفهوم النظرية الصوتية القديمة

25 ..... الحروف الفروع

26 ..... جدول المستحسنة

26 ..... جدول غير المستحسنة

27 ..... قراءة في الجدولين

28 ..... تحليل مخارج الحروف

29 ..... الصفات المخرجية و تحليلها

29 ..... الحروف الحلقية

32 ..... حروف وسط الحلق

33	..... حرفا أدنى الحلق.
37	..... أحرف وسط مقدم اللسان.
42	..... الحروف الأسنانة اللثوية.
44	..... حروف طرف اللسان.
45	..... النطعية.
46	..... الأسلية.
46	..... الحروف الأسنانة.
48	..... الحروف الشفوية.
49	..... الخيشومية.
50	..... المصوتات.
51	..... مخطط الحركات.
51	..... قراءة في المخطط.
53	..... ثانيا: تعليل الصفات
54	..... جدول الصفات الأساسية.
54	..... جدول الصفات الثانوية.
55	..... جدول الصفات التمييزية.
55	..... تعليل الجهر والهمس.
61	..... الاعتماد والإشباع.
62	..... النفس والصوت.
63	..... الموضع والمخرج.
64	..... الجهر والهمس.
65	..... مخطط تمثيلي للصوت ومراحله.
68	..... تعليل الصفات الثانوية.
69	..... الهمزة.
71	..... تعليل الصفات التمييزية.

71	تعليل الإطباق والانفتاح.....
72	تعليل الاستعلاء والاستفال.....
73	مخطط حركة اللسان مع الاستعلاء والاستفال.....
73	تعليل القلقلة.....
76	تعليل الإذلاق والإصمات.....
76	تعليل الانحراف.....
77	تعليل التكرار.....
78	تعليل المهتوت.....
79	تعليل اللين.....

### الفصل الثاني: التحليل الصوتي لمظاهر الإبدال و الاشتقاق

83	أولاً: الإبدال.....
85	باب الهمزة.....
90	إبدال الهمزة عن الياء والواو.....
92	الهمزة والهاء.....
94	تاء الافتعال.....
94	إبدال الواو و الياء تاء إذا كانتا فاء في " افتعل".....
98	إبدال التاء طاء.....
100	إبدال التاء دالا.....
101	إبدال التاء سينا.....
102	إبدال التاء ثاء.....
102	إبدال الميم.....
103	جدول إبدال الميم.....
109	إبدال النون.....
111	إبدال الهاء.....
112	مع مكونات الجدول.....

120	.....ثانيا: الاشتقاق
120	.....الصوت و سرّ صناعة الإعراب
121	.....الخصائص وسبب بناء الكتاب
122	.....مفهوم الاشتقاق وأبوابه
123	.....الاشتقاق الصّغير
123	.....الاشتقاق الكبير
124	.....النّحت
124	.....الاشتقاق الأكبر
126	.....تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني
126	.....اقتراب الأصلين الثلاثين
127	.....اقتراب الأصلين الثلاثي والرّباعي والخماسي
129	.....التقديم والتأخير
130	.....جدول تقارب الحروف لتقارب المعاني
130	.....مع مكونات الجدول
133	.....جدول ثلاثية المعايير: المادة والمخرج والصفة
133	.....مع مكونات الجدول
134	.....المفردة والدلالة والمعنى
135	.....المضارعة بالأصول الثلاثة
135	.....مع مكونات الجدول
136	.....الميزان الصرفي والتقابل
137	.....جدول المتضارعات الثلاثية
140	.....بيان فارق الاستعمال
142	.....المرجعية والدلالة
144	.....جدول أقوى المعنيين والعلة في ذلك
144	.....مع مكونات الجدول

146	..... التعليل الصوتي والمنزلة بين المنزلتين
150	..... خلاصة المبحث
<b>الفصل الثالث : التعليل الصوتي للإمالة و مظاهر الإمالة</b>	
152	..... أولًا : الإمالة
153	..... تعليل الإمالة
154	..... الإمالة عند النّحاة والقراء
160	..... مذهب الإمالة عند ابن جنيّ
163	..... درجات الفتح والإمالة عند ابن جنيّ
165	..... مخطط كميات الإمالة
165	..... مع مكونات المخطط
166	..... الحركات ودرجات الإمالة
167	..... مخطط الحركات المحضة والحركات الفروع
168	..... تعليل مسوّغات الإمالة عند ابن جنيّ
168	..... الفتحة المشوبة بالكسرة
170	..... الفتحة الممالة نحو الضمّة
170	..... في الأسماء
171	..... في الأفعال
172	..... الألف الواوية أو اليائية في موضع اللام
174	..... الألف اليائية أو الواوية في موضع العين
175	..... جدول ما كان من بنات الواو والياء مكسور الأول
176	..... مع مكونات الجدول
178	..... الكسرة المشوبة بالضمّة
180	..... الضمّة المشوبة بالكسرة
183	..... الرء والإمالة
185	..... الإمالة بين الرء وأصوات الاستعلاء

187	فصل في فائدة الإمالة.....
188	الصوت بين علم الموسيقى وعلم الأصوات.....
190	النعمة بين علم الموسيقى وعلم الأصوات.....
192	اللحن بين علم الأصوات وعلم الموسيقى.....
193	جدول عقد مقارنة بين علم الأصوات وعلم الموسيقى.....
195	ثانيا: التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال.....
197	التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالنقل.....
198	تعليل القاعدة الأولى.....
201	العربية وتصنيف الأفعال.....
202	جدول إحصائي للأفعال العربية المعتلة.....
202	قراءة في الجدول.....
203	صحة الواو و الياء فيما كان على فعل.....
207	التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالنقل في المزيد.....
210	جدول إحصائي للأفعال المعتلة حسب حركة العين.....
210	مع مكونات الجدول.....
211	تعليل القاعدة الثانية.....
212	مراحل الإعلال بالقلب والنقل والحذف معا.....
213	اسم المكان معتل العين.....
214	اسم المفعول معتل العين.....
219	تعليل القاعدة الثالثة.....
221	التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالقلب.....
221	قلب الألف ياء.....
222	جمع التكسير.....
222	حالة التصغير.....
223	مخطط تسلسل الحركات.....

223	قلب الواو ياء.....
227	سياقات القلب الممكنة.....
228	مع مكونات الجدول.....
230	قلب الألف والياء واوا.....
230	قلب الألف واوا.....
231	قلب الياء واوا.....
234	قلب الياء والواو ألفا.....
235	التعليل الصوتي لمظاهر الإعلال بالحذف.....
235	حذف حرف المدّ.....
238	تعليل القاعدة الثانية.....
239	حذف آخر الفعل المعتلّ.....

### الفصل الرابع: التعليل الصوتي للقراءة المقبولة و القراءة الشاذة

244	أولاً: القراءات المقبولة والمردودة.....
245	القراءات القرآنية منهج لساني معاصر.....
247	القراءات السبع وأصحابها.....
247	مع مكونات الجدول.....
249	القراءات الشاذة.....
250	الأئمة الأربع ورواّتهم وطرقهم.....
250	مع مكونات الجدول.....
251	النغم في اللغة العربية.....
251	التعليل الصوتي والظواهر الموسيقية في اللغة العربية.....
253	النسق القرآني الكريم.....
257	البناء الصوتي في القرآن الكريم.....
264	الدلالة المركزية والدلالة الهامشية.....
265	خلاصة صوتية.....
268	النحو والقراءات القرآنية.....

275	القراءات القرآنية المتواترة والظواهر الصوتية.....
276	الظواهر الصوتية في قراءة الكسائي.....
277	جدول ترددات الصاد المهموسة والصاد المجهورة.....
277	مع مكونات الجدول.....
280	الإدغام.....
282	الإتباع.....
289	مواقف النّحاة.....
292	خلاصة المواقف النحوية حول شواذ القراءات.....
293	ابن جنيّ وشواذ القراءات.....
294	المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها.....
295	قانون التغليب والتعليل الصوتي.....
297	تعليق.....
298	منهج المحتسب.....
298	مفهوم الاحتجاج.....
299	قواعد الاحتجاج للشواذ.....
301	قراءة حفص.....
304	القراءات القرآنية الأخرى.....
305	القراءات المشهورة.....
309	القراءات والقياس المطلق.....
311	جدول شواهد التقاء الساكنين.....
311	مع مكونات الجدول.....
313	ثانيا: القراءات الشاذّة.....
313	الناحية اللغوية.....
315	الناحية النحوية.....
318	التضعيف من الناحية اللغوية.....
320	من ناحية مواد اللغة.....
320	من ناحية المعنى.....
322	التضعيف النحوي.....

324	..... الحديث النبوي الشريف
324	..... الشعر
326	..... لهجات العرب
330	..... الأمثال
330	..... القياس والاستدلال
334	..... <b>الذاتمة</b>
343	..... <b>قائمة المصادر والمراجع</b>
355	..... <b>فهرس الجداول</b>
358	..... <b>فهرس المخططات والرسوم التوضيحية</b>
360	..... <b>فهرس الموضوعات</b>

## الملخص

إن نظرية ابن جني اللغوية التراثية، هي وليدة إرث ثقافي، علمي، ومعرفي توفّر له خلال القرن الرابع الهجري، حيث استفاد منهجه التعليلي بأدوات عمل متميزة في التنظير والتأصيل، فرسخ بذلك الروابط بين الدرس القرآني الذي هو موضوع العلوم الإسلامية، وبين اللغة العربية التي تعد مفتاح كل المعارف، فتجاوز بذلك حقبة النحو التقليدي إلى النحو التركيبي مفسرا ظواهر اللغة تفسيرا عقليا، نبّه على بابه بالاجتهاد وحسن الصنعة والتأويل لمفاهيم النحو القديمة، واكتشاف نواحي الإبداع فيها من أجل سدّ فراغ القاعدة النحوية بأصول علم النحو، في حقول يتداعى بعضها إلى بعض، و بشواهد قرآنية، وحديثية، وشعرية، وروايات مختلفة .

## Résumé

La théorie linguistique traditionnelle d'Ibn Ghanee est le résultat d'un patrimoine culturel, scientifique et de connaissances qui lui a été fourni au cours du IVe siècle, où il a développé sa méthode analytique dotée d'excellents outils de travail pour la théorisation et l'enracinement, établissant ainsi les liens entre le Coran. "Leçon anique qui est le sujet des sciences islamiques, qui est la clé de toute connaissance, donc au-delà de l'ère de la manière traditionnelle de syntaxe, expliquant les phénomènes du langage dans une interprétation rationnelle, il a mis en garde contre la diligence de la porte et la bonne exécution et interprétation des concepts de la grammaire ancienne, et la découverte des aspects créatifs afin de combler les lacunes de la règle de la grammaire règle du vide, les uns des autres, et avec des références coraniques, modernes et poétiques et des récits divers.

## Abstract

Ibn Ghanee's traditional linguistic theory is the result of a cultural, scientific, and knowledge heritage that was provided to him during the fourth century AH, where he developed his analytical method with excellent work tools in theorizing and rooting, thus establishing the links between the Qur'anic lesson which is the subject of Islamic sciences, Which is the key to all knowledge, so beyond the era of the traditional way to syntax, explaining the phenomena of language in a rational interpretation, he warned the door diligence and good workmanship and interpretation of the concepts of ancient grammar, and the discovery of the creative aspects in order to fill the vacuum rule grammar grammar assets, Each other, And with Quranic, modern and poetic references and various narratives.